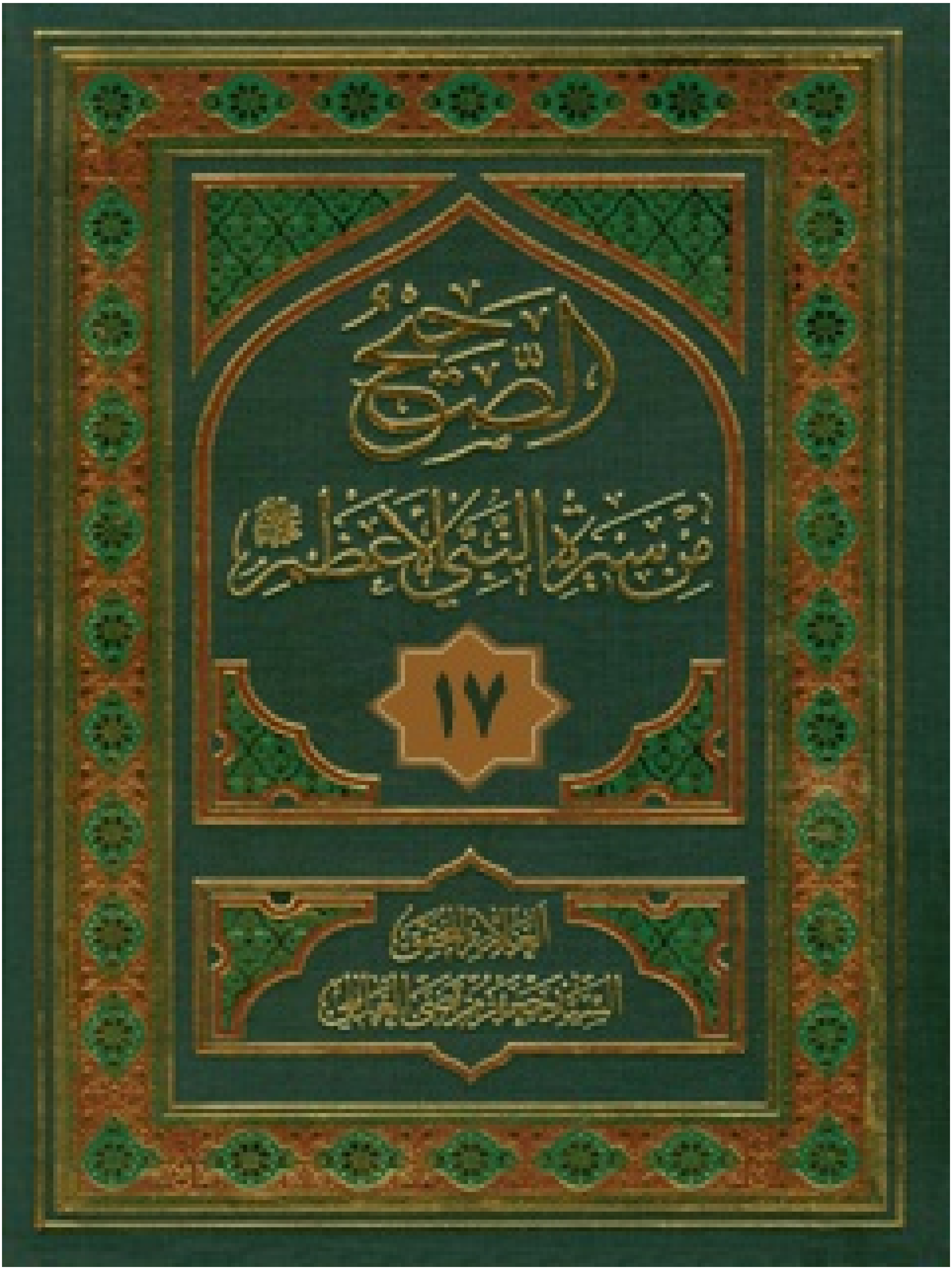

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم ﷺ
١٧

بسم الله الرحمن الرحیم

الصحیح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم

کاتب:

سید جعفرمرتضی حسینی عاملی

نشرت فی الطباعهٔ:

سحرگاهان

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الصحيح من سيره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم المجلد ۱۷

اشاره

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم / جعفرمرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحرگاهان، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری : ج ۱۰

شابک : ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد صلی الله علیه و آله وسلم ، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۴۱ق.

رده بندی کنگره : BP۲۲/۹/ع ۲ص ۳ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۷-۱۵۹۲۹

اشاره

[تتمه القسم الثامن]

[تتمه الباب الرابع]

الفصل الرابع: كتاب النبى صلّى اللّه عليه و آله إلى المقوقس

اشاره

كتاب النبى صلّى اللّه عليه و آله إلى المقوقس:

(بسم اللّه الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد اللّه إلى المقوقس، عظيم القبط:

سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد ..

فإنى أدعوک بدعايه الإسلام، أسلم تسلم، [و أسلم] يؤتک اللّه أجرک مرتين، فإن توليت فإنما عليک إثم القبط و قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَهٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِکَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (۱).۱.

۱- مکـاتيب الرسول للعلامه الأحمـدى ج ۲ ص ۴۱۷ عن المصـادر التاليه، مع التـذكير بأنه اعتمـد على الطبعات المتوفره لـديه: السيره الحلبيه ج ۳ ص ۲۸۰ و سيره زينى دحلان (بهامش الحلبيه) ج ۳ ص ۷۰ و إعلام السائلين ص ۱۹ و رسالات نبويه ص ۲۷۸ و أعيان الشيعه ج ۲ ص ۱۴۲ و فى (ط أخرى) ج ۲ ص ۲۴۴ و جمهره رسائل العرب، عن صبح الأعشى ج ۶ ص ۳۷۸ و عن خطط المقريزى ج ۱ ص ۲۹ و عن حسن المحاضره ج ۱ ص ۴۲ و عن المواهب اللدنيه للقسطلانى ج ۳ ص ۳۹۷ و نشأه الدوله الإسلاميه ص ۳۰۴ عن فتوح مصر (ط ليدن) ص ۴۶ و عن مجله الهلال (عدد أكتوبر سنه ۱۹۰۴ م) و صبح الأعشى ج ۶ ص ۳۵۸- ۳۶۶ و زاد المعاد لابن القيم ج ۳ ص ۶۱ و نصب الرايه للزيلعى ج ۴ ص ۴۲۱. و راجع: الإصابه ج ۳ ص ۵۳۱ و دائره المعارف لوجدى ج ۹ ص ۳۱۷ و شرح المواهب للزرقانى ج ۳ ص ۳۴۷ و فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ۴۶ و تأريخ الخميس ج ۲ ص ۳۷ و لغت نامه دهخدا (فارسى) ج ۴۳ ص ۹۵۵ و صبح الأعشى ج ۶ ص ۳۶۴ و المصباح المضى ء ج ۲ ص ۱۲۹ و الوثائق السياسيه: ۱۰۵/ ۴۹ عن فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ۴۶ و عن مفيد العلوم للقزوينى و البيهقى و المنفلوطى و منشآت السلاطين لفريدون بک. و أشار إليه: الطبرى ج ۳ ص ۶۴۵ و الكامل لابن الأثير ج ۲ ص ۲۱۰ و اليعقوبى ج ۲ ص ۶۷ و البدايه و النهايه ج ۴ ص ۲۷۲ و حياه الصحابه ج ۱ ص ۱۱۷ و التنبيه و الإشراف ص ۲۲۷ و البحار ج ۲۰ ص ۲۸۳ و الطبقات ج ۲ ق ۱ ص ۸۶ و ج ۲ ق ۱ ص ۱۶ و ۱۷ و ج ۱ ق ۳ ص ۸۰ و ابن هشام ج ۴ ص ۲۵۴ و ثقات ابن حبان ج ۲ ص ۵- ۷ و فقه السيره ص ۳۸۷ و الأموال لأبى عبيد ص ۳۶۷ و حياه الحيوان للدميرى ج ۲ ص ۳۲۸ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۳۹۹ و المعجم الكبير للطبرانى ج ۴ ص ۱۵ و الإصابه ج ۱ ص ۳۰۰ فى ترجمه حاطب، و ج ۳ ص ۵۳۰ فى ترجمه المقوقس، و الإستيعاب (هامش الإصابه) ج ۱ ص ۳۵۰ و أسد الغابه ج ۱ ص ۳۶۳ و الوثائق السياسيه: ۱۳۵ / ۴۹ و عن الوفاء لابن الجوزى ص ۷۱۷ و انظر كايتانى ج ۶ ص ۴۹ و اشپرنكر ج ۳ ص ۲۶۵ و ۲۶۷ و مجله ژورنال آزياتيک (باريس سنه ۱۹۱۷ م) ص ۴۸۲- ۴۹۸ و مجله إسلامک ريفيو لاكتشاف أصل المكتوب فى كنيسه قرب اخميم فى صعيد مصر إلى آخر ما ذكره من المجلات. و راجع أيضا: أنساب الأشراف تحقيق محمد حميد اللّه ص ۴۴۸ و المنتظم ج ۵ ص ۶۹ و ج ۳ ص ۲۷۵ و موسوعه التاريخ الإسلامى ج ۵ ص

٦٦٢ و عن عيون الأثر ج ٢ ص ٣٣١.

قصه هذه الرساله:

قال العلامه الأحمدی رحمه اللّه:

قالوا: کتب (صلی اللّه علیه و آله) فی ذلک الیوم (الـذی کتب فیه إلی الملوک) إلی المقوقس، عظیم القبط، و کان نصـرانیا مع حاطب ابن أبی بلتعه (۱).۸.

۱- مکاتیب الرسول ج ۱ ص ۱۳ و ج ۲ ص ۴۲۱ عن: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۲۸۱ و زینی دحلان هامش الحلبیه ج ۳ ص ۷۰ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۴ ص ۳۹۶ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۲۷۲ و حیاه الصحابه ج ۱ ص ۱۱۷ و ۱۱۸ و الإصابه ج ۳ ص ۵۳۰ و ۵۳۱ و أسد الغابه ۱ ص ۳۶۲ و قاموس الرجال ج ۳ ص ۴۲ و حیاه الصحابه ج ۱ ص ۱۱۷ و زاد المعاد ج ۳ ص ۶۱ و التراتیب ج ۱ ص ۱۸۳ و ۱۸۶ و کنز العمال ج ۱۰ ص ۳۹۹ و المنتظم ج ۵ ص ۹ و راجع: مناقب آل أبی طالب ج ۱ ص ۱۴۲ و البحار ج ۲۰ ص ۳۸۲ و ج ۲۲ ص ۲۵۰ و عن فتح الباری ج ۸ ص ۹۷ و تحفه الأحوذی ج ۷ ص ۴۱۵ و الآحاد و المثانی ج ۱ ص ۴۴۶ و نصب الرایه ج ۴ ص ۴۹۰ و ج ۶ ص ۵۶۳ و الطبقات الکبری ج ۱ ص ۱۳۴ و ۲۶۰ و تاریخ خلیفه بن خیاط ص ۴۷ و ۵۲ و ۶۲ و الثقات ج ۲ ص ۶ و تاریـخ مدینه دمشق ج ۳ ص ۲۳۵ و ج ۳۴ ص ۲۸۰ و کتاب المحبر ص ۷۶ و تهذیب الکمال ج ۱ ص ۱۹۷ و تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۷۸ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۲۸۸ و ۲۸۹ و ۳۰۷ و التنبیه و الإشراف ص ۲۲۷ و العبر و دیوان المبتـدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۳۶ و موسوعه التاریـخ الإسـلامی ج ۲ ص ۶۵۱ و عن السـیره النبویه لاـبن هشام ج ۴ ص ۱۰۲۶ و عن عیون الأـثر ج ۲ ص ۳۲۱ و ۳۳۱ و السـیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۳۴۳ و ۴۴۵ و ۵۱۴ و سبل الهدی و الرشاد ج ۱۱ ص ۳۴۸.

فجاء حاطب بالكتاب حتى دخل مصر فلم يجد المقوقس هناك، فذهب إلى الإسكندريه، فأخبر أنه فى مجلس مشرف على البحر، فركب حاطب سفينه، و حاذى مجلسه، و أشار بالكتاب إليه، فلما رآه المقوقس أمر بإحضاره بين يديه، فلما جى ء به نظر إلى الكتاب، و فضه، و قرأه.

و قال لحاطب: ما منعه إن كان نبيا أن يدعو على من خالفه، و أخرجه من بلده إلى غيرها أن يسلّط عليهم، فاستعار (فاستعاد) منه الكلام ثم سكت.

فقال له حاطب: ألست تشهد أن عيسى بن مريم رسول اللّه؟ فما له حيث أخذه قومه، فأرادوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم اللّه تعالى، حتى رفعه اللّه إليه؟

قال: أحسنت، أنت حكيم من عند حكيم.

الرسول صلّى اللّه عليه و آله عند المقوقس:

ثم قال له حاطب: إنه كان قبلك من يزعم أنه الرب الأعلى (يعنى فرعون)، فأخذه اللّه نكال الآخره و الأولى، فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، و لا يعتبر غيرك بك.

إن هذا النبى دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، و أعداهم له يهود، و أقربهم منه النصارى، و لعمرى ما بشاره موسى بعيسى عليهما الصلاه و السلام إلا كبشاره عيسى بمحمد (صلى اللّه عليه و آله)، و ما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراه إلى الإنجيل، و كل نبى أدرك قوما فهم أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدرك هذا النبى، و لسنا ننهاك عن

دین المسیح، بل نأمرک به.

فقال المقوقس: إنی نظرت فی أمر هـذا النبی فوجـدته لا یأمر بمزهود فیه، و لا ینهی عن مرغوب فیه، و لم أجده بالساحر الضال، و لاـ الکاهن الکـذاب، و وجـدت معه آله النبوه، بإخراج الخب ء، و الإخبار بالنجوی، و سأنظر، ثم أخـذ الکتاب و جعله فی حق من عاج، و ختم علیه، و دفعه إلی جاریته (۱).

الرسول صلّی اللّه علیه و آله مع الملک فی السر:

و أرسل المقوقس یوما إلی حاطب فقال: أسألک عن ثلاث.

فقال: لا تسألنی عن شی ء إلا صدقتک.

قال: إلی ما یدعو محمد؟

قلت: إلی أن نعبـد اللّه وحـده، و یـأمر بالصـلاه خمس صـلوات فی الیوم و اللیله، و یـأمر بصـیام رمضـان، و حـج البیت، و الوفـاء بالعهد، و ینهی عن أکل المیته و الدم- إلی أن قال-: فوصفته فأوجزت.

قال: قد بقیت أشیاء لم تذکرها: فی عینیه حمره قلما تفارقه، و بین کتفیه۴.

۱- مکاتیب الرسول ج ۱ ص ۱۸۹ و ج ۲ ص ۴۲۲ عن زینی دحلان ج ۳ ص ۷۰ و الحلبیه ج ۳ ص ۲۸۱ و الطبقات ج ۲ ق ۱ ص ۱۷ و فتوح مصـر لابن عبد الحکم ص ۴۶ و زاد المعـاد ج ۳ ص ۶۱ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۳۷ و الدلائل للبیهقی ج ۴ ص ۳۹۶ و التراتیب الإداریه ج ۱ ص ۱۸۳ و الروض الأنف ج ۳ ص ۲۴۹ و سبل الهدی و الرشاد ج ۱۱ ص ۳۴۹ و نصب الرایه للزیعلی ج ۶ ص ۵۶۴.

خاتم النبوه، يركب الحمار (۱)، و يلبس الشمله، و يجتزى بالتمرات و الكسر، و لا يبالى من لاقى من عم أو ابن عم.

ثم قال المقوقس: هذه صفته، و كنت أعلم أن نبيا قد بقى، و كنت أظن أن مخرجه بالشام، و هناك تخرج الأنبياء من قبله، فأراه قد خرج فى أرض العرب، فى أرض جهد و بؤس، و القبط لا تطاوعنى فى اتباعه، و أنا أضن بملكى أن أفارقه.

و سيظهر على البلاد، و ينزل أصحابه من بعد بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما ههنا، و أنا لا أذكر للقبط من هذا حرفا واحدا، و لا أحب أن تعلم بمحادثتى إياك (۲).

كتاب المقوقس إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

ثم دعا كاتبه الذى يكتب له بالعربيه، فكتب إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) (۳):قد

۱- لعلها تصحيف كلمه (الجمل) فإن راكب الحمار هو عيسى، و راكب الجمل هو نبينا (صلى اللّه عليه و آله). و النجاشى- كما سيأتى- قال: و إن بشاره موسى براكب الحمار، كبشاره عيسى براكب الجمل.
۲- مكاتيب الرسول ج ۲ ص ۴۲۳ عن: الإصابه ج ۳ ص ۵۳۰ فى ترجمه المقوقس و زينى دحلان ج ۳ ص ۷۳ و الحلبيه ج ۳ ص ۲۸۳ و تأريخ الخميس ج ۲ ص ۳۷. و راجع: موسوعه التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۶۶۴.
۳- مكاتيب الرسول ج ۲ ص ۴۲۳ و قال: نقل كتاب المقوقس فى نشأه الدوله الإسلاميه: ۳۰۵ كما يلى: (باسمك اللهم) (من المقوقس إلى محمد: أما بعد فقد

(بسم اللّه الرحمن الرحيم

لمحمد بن عبد اللّه، من المقوقس، عظيم القبط:

سلام عليك.

أما بعد ..

فقد قرأت كتابك، و فهمت ما ذكرت فيه، و ما تدعو إليه، و قد علمت أن نبيا قد بقى.

و قد كنت أظن أنه يخرج بالشام، و قد أكرمت رسولك، و بعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم، و بثياب، و أهديت إليك بغله لتركبها، و السلام عليك (۱).نى

۱- قال فى مكاتيب الرسول ج ۲ ص ۴۲۳ و ۴۲۴ عن: الحلبيه ج ۳ ص ۲۸۱ و سيره دحلان بهامش الحلبيه ج ۳ ص ۷۱ و الإصابه ج ۳ ص ۵۳۱ و صبح الأعشى ج ۶ ص ۱۳۶ و ۴۶۷ و حياه الحيوان ج ۲ ص ۳۲۸ و المنتظم ج ۳ ص ۲۷۴ و ۲۷۵ و فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ۴۷ و زاد المعاد ج ۳ ص ۶۱ و تأريخ الخميس ج ۲ ص ۳۷ و نشأه الدوله الإسلاميه ص ۳۰۵ عن الواقدى و القلقشندى. و راجع: رسالات نبويه ص ۲۸۰ و البحار ج ۲۰ ص ۳۸۳ و الوثائق السياسيه: ۱۳۶/ ۵۰ و المواهب اللدنيه ج ۲ ص ۲۹۲ و مفيد العلوم و مبيد الهموم للقزوينى

هدايا المقوقس إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله:

أرسل الملك إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) هدايا كثيره، ذكرها المحدثون و المؤرخون، و نحن نذكرها إجمالا:

۱- أهدى المقوقس إليه (صلى اللّه عليه و آله) جاريه اسمها ماريه، أم إبراهيم (عليه السلام)، ابن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (۱).۵.

۱- مكاتيب الرسول ج ۲ ص ۴۲۴ عن: الحلبيه ج ۳ ص ۲۸۱ و زينى دحلان ج ۳ ص ۷۱ و الإصابه ج ۳ ص ۵۳۱ و ج ۴ ص ۳۳۵ و ۴۰۴ و الإستيعاب (هامش الإصابه) ج ۱ ص ۴۶ و ج ۴ ص ۳۲۹ و ۴۱۱ و الطبقات ج ۲ ق ۱ ص ۱۷ و الطبرى ج ۲ ص ۶۴۹ و الكامل ج ۲ ص ۲۱۰ و البدايه و النهايه ج ۴ ص ۲۷۲ و تاج العروس ج ۳ ص ۴ و ج ۴ ص ۱۸۲ و ج ۱۰ ص ۳۴۱ فى المقوقس، و حياه الصحابه ج ۱ ص ۱۱۷ و زاد المعاد ج ۳ ص ۶۱ و تأريخ الخميس ج ۲ ص ۳۷ و ۱۸۲ و الدلائل للبيهقى ج ۴ ص ۳۹۵ و المستدرك للحاكم ج ۴ ص ۳۸ و الأموال لأبى عبيد ص ۳۶۷ و البحار ج ۲۰ ص ۳۸۳ و ج ۲۲ ص ۲۶۳ و عن ج ۷۶ ص ۱۰۵ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۳۹۹. و راجع: السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۲۱۵ و نصب الرايه ج ۴ ص ۴۹۰ و أسد الغابه ج ۵ ص ۵۴۳ و إعلام الورى ج ۱ ص ۱۸۷ و السيره النبويه لابن كثير ج ۳ ص ۵۱۵.

۲- جاریه أخری اسمها: سیرین أخت ماریه (۱).

۳- جاریه أخری اسمها: قیسر، أو قیس، و هی أخت ماریه أیضا (۲).

۴- جاریه أخری سوداء، اسمها: بریره (۳).

و فی الطبری و الکامل و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۲۷۲ و البحار ج ۲۰ ص ۳۸۳ أنه أهدی أربع جوار من دون أن یسمیهن.۲.

۱- مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۲۴ عن: الحلبیه ج ۳ ص ۲۸۱ و دحلان ج ۳ ص ۷۱ و الإصابه ج ۳ ص ۵۳۱ و ج ۴ ص ۳۳۵ و ۳۳۹ و ۴۰۴ و الإستیعاب (هامش الإصابه) ج ۱ ص ۴۶ و ج ۴ ص ۳۲۹ و ۴۱۲ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۲۷۲ و تاج العروس ج ۳ ص ۴ و ج ۴ ص ۲۲۰ فی المقوقس، و حیاه الصحابه ج ۱ ص ۱۱۷ و زاد المعاد ج ۳ ص ۶۱ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۳۷ و ۱۸۲ و الدلائل لأبی نعیم ج ۴ ص ۳۶۵ و المستدرک للحاکم ج ۴ ص ۳۸ و البحار ج ۲۰ ص ۳۸۳ و کنز العمال ج ۱۰ ص ۳۹۹ و مناقب آل أبی طالب ج ۱ ص ۱۳۹ و السنن الکبری للبیهقی ج ۳ ص ۳۳۶ و عن المعجم الکبیر ج ۲۴ ص ۳۰۶ و عن الطبقات الکبری ج ۱ ص ۱۳۴ و ۱۳۵ و ج ۵ ص ۲۶۶ و ج ۸ ص ۲۱۲ و ۲۱۴ و تاریخ مدینه دمشق ج ۳ ص ۲۳۶ و ج ۴ ص ۳۰۷ و ج ۳۴ ص ۲۹۲ و أسد الغابه ج ۲ ص ۶ و ج ۳ ص ۲۸۵ و ج ۴ ص ۲۶۸ و ج ۵ ص ۴۸۵ و ۵۴۳ و سیر أعلام النبلاء ج ۲ ص ۵۴۹ و المنتخب فی ذیل المذیل ص ۱۰۸ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۴ ص ۶۴۸ و سبل الهدی و الرشاد ج ۱۱ ص ۴۱۳.

۲- مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۲۵ عن: الحلبیه ج ۳ ص ۲۸۲ و دحلان ج ۳ ص ۷۱ و تأریخ الخمیس ج ۲ ص ۱۸۲ و کنز العمال ج ۱۰ ص ۳۹۹.

۳- مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۲۵ عن: الحلبیه ص ۳ ص ۲۸۲ و دحلان ج ۳ ص ۷۱ و تأریخ الخمیس ج ۲ ص ۱۸۲.

۵- غلاما خصیا أسود، اسمه: مأبور (و فی الطبقات شیرین) (۱).

۶- بغله شهباء، و هی دلدل (۲).

۷- حمارا أشهب یقال له: یعفور (۳).۳.

۱- مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۲۵ عن: الحلبیه ج ۳ ص ۲۸۲ و دحلان ج ۳ ص ۷۱ و الإصابه ج ۶ ص ۱۳ و الإستیعاب ج ۴ ص ۳۲۹ و ۴۱۱ و ۴۱۲ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۲۷۲ و (ط دار إحیاء التراث) ج ۴ ص ۳۱۱ و ج ۷ ص ۸۶ و ج ۵ ص ۳۵۰ و ۳۲۴ و تأریخ الخمیس ج ۲ ص ۳۸ و ۱۸۲ و المستدرک ج ۴ ص ۳۸. و راجع: السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۵۱۵ و ج ۴ ص ۶۴۸ و ۶۰۰ و موسوعه التاریخ الإسلامی ج ۲ ص ۶۶۶ عن المناقب ج ۲ ص ۲۲۵.

۲- مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۲۵ عن: الحلبیه ج ۳ ص ۲۸۱ و ۲۸۲ و دحلان ج ۳ ص ۷۱ و الإصابه ج ۳ ص ۵۳۱ و ج ۴ ص ۳۳۵ و ۴۰۴ و الطبقات ج ۲ ق ۱ ص ۱۷ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۲۷۲ و تاج العروس فی المقوقس، و حیاه الصحابه ج ۱ ص ۱۱۷ و زاد المعاد ج ۳ ص ۶۱ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۳۷ و ۱۸۲ و الدلائل للبیهقی ج ۴ ص ۳۹۵ و الأموال ص ۳۶۷ و البحار ج ۲۰ ص ۳۸۳ و المعجم الکبیر للطبرانی ج ۴ ص ۱۵ و مناقب آل أبی طالب ج ۱ ص ۱۴۶ و البحار ج ۱۶ ص ۱۰۸ و ۱۲۶ و عن فتح الباری ج ۳ ص ۲۷۳ و فیض القدیر ج ۵ ص ۲۲۴ و عن عیون الأثر ج ۲ ص ۳۳۲ و ۴۱۰ و سبل الهدی و الرشاد ج ۷ ص ۴۰۳.

۳- مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۲۵ عن: الحلبیه ج ۳ ص ۲۸۱ و دحلان ج ۳ ص ۷۱ و الإصابه ج ۳ ص ۵۳۱ و ج ۴ ص ۳۳۵ و ۴۰۴ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۳۸ و البحار ج ۲۰ ص ۳۸۳.

و قیل: اسمه عفیر (۱).

قال الدیاربکری، و قیل: و ألف دینار و عشرین ثوبا (۲).

و قال الدمیری: و ألف مثقال ذهبا (۳).

۸- فرسا و هو اللزاز (۴).

۹- و أهدی إلیه عسلا من عسل نبها (بکسر الباء الموحده قریه من قری مصر) (۵).

۱۰- و أهـدی إلیه مکحله، و مربعه یوضـع فیهـا المکحله، و قـاروره دهن، و المقص (و هو المقراض) و المسواک، و المشـط، و مرآه.

و قیل: أهدی أیضا عمائم و قباطی، و طیبا، و عودا، و مسکا، مع ألف۸.

۱- البحار ج ۶۱ ص ۱۹۵ عن البیهقی. قالوا: أما یعفور فأهـداه للنبی (صـلی اللّه علیه و آله) فوره بن عمر الجذامی فی منصـرف النـبی (صـلی اللّه علیه و آله) من حجه الوداع. راجع: البحـار ج ۶۱ ص ۱۹۵ و الطبقـات الکبری ج ۱ ص ۴۹۱ و تاریـخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۴۲۲ و سـبل الهدی و الرشاد ج ۱۱ ص ۴۲۱ و سـیأتی: زعمهم: أنه (صـلی اللّه علیه و آله) أصاب هذا الحمار فی خیبر.
۲- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۱۸۲.
۳- حیاه الحیوان ج ۲ ص ۳۲۸.
۴- مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۲۵ عن: الحلبیه ج ۳ ص ۲۸۲ و دحلان ج ۳ ص ۷۱ و سبل الهدی و الرشاد ج ۱۱ ص ۳۴۹.
۵- مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۲۶ عن: الحلبیه ج ۳ ص ۲۸۲ و دحلان ج ۳ ص ۷۲ و الإصابه ج ۳ ص ۵۳۱ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۲۸ و حیاه الحیوان ج ۲ ص ۳۲۸.

مثقال من ذهب، مع قدح من قوارير (۱).

و زاد فی البدایه و النهایه: خفین ساذجین أسودین.

۱۱- و قال بعض: إنه أرسل مع الهدایا طبیبا یداوی مرضی المسلمین، فقال له النبی (صلی اللّه علیه و آله): (ارجع إلی أهلک، فإنا قوم لا نأکل حتی نجوع، و إذا أکلنا لا نشبع) (۲).

إلی هنا انتهی ما نقلناه عن کتاب العلامه الأحمدی رحمه اللّه (۳).

علیک إثم القبط:

و لا یختلف کتاب النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلی المقوقس عن کتابه لکسری، و قیصر، إلا من حیث إنه حمّله إثم القبط الذین کان المقوقس یحکمهم، إن لم یؤمن، و لم یفسح لهم المجال للتعرف علی الإسلام، و لا أعانهم، و لا یسّر لهم أمر الإیمان به ..

بل یکون عزوفه عن الإیمان بالإسلام من أسباب انصرافهم عن هذا الأمر، و زهدهم فیه، هذا إن لم یمنعهم من ذلک بالقسر، و القهر، أو بإلقاء الشبهات، و إشاعه الأباطیل ضد الإسلام و أهله ..۶.

۱- مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۲۶ عن: الحلبیه ج ۳ ص ۳۸۱ و ۳۸۲ و دحلان ج ۳ ص ۷۱ و ۷۲ و الإصابه ج ۱ ص ۵۳۱ و ج ۴ ص ۳۳۵ و ۴۰۴ و تاج العروس فی المقوقس، و حیاه الصحابه ج ۱ ص ۱۱۷ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۳۸ و الدلائل للبیهقی ج ۴ ص ۳۶۵ و حیاه الحیوان ج ۲ ص ۳۲۸.
۲- مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۲۶ عن: الحلبیه ج ۳ ص ۳۸۳ و دحلان ج ۳ ص ۷۲.
۳- مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۲۱- ۴۲۶.

الحرص على الملك:

و ليس فى قولنا هنا أيه غضاضه: إن المقوقس أيضا كان مثل هرقل، لا يرغب بانتشار الإيمان بنبوه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بين الأقوام الذين يحكمهم، حرصا منه على ملكه- بزعمه- و على نفوذ كلمته فى تلك الأقوام، و عدم الرغبه فى إفساح المجال لمشاركه أحد له فى ذلك .. و ما ذلك إلا لأنه يعلم أن الطاعه للدين و لأهله أقوى و أعمق من الطاعه لأهل الدنيا .. فإن الطاعه لأهل الدين تأتى طوعيه، و باندفاع ذاتى، و بتحريك وجدانى، و رضا قلبى، و أنس و سرور و اغتباط روحى ..

أما طاعه الناس لملوكهم، فإنما تكون طمعا فى الدنيا، و رهبه من سطوتهم بهم. و شتان ما بين هذه الطاعه و تلك.

و لهذا حرص المقوقس على إبعاد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و دعوته عن قومه برفق، و أناه، و لم يجازف بإعلان الخصومه و العناد، لكى لا يكون هذا الاحتكاك من موجبات إثاره فضول الناس لمعرفه أقوال هذا النبى الكريم، و تتبع سيرته و أفعاله، و استلهام مواقفه .. و ذلك لأنه يعلم بأن ذلك سينتهى إلى قبولهم- و لو بصوره تدريجيه- لهذا الدين، شاء أم أبى، و لسوف تهتز الأرض تحت قدمى كل معاند و جاحد، مهما طغى و بغى، و تكون النتيجه- من ثم- هى نفس النتيجه التى واجهها أهل مكه مع هذا النبى الكريم (صلى اللّه عليه و آله) ..

شبهات المقوقس، لماذا؟!:

و قد ذكرت النصوص المتقدمه: أن أول سؤال طرحه المقوقس على

حاطب ابن أبى بلتعه قد تضمن شبهه ربما لا يلتفت أكثر الناس العاديين إلى حلّها، و هى ليس فقط تكفى لإثاره الشك فى نبوه صاحب هذه الدعوه التى تعرض عليهم لأول مره، و إنما هى تكفى لترجيح جانب النفى، و صرف النظر عن أى تفكير فيها ..

و قد جاءت إجابه حاطب ابن أبى بلتعه على هذه الشبهه قويه و قاطعه، و معبره عن مستواه الثقافى، الذى فاجأ المقوقس، الذى كان يعلم: أن حاطبا مجرد حامل كتاب، و ليس معروفا بالفضل و العلم بين أصحاب محمد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و إنما هو من الناس العاديين فى ذلك المجتمع الناشئ، الذى أسسه (صلى اللّه عليه و آله) ..

و هذه الإجابات من شأنها أن تعطى الانطباع الذى لم يكن المقوقس يرغب فى أن يراه فى قومه تجاه هذا الشخص و من أرسله فى هذا الوقت الحساس بالذات ..

و نحن لا نشك فى أنه قد ندم على هذه الإثاره التى أراد لها أن تكون اختبارا لحاطب، و تحصينا لرعيته عن التفكير فى الدعوه المعروضه عليهم، و التى يحمل لهم حاطب كتاب صاحبها ..

دور الدعاء فى دعوه الأنبياء عليهم السّلام:

و الذى نريد لفت النظر إليه هنا هو: أن المقوقس حين سجل اعتراضه الآنف الذكر لم يكن يجهل بل كان يتجاهل: حقيقه دور الدعاء فى حياه الأنبياء. أى أنه كان يعلم أن الدعاء لا توكل إليه مهما كهذه فى حياتهم (عليهم السلام).

بل دور الدعاء هو: توثيق الصله باللّه سبحانه، و إنشاء العلاقه الوجدانيه و الروحيه به تعالى ..

و قد يستجيب اللّه تعالى دعاء الداعين، و لكن بشروط أهمها أن لا تترك هذه الاستجابه أى أثر سلبى على الداعى نفسه من جهه ..

و أن لا تكون سببا فى الإخلال بحقوق الآخرين من جهه أخرى ..

و منها حق الاختيار لهم، و حق الممارسه و التصرف فيما يختارونه؛ لأن الاستجابه للدعاء إذا كانت تؤثر على اختيار الناس، و تسلبهم القدره عليه، فإنها تدخل فى دائره العدوان عليهم، و الظلم لهم. و نقض السنه الإلهيه القائمه، و التى تقضى بحفظ ذلك لهم، ليصح اعتبارها مناطا للعقوبه و المثوبه، و للسعاده و الشقاء.

فإذا كانت المخالفه تستتبع الدعاء من النبى (صلى اللّه عليه و آله) بأن يسلطه اللّه عز و جل على من يخالفه، بحيث يفقد ذلك المخالف قدرته بهذا القهر، و يتلاشى اختياره بهذا التسليط، فذلك يعنى أن يصبح إيمان هذا الشخص مولودا قسريا، نشأ و ترعرع تحت و طأه الخوف، و استيلاء الرعب، و هذا هو الإكراه فى الدين، الذى نفاه القرآن، حيث ينتفى معه دور العقل و الفكر، و التأمل و التدبر المأمور به، و الذى يطلب أن يرتكز الإيمان إليه، و يعتمد عليه ..

و إنما يطلب الأنبياء (عليهم السلام) من ربهم إهلاك قوم بأعيانهم؛ حين يبادر أولئك الأقوام باختيارهم إلى فعل ما استحقوا به نزول العذاب عليهم، و معاجلتهم بالعقوبه التى هى نتيجه أعمالهم.

هدايا المقوقس:

و غنى عن القول: إن لا ـ فائده من كل تلك الهدايا التى أرسلها المقوقس إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله)، فإنها هدايا تفيده كشخص فى حياته الخاصه، و لا تفيد دعوته فى شى ء، بل هو أراد أن يماطل بها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و أن يدفعه عن التعرض بدعوته لأهل مملكته، مع علمه المسبق أيضا: أن دعوته (صلى اللّه عليه و آله) ستصل إليهم، و سيدخلون فى دين اللّه أفواجا، تماما كما علم بذلك قيصر، و صرح به ..

و لكنه آثر أن يستمتع بزهره الحياه الدنيا، و لو إلى حين، و رضى بأن يكون سببا فى إبقاء قومه فى ضلالتهم، و أن يبوء- من ثم- بإثمهم ..

القبط لا تطاوعه:

و قد صرح المقوقس- كما فعل قيصر-: بأن القبط لا تطاوعه فى اتباع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) .. و أنه يضمن بملكه أن يفارقه ..

و هو كاذب فى قوله هذا جزما، فإنه- كما أشار إليه كتاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)- هو الذى يبوء بإثم القبط؛ لأنه يمنعهم من التعرف على دعوته (صلى اللّه عليه و آله)، بما يلقيه إليهم من شبهات، و يمارسه ضدهم من قهر و اضطهاد، و إرهاب، و استضعاف لهم.

كما أنه يمنع رسل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، من القيام بواجب الدعوه إلى اللّه سبحانه فيهم ..

و حين ادّعى المقوقس أن القبط لا يطيعونه. هل جرب ذلك معهم بالأساليب الحكيمه؟! و بالتدبير السليم و الذكى؟! أم أن هذا هو قرار

الأهواء، و المصالح، و الرغبات الشخصيه، الذی یرید التسویق له بهذه الطریقه الظالمه و اللا إنسانیه؟!

و هل أفسح المجال لدعاه الإسلام، لکی یمارسوا دورهم فی هذا السبیل؟!

وجحدوا بها و استیقنتها أنفسهم:

و بینما نری المقوقس یرسل بالهدایا إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و یعترف بالنبوه له، حیث یقول:

(وجدت معه آله النبوه، بإخراج الخب ء و الإخبار بالنجوی) و نحو ذلک.

فإنه یقول: إنه یضن بملکه أن یفارقه ..

فإنه إذا کان محمد (صلی اللّه علیه و آله) نبیا، فعلیه أن ینقاد له، و یستجیب لدعوته، و لیس له أن یمتنع علیه، و یعصیه، و یؤثر الاحتفاظ بملکه علی طاعته، و الانقیاد له ..

بل إن هذه المداراه الظاهره من ملک مصر للنبی (صلی اللّه علیه و آله)، و إرساله الهدایا له. و البدء ب (بسم اللّه الرحمن الرحیم)، ثم باسم رسول اللّه فی رسائله له (صلی اللّه علیه و آله)، حیث قال:

(بسم اللّه الرحمن الرحیم: لمحمد بن عبد اللّه، من المقوقس، عظیم القبط: سلام علیک ..)

و کذلک الحال بالنسبه لقیصر، حین کتب إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله):

(.. إلى أحمد رسول اللّه، الذى بشر به عيسى، من قيصر ملك الروم:

و فيه يقول: (و إنى أشهد أنك رسول اللّه، نجدك عندنا فى الإنجيل، بشرنا بك عيسى بن مريم). الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ۱۷ ۲۴ وجحدوا بها و استيقنتها أنفسهم: ..... ص : ۲۳

ذا الإيمان، و التخلص من تبعاته، فيلقيان بالمسؤوليه على عاتق شعوبهما: الروم و القبط، و أن هذه الشعوب هى التى تأبى الإيمان، و بذلك يكون هذان الرجلان- بزعمهما- غير مسؤولين تجاهه (صلى اللّه عليه و آله)، و غير ملزمين بالطاعه ..

مع أن هذا كلام فارغ، فإنه لو صح أن قومهما قد رفضوا الإيمان- و قد تقدم أن هذا غير صحيح أيضا- فإن ذلك لا يعفى قيصر و لا- المقوقس، و لا- غير هما من الدخول فى هذا الدين، و من طاعه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و التعامل مع قومهما بالحكمه و الموعظه الحسنه، و السعى لتسهيل تقبلهما لدعوه الحق، و الدخول فى دين اللّه تعالى، و الإيمان برسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

و لكن ماذا نصنع بمن غرتهم الحياه الدنيا، و صدق عليهم إبليس ظنه، فجحدوا بها و استيقنتها أنفسهم؟!

كتاب آخر مشكوك فيه:

و قد نقلوا عن الواقدى: أن الذى كتب كتاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى المقوقس هو أبو بكر، و أنه كتب فيه: بسم اللّه الرحمن

الرحيم (١).

و لكن النص الذى ذكروه لهذا الكتاب مختلف عن النص الذى نقلناه.

كما أن هـذا النص المـدّعى يتضـمن التهديد للمقوقس بالحرب، مع أن الحديث عن الحرب فى أول رساله دعوه يرسـلها (صـلى اللّه عليه و آله) ليس له ما يبرره، و ليس هو الأسـلوب الحكيم المتوقع من قبل رسول اللّه، و لم يكن من عادته (صـلى اللّه عليه و آله) أن يفعل ذلك ..

على أن كتاب فتوح الشام، راوى هـذه الرساله و الـذى ينسب إلى الواقـدى إنما كتبه مؤلفه بهدف إرغام الروافض كما صـرح به مؤلفه (٢).

و قد أخذ العلماء على هذا الكتاب: أنه قد اعتمد أسـلوب القصاصـين، و أن أمارات الاصطناع ظاهره على أسلوبه و مضامينه (٣). فهو كتاب غير موثوق، و لا يمكن الاعتماد عليه.

كلمات عن المقوقس:

و المقوقس بصيغه اسم الفاعل: هو لقب لكل من ملك مصر و الإسكندريه.

و كان نصرانيا تابعا لملك الروم، و منصوبا من قبله.

و قيل: إنه تضمّن مصر من قيصر بتسعه عشر ألف ألف دينار (۴).۰.

۱- رسالات نبويه ص ۲۸۰ عن المصباح المضىء ج ۲ ص ۱۴۷ عن الواقدى، و جمهره رسائل العرب ج ۱ ص ۳۸. و راجع: فتوح الشام ج ۲ ص ۲۳.

۲- راجع: فتوح الشام ج ۱ ص ۱۱۶ و ۱۵۴.

۳- راجع: مكاتيب الرسول ج ۲ ص ۴۱۹.

۴- راجع: معجم البلدان ج ۵ ص ۱۴۱ و مكاتيب الرسول ج ۲ ص ۴۲۰.

و القبط- بكسر القاف- هم: أهل مصر، أو أهل مصر و الإسكندريه (۱).

لا تسمع القبط منك حرفا واحدا:

و قد أكرم المقوقس حاطب ابن أبى بلتعه، و بقى عنده حاطب خمسه أيام (۲)، و دفع له المقوقس مائه دينار، و خمسه أثواب (۳).

و قال له: (القبط لا يطاوعوننى فى اتباعه، و لا أحب أن تعلم بمجاورتى إياك، و أنا أضن بملكى أن أفارقه، و سيظهر على البلاد، و ينزل بساحتنا هذه أصحابه من بعده.

فارجع إلى صاحبك، و ارحل من عندى، و لا تسمع منك القبط حرفا واحدا.

و بعث معه جيشا إلى أن دخل إلى جزيره العرب، فوجد قافله تريد المدينه، فالتحق بها، وردّ ذلك الجيش) (۴).۹.

۱- مكاتيب الرسول ج ۲ ص ۴۲۰ عن السيره الحلبيه، و عن السيره النبويه لدحلان، و من لا يحضره الفقيه ج ۱ ص ۵۰۱ و البحار ج ۷ ص ۱۷۶ و عون المعبود ج ۱۱ ص ۱۱۷ و كنز العمال ج ۱۲ ص ۴۷۵.
۲- الطبقات الكبرى (ط ليدن) ج ۱ ق ۲ ص ۱۷ و (ط دار صادر) ج ۱ ص ۲۶۱ و دلائل النبوه للبيهقى ج ۴ ص ۳۹۵ و مكاتيب الرسول ج ۲ ص ۴۲۶ و موسوعه التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۶۶۴.
۳- مكاتيب الرسول ج ۲ ص ۴۲۶ عن السيره الحلبيه ج ۳ ص ۲۸۱ و عن السيره النبويه لدحلان (مطبوع مع الحلبيه) ج ۳ ص ۷۱ و نصب الرايه ج ۶ ص ۵۶۴ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۳۳۲.
۴- مكاتيب الرسول ج ۲ ص ۴۲۶ و ۴۲۷ عن السيره الحلبيه ج ۳ ص ۲۸۳ و عن السيره النبويه لدحلان (مطبوع مع الحلبيه) ج ۳ ص ۷۲ و راجع: نصب الرايه ج ۶ ص ۵۶۴ و موسوعه التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۶۶۵ و عن السيره النبويه لدحلان ج ۳ ص ۷۲ و ۷۳ و عيون الأثر ج ۲ ص ۳۳۲ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۳۸ و حياه الصحابه ج ۱ ص ۱۱۸ و كنز العمال (ط الهند) ج ۱۰ ص ۳۹۹.

و قد أظهرت هذه النصوص أمورا عديده، منها:

١- ادّعاؤه أن القبط لا يطاوعونه، مع أنه لم يعرض ذلك عليهم، و قد دل على ذلك التعبير المذكور، حيث لم يقل: لم يطيعونى، ليدل ذلك على أنه قد عرض عليهم الإيمان فرفضوه، بل قال: لا يطاوعونى، الذى يستبطن:

أنه يقول ذلك عن حدس و استنتاج.

٢- لماذا لا يحب أن يعلم القبط بمجاوره حاطب للمقوقس؟! أليس ذلك إلا من أجل أن لا يتساءلوا عن السبب الذى جاء به إلى بلادهم، و قد يبذلون بعض المساعى لسماع أنباء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من أحد أتباعه، إذ إن النفوس تتشوق و تتشوف لسماع أنباء من هذا القبيل.

و هى أنباء يشعر الناس كلهم: أنها تهمهم و تعنيهم، و لها مساس بحياتهم، و بمستقبلهم، و بمصيرهم.

٣- ألا يستفاد من هذه المطالب: أن المقوقس لم يعلم أحدا من القبط بقدوم رسول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؟! و أنه قد حصر هذا الرسول، و حاصره عنده، و قد غمره بالإكرام و الإنعام، و أبقاه تحت السيطره، و تحت الرقابه التامه؟!

٤- لماذا لا يريد المقوقس: أن تسمع منه القبط حرفا واحدا؟! أليس هذا من الأدله الواضحه على سعيه لتجهيل قومه؟!

و لماذا يهتم بهـذا التجهيل؟! و ما الـذى يخشاه من اطلاعهم على أخبار نبى يعترف هو بصـحه نبوته، و بعثته، و هو الـذى لم تزل كتبهم السماويه تعدهم به؟!

إن ذلك كله و سواه مما لم نذكره يدل على أن المقوقس كان يسعى لإبعاد شبح الإسلام عن نفسه، و عن قومه، و كان يستخدم الكلمـات المعسوله، و الهـدايا، و سـياسه المـداراه للمسـلمين من جهه، و يتبع سـياسه محاصـره قومه بالجهل، و الإبعاد عن مواقع المواجهه، من جهه أخرى .. و ذلـك من أجل أن يبقى على نفوذه، و يحتفظ بملكه، و لو كان ذلك لقاء إطفاء نور اللّه تعالى، و إشاعه الشبهات و الضلالات فى الناس.

كتابه صلّى اللّه عليه و آله إلى النجاشى الأول من مكه:

(بسم اللّه الرحمن الرحيم.

من محمد رسول اللّه، إلى النجاشى الأصحم ملك الحبشه:

سلام عليك.

فإنى أحمد إليك اللّه، الملك، القدوس، (السلام) المؤمن، المهيمن، (العزيز، الجبار، المتكبر).

و أشـهد أن عيسـى بن مريم روح اللّه، و كلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبه الحصـينه، فحملت بعيسى، فخلقه من روحه و نفخه، كما خلق آدم بيده و نفخه.

و إنى أدعوك إلى اللّه وحده لا شريك له، و الموالاه على طاعته، و أن تتبعنى فتؤمن بى، و بالذى جاءنى، فإنى رسول اللّه.

و قد بعثت إليكم ابن عمى جعفرا، و معه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك، فأقر ودع التجبر. و إنى أدعوك و جنودك إلى اللّه عز و جل، و قد بلغت و نصحت فاقبلوا.

و السلام على من اتبع الهدى) (۱).کی

۱- راجع مصادر هذا الكتاب فی: مكاتيب الرسول للعلامه الأحمدی رحمه اللّه و هی التاليه: إعلام الورى ص ۳۰ و فی (ط أخرى) ص ۵۶ و الطبرى ج ۲ ص ۲۹۴ و فی (ط أخرى) ص ۶۵۲ و البدايه و النهايه ج ۳ ص ۸۳ و إعلام السائلين ص ۴ و ناسخ التواريخ فی بيان سيره رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ص ۴۷۲ و الحلبيه ج ۳ ص ۲۷۹ و زينى دحلان (هامش الحلبيه) ج ۳ ص ۶۷ و تأريخ الخميس ج ۲ ص ۳۰ و أعيان الشيعه ج ۲ ص ۲۰۷ و فی (ط أخرى) ج ۱ ص ۲۴۳ و أسد الغابه ج ۴ ص ۸۶ و ج ۱ ص ۶۱ فی ترجمه أرمى بن أصحم، و البحار ج ۲۰ ص ۳۹۲ و ج ۱۸ ص ۴۱۸ و ۴۱۹ و ج ۲۱ ص ۲۳ و ۴۳ عن إعلام الورى و قصص الأنبياء للراوندی ص ۳۲۴ و جمهره رسائل العرب ج ۱ ص ۳۶ و صبح الأعشى ج ۱ ص ۹۱ و ج ۶ ص ۳۵۸ و ۳۵۹ و ۴۶۵ و رسالات نبويه ص ۲۸۹ و تأريخ ابن خلدون ج ۲ ص ۷۹۰ و ۷۹۱ و فی (ط أخرى) ج ۲ ق ۲ ص ۳۶ و ثقات ابن حبان ج ۲ ص ۹ و حياه الصحابه ج ۱ ص ۱۰۳ و الدلائل للبيهقى ج ۴ ص ۳۷۶ و ج ۲ ص ۷۸ و ۷۹ و فی (ط أخرى) ص ۳۰۹ و ربيع الأبرار ج ۳ ص ۲۹۷ و المصباح المضىء ج ۲ ص ۳۵ و زاد المعاد ج ۳ ص ۶۰ و إعجاز القرآن ص ۱۱۳ و المواهب اللدنيه للقسطلانى شرح الزرقانى (كما فی الجمهره) و نشأه الدوله الإسلاميه: ۳۰۱/ ۱۵ و مدينه البلاغه ج ۲ ص ۲۴۱ و المنتظم ج ۳ ص ۲۸۷ و الوثائق السياسيه: ۹۹/ ۲۱ عن جمع ممن تقدم، و عن المواهب ج ۱ ص ۲۹۱ و نصب الرايه للزيلعى، و منشآت السلاطين لفريدون بك ج ۱ ص ۳۲ و وسيله المتعبدين (مخطوطه بانکی

إسلام النجاشی الأول:

و قد ذکر المؤرخون- و النص للعلامه الأحمدی (رحمه اللّه) (۱)-:

أنه لما أوصل عمرو بن أمیه الکتاب إلی النجاشی، أخذه و وضعه علی عینیه، و نزل عن سریره، و جلس علی الأرض إجلالا و إعظاما، ثم أسلم، و دعا بحق من عاج، و جعل فیه الکتاب، و قال: لو کنت أستطیع أن آتیه لأتیته (۲). ۴

۱- مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۴۷ و ۴۴۸ و ۴۴۹.

۲- مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۴۷ عن الطبقات لابن سعد ج ۲ ق ۱ ص ۱۵ و ۱۶ و عن السیره الحلبیه ج ۳ ص ۲۷۹ و عن السیره النبویه لدحلان (بهامش الحلبیه) ج ۳ ص ۶۷ و ۶۸ و المصباح المضی ء ج ۲ ص ۳۵. و راجع: میزان الحکمه ج ۴

کلام الرسول صلّی اللّه علیه و آله عند النجاشی الأول:

و قالوا: إن عمرو بن أمیه قال للنجاشـی: یا أصـحمه، إن علیّ القول و علیک الاسـتماع، إنک کأنک فی الرقه علینا منا، و کأنا فی الثقه بک منک، لأنا لم نظن بک خیرا قط إلا نلناه، و لم نحفظک علی شـر قط إلا أمناه، و قد أخذنا الحجه علیک من قبل آدم، و الإنجیـل بیننـا و بینـک شاهـد لا یرد، و قاض لا یجور، و فی ذلک موقع الخیر و إصابه الفضل، و إلا فأنت فی هـذا النبی الأمی کالیهود فی عیسـی بن مریم، و قـد فرق رسـله إلی الناس، فرجاک لما لم یرجهم له، و أمنک علی ما خافهم علیه، لخیر سالف و أجر ینتظر (١).

فقال النجاشی: أشهد باللّه: أنه النبی الذی ینتظره أهل الکتاب، و أن بشاره موسی براکب الحمار کبشاره عیسی براکب الجمل، و أنه لیس الخبر کالعیان، و لکن أعوانی من الحبشه قلیل، فانظرنی حتی أکثر الأعوان، و ألین القلوب.

و فی روایه: لو أستطیع أن آتیه لأتیته (٢).٠.

١- مکاتیب الرسول ج ٢ ص ۴۴٧ عن دحلان ج ٣ ص ۶٨ و الحلبیه ج ٣ ص ٢٧٩ و زاد المعاد ج ٣ ص ۶٠ و الروض الأنف ج ٣ ص ٣٠۴ و المصباح المضیء ج ٢ ص ٣٩ و موسوعه التاریخ الإسلامی ج ١ ص ۵٧٢ و ج ٢ ص ۶۵۴ و عیون الأثر ج ٢ ص ٣٢٩ و الطبقات الکبری (ط دار صادر) ج ١ ص ٢۵٩.

٢- مکاتیب الرسول ج ٢ ص ۴۴٨ عن السـیره النبویه لدحلان ج ٣ ص ۶٨ و عن السـیره الحلبیه ج ٣ ص ٢٨٠ و زاد المعاد ج ٣ ص ۶٠.

و نحن نرى: أن حامل رساله رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) هو جعفر بن أبى طالب، إذ من المعلوم: أن النجاشى إنما أسلم على يدى جعفر فهذه الموعظه إن كانت قد صدرت من أحد فإنما صدرت من جعفر دون سواه باستثناء بعض الفقرات، كما سنوضحه فى الفقره التاليه:

إنما يفتضح الفاجر:

هذا .. و قد ذكرت النصوص المتقدمه: أن عمرو بن أميه قال للنجاشي:

(كأنك فى الرقه علينا منا، و كأننا فى الثقه بك منك، لأنا لم نظن بك خيرا قط إلا نلناه الخ ..).

و نقول:

قد نقل عن خط الشهيد رحمه اللّه ما يلى:

(قيل: كتب النجاشى كتابا إلى النبى (صلّى اللّه عليه و آله) فقال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) لعلى (عليه السلام): أكتب جوابا، و أوجز.

فكتب (عليه السلام): (بسم اللّه الرحمن الرحيم: أما بعد، فكأنك من الرقه علينا منّا، و كأنّا من الثقه بك منك، لأنّا لا نرجو شيئا منك إلا نلناه، و لا نخاف منك أمرا إلا أمناه، و باللّه التوفيق).

فقال النبى (صلّى اللّه عليه و آله): الحمد للّه الذى جعل من أهلى مثلك، و شد أزرى بك) (۱).۴.

۱- البحار ج ۲۰ ص ۳۹۷ و (ط حجريه) ج ۶ ص ۵۷۱ و مستدرك سفينه البحار ج ۹ ص ۵۴۱ و مكاتيب الرسول ج ۲ ص ۴۵۳ و راجع: ناسخ التواريخ، ترجمه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و مدينه البلاغه ج ۲ ص ۲۴۴.

فالكلام المتقدم من إنشاء أمير المؤمنين (عليه السلام)، و لكن الأيدى الخائنه التى تسعى إلى تزوير الحقائق، و إلى سرقه جواهر كلام على (عليه السلام)، قد نسبت ذلك إلى عمرو بن أميه. و لكن اللّه يأبى إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون، و المشركون، و أن يفتضح الفجار و المزورون لحقائق الدين و الإيمان، و أن يحل بهم الخزى و العار، و أن يصيبهم الخذلان و الخزى، و البوار، و يكون فيهم كالنار على المنار، و كالشمس فى رابعه النهار، و ينتقم منهم فى الدنيا و الآخره العزيز الجبار.

كتاب النجاشى الأول إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله:

و قالوا أيضا: إن النجاشى أحضر جعفرا رضوان اللّه تعالى عليه و أصحابه، و أسلم على يديه للّه رب العالمين، و كتب بذلك إلى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله): (بسم اللّه الرحمن الرحيم.

إلى محمد رسول اللّه، من النجاشى الأصحم بن أبجر.

سلام عليك يا نبى اللّه و رحمه اللّه و بركاته، من الذى لا إله إلا هو، الذى هدانى للإسلام.

أما بعد ..

فقد بلغنى كتابك يا رسول اللّه فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء و الأرض، إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقا (١) إنه كما قلت، و قد عرفنا ما بعثت به إلينا، و قد قربنا ابن عمك و أصحابه، فأشهد أنكر.

١- الثفروق: الأقماع التى تلصق بالبسر.

رسول اللّه، صادق، مصدق، و قد بایعتک، و بایعت ابن عمک، و أسلمت علی یدیه للّه رب العالمین، و قد بعثت إلیک بابنی أرها بن الأصحم بن أبجر، فإنی لا أملک إلا نفسی، و إن شئت أن آتیک فعلت یا رسول اللّه، فإنی أشهد أن ما تقول حق، و السلام علیک یا رسول اللّه) (۱).۷.

۱- مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۴۸ عن المصادر التالیه: عن السیره النبویه لدحلان ج ۳ ص ۶۷ و ۶۸ و عن السیره الحلبیه ج ۳ ص ۲۷۹ و تاریخ الأمم و الملوک للطبری ج ۲ ص ۶۵۲ و فی (ط أخری) ص ۲۹۴ عن ابن إسحاق، و إعلام الوری ص ۳۰ و فی (ط أخری) ص ۵۶ و البحار ج ۶ ص ۳۹۸ و ۵۶۷ (الطبعه الحجریه) و ج ۱۸ ص ۴۱۹ و ج ۲۰ ص ۳۹۲ و أسد الغابه ج ۱ ص ۶۲ و ۶۳ و أعلام السائلین ص ۴ و ناسخ التواریخ ص ۲۷۳ من تأریخ رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله) و ثقات ابن حبان ج ۲ ص ۹ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۲ ص ۷۹ و حیاه الصحابه ج ۱ ص ۱۰۳ و مجموعه الوثائق السیاسیه ص ۴۶ و فی (ط أخری) ص ۱۰۴ عن جمع ممن تقدم، و عن صبح الأعشی ج ۶ ص ۳۷۹ و ۴۶۶ و ۴۶۷ و سواطع الأنوار للتیمی (خطیه) ورقه ۱۱۴/ ب، و ۱۱۵/ ألف، و رفع شأن الحبشان للسیوطی (خطیه) ورقه ۱۱۰/ ب، و إمتاع المقریزی (خطیه کوپرلو) ص ۱۰۲۱ و الوفاء لابن الجوزی ص ۷۳۵ و راجع: الکامل لابن الأثیر ج ۲ ص ۶۳ و المواهب اللدنیه (بشرح الزرقاوی) ج ۳ ص ۳۷۹ و المستدرک ج ۲ ص ۶۲۴ و تاریخ ابن خلدون ج ۲ ص ۷۹۱ و فی (ط أخری) ج ۲ ق ۲ ص ۳۶ و البدایه و النهایه ج ۳ ص ۸۴ و زاد المعاد لابن القیم ج ۳ ص ۶۰ و ۶۱ و الشفاء للقاضی عیاض ج ۱ ص ۱۶۴ و نشأه الدوله الإسلامیه: ۳۰۲/ ۱۷ و رسالات نبویه ص ۲۹۰ و تأریخ الخمیس ج ۲ ص ۳۰ و الطبقات ج ۲ ق ۱ ص ۱۵ و مدینه البلاغه ج ۲ ص ۲۴۳ و نصب الرایه للزیلعی ج ۴ ص ۴۲۱ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۲ ص ۷۹ و المنتظم ج ۳ ص ۲۸۸ و المصباح المضی ء ج ۲ ص ۳۷.

و کتب النجاشی إلیه (صلّی اللّه علیه و آله) فی جواب کتابه فی تزویج أم حبیبه ما یلی: (بسم اللّه الرحمن الرحیم.

إلی محمد (صلّی اللّه علیه و آله)، من النجاشی أصحمه ..

سلام علیک یا رسول اللّه من اللّه و رحمه اللّه و برکاته.

أما بعد ..

فإنی قد زوجتک امرأه من قومک، و علی دینک، و هی السیده أم حبیبه بنت أبی سفیان، و أهدیتک هدیه جامعه: قمیصا، و سراویل، و عطافا، و خفین ساذجین، و السلام علیک و رحمه اللّه و برکاته) (۱).

و کتب إلی النبی (صلی اللّه علیه و آله) أیضا فی جواب کتابه فی تجهیز المسلمین هذا الکتاب:

(بسم اللّه الرحمن الرحیم.

إلی محمد (صلی اللّه علیه و آله)، من النجاشی أصحمه ..

سلام علیک یا رسول اللّه من اللّه و رحمه اللّه و برکاته، لا إله إلا الذی هدانی للإسلام.

أما بعد ..

فقد أرسلت إلیک یا رسول اللّه من کان عندی من أصحابک المهاجرین من مکه إلی بلادی، و ها أنا أرسلت إلیک ابنی أریحا فی ستین۸.

۱- مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۴۹ عن المصادر التالیه: الوثائق ص ۱۰۶ و فی (ط أخری) ص ۴۸ عن سواطع الأنوار للتیمی ص ۸۱ و الطراز المنقوش لابن عبد الباقی، الباب الأول. و ابن الجوزی ص ۵۶۸ و ۵۶۹ ملخصا و نشأه الدوله الإسلامیه: ۳۰۳/ ۱۸.

رجلا من أهل الحبشه، و إن شئت أن آتیک بنفسی فعلت یا رسول اللّه، فإنی أشهد أن ما تقول حق، و السلام علیک یا رسول اللّه و رحمه اللّه و برکاته) (۱).

رسول النجاشی الأول و هدایاه:

لما طغت قریش و عتت ضد الإسلام و المسلمین، و أفرطوا فی تعذیبهم قال لهم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (لو خرجتم إلی الحبشه، فإن بها ملکا لا یظلم عنده أحد. و هی أرض صدق حتی یجعل اللّه لکم فرجا مما أنتم فیه) (۲).

ثم بعث المهاجرین تحت کفاله جعفر بن أبی طالب رضوان اللّه علیهما (۳).

۱- مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۴۹ عن: الوثائق ص ۴۸ و فی (ط أخری) ص ۱۰۴ عن الطراز المنقوش لابن عبد الباقی و سواطع الأنوار ص ۸۲ و قابل إعلام السائلین ص ۳ و المصباح المضیء ج ۲ ص ۳۷ و موسوعه التاریخ الإسلامی ج ۱ ص ۵۷۶ و ج ۲ ص ۶۶۱.

۲- البحار ج ۱۸ ص ۴۱۲ و مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۴۹ و السنن الکبری للبیهقی ج ۹ ص ۹ و عن فتح الباری ج ۷ ص ۱۴۳ و عن مجمع البیان ج ۳ ص ۴۰۰ و سیر أعلام النبلاء ج ۱ ص ۲۰۸ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۷۰ و عن البدایه و النهایه ج ۳ ص ۸۵ و ۹۲ و موسوعه التاریخ الإسلامی ج ۱ ص ۵۵۵ و عن السیره النبویه لابن هشام ج ۱ ص ۲۱۳ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۲ ص ۴ و ۱۷ و سبل الهدی و الرشاد ج ۱ ص ۲۲ و ج ۲ ص ۳۶۳.

۳- راجع: الجزء الثانی من هذا الکتاب، و مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۵۰. و راجع: و البدایه و النهایه ج ۳ ص ۹۸ عن أبی موسی، و السیره النبویه لابن کثیر ج ۲ ص ۱۱ و راجع: کنز الدقائق ج ۳ ص ۱۷۳ و تفسیر علی بن إبراهیم ج ۱ ص ۱۷۶ و نور الثقلین ج ۱ ص ۵۴۹ و البرهان ج ۱ ص ۴۹۳ و مجمع البیان ج ۹ ص ۲۴۴ و فی أسد الغابه ج ۱ ص ۴۴ (بعث رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) جعفرا فی سبعین راکبا إلی النجاشی ..) و راجع ج ۵ ص ۲۵۰.

و کتب إلی النجاشی فیهم، یوصیه بتکریمهم و قراهم. کما أن أبا طالب رضوان اللّه علیه أیضا کتب إلیه فی هذا المعنی کما تقدم فی الأجزاء الأولی من هذا الکتاب، حین استعرض أحداث هجره المسلمین إلی الحبشه.

فأقام المسلمون هناک فی رغد من العیش، و أمن من الغوائل، ورد النجاشی مبعوثی قریش ردا قبیحا، و صار تکریمه للمسلمین سببا للثوره علیه، و دفع اللّه تعالی عنه هذه المکائد.

و قد تقدم: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) کتب إلی النجاشی مع عمرو بن أمیه فی الدعوه إلی الإسلام- و الظاهر: أن المکتوب إلیه هو النجاشی الثانی- فآمن و صدق، و کتب إلیه أیضا فی تزویج أم حبیبه، فزوجها منه (صلی اللّه علیه و آله)، و کتب إلیه أیضا فی إرسال جعفر صلوات اللّه علیه، و من معه من المسلمین، فجهزهم و أرسلهم فی سفینتین مع هدایا، و مع الوفد الذی أرسله، لینظروا إلی کلامه و مجلسه و مشربه، فیشاهدوا آیات رسالته، و أعلام نبوته، و أن زیه لیس هو زی الملوک و الجبابره.

فوافوا المدینه، و أکرمهم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) حتی قام یخدمهم بنفسه الشریفه، فقال أصحابه: نحن نکفیک یا رسول اللّه.

فقال: إنهم کانوا لأصحابی مکرمین، و إنی أحب أن أکافیهم، و قرأ

علیهم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) القرآن، فبکوا، و رجعوا إلی النجاشی (۱).

الإقرار للنجاشی الأول بالملک:

و قد خاطب النبی (صلی اللّه علیه و آله) النجاشی بعنوان (ملک الحبشه)، و لم یخاطب کسری و لا قیصر و لا المقوقس بذلک .. لأنه (صلی اللّه علیه و آله) کان علی یقین من إیمان النجاشی، ثم من عقله، و حسن تدبیره،۱.

۱- اخترنا هذه النصوص من کتاب مکاتیب الرسول للعلامه الأحمدی (رحمه اللّه) تعالی فراجعه، و راجع أحداث هجره الحبشه فی مختلف کتب السیره و التاریخ، و منها علی سبیل المثال: المصنف لعبد الرزاق ج ۵ ص ۲۸۴ و حیاه الصحابه ج ۱ ص ۳۳۱ و مستدرک الحاکم ج ۴ ص ۲۱ و تأریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۸۸ و ج ۲ ص ۲۱ و المعجم الکبیر للطبرانی ج ۲۵ ص ۲۱۸- ۲۲۳ و کشف الأستار ج ۲ ص ۲۹۷ و الدلائل للبیهقی ج ۲ و ج ۴ ص ۳۴۴ و البحار ج ۱۸ ص ۴۱۰ و ج ۲۱ ص ۱۹ و ۲۳ و ۲۴ و السیره النبویه لابن هشام ج ۱ ص ۳۴۴ و ج ۴ ص ۳ و الدر المنثور ج ۵ ص ۱۳۳ و ج ۲ ص ۳۰۲ و ۳۰۳ و سیره ابن إسحاق ص ۲۱۳ و تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۲۳ و ۲۴ و کنز الدقائق ج ۳ ص ۱۷۳ و مجمع البیان ج ۳ ص ۲۳۳ و ج ۹ ص ۲۴۴ و نور الثقلین ج ۱ ص ۵۴۶ و البرهان (تفسیر) ج ۱ ص ۴۹۳ و تفسیر القمی ج ۱ ص ۱۷۶ و الشفاء للقاضی عیاض ج ۱ ص ۲۵۹ و البدایه و النهایه ج ۳ ص ۶۶ و ج ۴ ص ۲۶۲ و ۲۰۵ و الکامل فی التاریخ ج ۲ ص ۷۶ و تاریخ الأمم و الملوک (ط دار المعارف بمصر) ج ۲ ص ۳۲۸ و عن السیره الحلبیه ج ۱ ص ۳۶۰ و ج ۳ ص ۵۶ و السیره النبویه لدحلان (بهامش الحلبیه) ج ۱ ص ۲۵۱ و ج ۲ ص ۲۵۱.

و أمـانته، و عـدله، فـإنه ملـك لاـ يظلم عنـده أحـد، كما تقـدم، فلم يكن هناك أى محـذور من الإقرار له بالملك على قومه، و تفويض تدبير أمورهم إليه، فإنه أحرى بذلك من كل أحد ..

و هكذا فعل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

سلام عليك:

و كان النبى (صـلى اللّه عليه و آله)- كما قلنا- يكتب إلى المسـلم: سـلام عليك، أو سـلم أنت، أو نحو ذلك، و يكتب إلى غير المسلم: السلام على من اتبع الهدى.

و قد لاحظنا هنا: أنه (صلى اللّه عليه و آله) يبدأ كتابه للنجاشى بقوله:

(سلام عليك، أو سلم أنت).

و هـذا يشـير إلى: أنه (صـلى اللّه عليه و آله) كـان يعلم بقبول النجاشـى بكـل ما يرضـى اللّه سـبحانه، و لا يتوقع منه أى تلكؤ أو اسـتكبار عن قبول الدعوه الإلهيه، فهو يؤمن بعيسـى (عليه السـلام)، من حيث إنه يرى: أن فى ذلك الإيمان رضاه تعالى، و لا بد أن يتواصل و يستمر هذا الإيمان، و لا ينقطع.

بل هو يتنامى و يكبر و يتحول تلقائيا إلى الإسلام.

أحمد إليك اللّه:

و لسـنا بحاجه للإشاره إلى: أنه (صـلى اللّه عليه و آله) قد ساق حمده للّه حتى أوصـله إلى النجاشـى، ليؤنسه و يسره به، و ليحببه إليه، و لم يفعل ذلك مع كسرى و قيصر ..

و فى هذا دلاله أخرى على: أن النجاشى قريب إلى اللّه تعالى، و هو يأنس

بحمده، و الثناء عليه، و لا يغتر بملكه و طاعه الناس له، إلى حد الشعور بالاستغناء عنه تعالى، و الاستكبار عن طاعته ..

الملک:

و قد تقدم: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد خاطب النجاشي: بأنه (ملك الحبشه) و لكنه عاد و ذكّره: بأن اللّه تعالى هو الملك على الإطلاق، و له دون سواه الملك الحقيقى، الذى لا يخضع فى مالكيته إلى جعل، و إنشاء من أحد، و أما من سواه، فمالكيته و سلطانه محتاج إلى إنشاء و اعتبار و جعل من قبل من بيده الأمر، و هو المالك الحقيقى، و الخالق، و المهيمن.

القدوس:

ثم عقب ذلك بذكر. سائر صفات اللّه سبحانه، و التى يحاول الملوك، أن يستأثروا بها لأنفسهم، بنحو أو بآخر. فذكر من ذلك صفه (القدوس) التى هى من صيغ التكثير و التشديد (المبالغه) فى تقديس اللّه و تنزيهه عن أى نقص، أو عجز، أو عيب، أو حاجه و ما إلى ذلك.

فلا معنى لأن ينسب إليه أحد ظلما، أو جهلا، أو بخلا، أو .. أو ..

و بمقايسه بسيطه يتجلى للإنسان عجزه حتى لو كان ملكا، و تظهر له عيوبه، و يشعر بأنه محتاج إلى غيره، حتى إلى رعيته، أو إلى بعضهم، ليرفع نقائصه، و ليصل إلى مراداته.

و المفروض بهذا الشعور الداخلى، و الإقرار الوجدانى، أن ينتهى به إلى التسليم للّه الملك القدوس، و أن يطلب منه سبحانه تلبيه حاجاته، و تقويه ضعفه، و إكمال نقصه، و رفع عجزه ..

السلام، المؤمن:

و رغم أن اللّه مالك، و أن مقتضـی ألوهيته أن يكون عباده مطيعين، خاضعين، منقادين له .. فإن الناس، سواء فی ذلک الملوک أم السوقه يستكبرون على ربهم، و لاـ يخضعون، و لا ينقادون له، و لا يطلبون حاجاتهم منه، و لا يعترفون بضعفهم أمام قوته، و بنقصهم أمام كماله، و بفقرهم أمام غناه و .. و ..

و لكنه تبارک و تعالی لاـ يعاملهم بما يستحقون، و لاـ يعاجلهم بالعقوبه على ما يقترفون، و لاـ يبادرهم بالانتقام رغم أنهم مجرمون. بل هو السلام الحانی، و المؤمن لهم من كل ما يخافون و يحذرون، و هو التواب على من تاب، و المؤمن لهم من العذاب.

أما سلام الملوک، فإنه يفرض بالقوه، و هو ليس فی حقيقته سلام، بل هو إذلال و قهر .. و لذلک الأمن الذی يأتی من قبلهم فإنه يكون خوفا و استكانه، و استخذاء، و خمودا ..

المهيمن:

و لم تكن صفه السلام و المؤمن فيه تعالى، من أجل أنه فاقد للسيطره، و غير متمكن من الإمساک بمقاليد الأمور بسبب قله خبره، أو انحسار سلطان، أو ضعف فی مستوى مراقبه الأحوال ..

بل من أجل أنه تعالى: يمنح السلام و الأمن لمستحقيه و طالبيه من موقع الشاهديه، و الرقابه، و الإمساک بالأمور بصوره حقيقيه، و بقدره و فاعليه، فكان المهيمن و الشاهد. لا بواسطه الاستعانه بغيره، و لا بالاعتماد

على الوسائل المتاحه له، كما هو حال ملوك الأرض، بل بالقدره الذاتيه، و الشاهديه الحقيقيه ..

العزيز الجبار المتكبر:

و اللّه تعالى هو العزيز، الجبار، المتكبر على نحو الحقيقه، و أما ملوك الأرض فإنهم يدّعون ذلك لأنفسهم، و لكن على سبيل تسميه الأمور بغير أسمائها الحقيقيه، فيصورون ذلهم و مهانتهم عزا و كرامه، و يصورون ضعفهم الذى يجرهم إلى ظلم الآخرين- على قاعده: و إنما يحتاج إلى الظلم الضعيف (۱)- جبروتا، و بطشا و قوه ..

كما أن صغر أنفسهم حين يغطونه بانتفاخات كاذبه يسمونه كبرياء، مع أن جبروت اللّه هو عين عدله، و عزته تبارك و تعالى كرامه كامنه فى حقيقه ذاته، و تتجلى فى المظاهر المشيره إلى عظمته ..۲.

۱- من دعاء السجاد (عليه السلام) يوم الأضحى و الجمعه، راجع: الصحيفه السجاديه (ط مؤسسه المهدى قم) ص ۳۴۹- ۳۵۳. و راجع: المقنعه للمفيد ص ۱۲۹ و مصباح المتهجد ص ۲۷۰ و ۲۷۴ و ۴۲۳ و مكارم الأخلاق ص ۲۹۵ و إقبال الأعمال ج ۱ ص ۲۵۰ و ۳۲۶ و ۵۰۱ و من لا يحضره الفقيه ج ۱ ص ۴۹۱ و تهذيب الأحكام ج ۳ ص ۸۸ و المزار لابن المشهدى ص ۴۷۱ و عن إقبال الأعمال ج ۱ ص ۲۰۵ و ۳۲۶ و ۵۰۱ و ج ۲ ص ۱۸۱ و جمال الأسبوع ص ۱۱۱ و ۱۳۳ و ۲۶۶ و البحار ج ۵ ص ۵۳ و عن ج ۸۴ ص ۲۰۳ و ۲۶۱ و ۲۶۸ و عن ج ۸۶ ص ۲۹۵ و عن ج ۸۷ ص ۳۲۹ و عن ج ۸۸ ص ۲۴ و عن ج ۹۵ ص ۱۸ و ۱۳۱ و ۲۰۸ و ۲۸۶ و نور البراهين ج ۲ ص ۳۰۶ و ميزان الحكمه ج ۳ ص ۱۹۱۴ و جامع البيان ج ۱۷ ص ۸۲.

شهاده رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لعیسی أولا:

و الذی یستوقف الباحث هنا: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) نفسه و قبل أن یطلب من غیره شیئا قد بادر إلی الشهاده لعیسی (علیه السلام)، بما یعتقده فیه، و فی أمه علی نبینا و آله و علی عیسی و أمه الصلاه و السلام، فقال:

أشهد أن عیسی بن مریم روح اللّه.

و قد اقتصرت شهادته علی النقطه المحوریه للخلاف فی أمر عیسی (علیه السلام)، و هی نقطه الارتکاز للدیانه المسیحیه کلها، حتی إذا تعرضت هذه النقطه لأی اهتزاز، فإن ذلک سوف یزعزع بناء تلک الدیانه کله، و یسقط الهیکل علی رؤوس أصحابه .. ألا و هی قضیه خلق عیسی، فقرر أنه (علیه السلام) مخلوق للّه تعالی، حین وصفه بأنه روح اللّه و کلمته ..

أی أنه روح خلقه اللّه بحکمته، و اختاره و اصطفاه، و أضافه إلی نفسه، من بین سائر الأرواح.

و هو کلمه اللّه أیضا؛ لأنه ولد من غیر أب، بل بواسطه کلمته، و هی قوله تعالی: کُنْ .. فکان.

فإن کان عیسی (علیه السلام) روحا مخلوقا للّه عز و جل، بواسطه أمره التکوینی. و إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ (۱). فهو مخلوق محدث، لا یحمل أی عنصر إلهی، و هذا بالذات هو ما تقضی به العقول، و تهدی إلیه الفطره السلیمه و الصافیه ..س.

۱- الآیه ۸۲ من سوره یس.

مریم البتول، الطیبه، الحصینه:

ثم إنه (صلی اللّه علیه و آله) قد شهد لمریم بثلاثه أوصاف هی:

۱- البتول: و تعنی: المرأه المتبتله التی قررت الانقطاع عن الرجال، من حیث إنها تلتزم العفه و العصمه عن کل ما لا یرضاه اللّه فی هذا الإتجاه، أو المنقطعه إلی اللّه تعالی عن الدنیا و زینتها، أو کما قال أحمد بن حنبل: (لانقطاعها عن نساء أهل زمانها، و نساء الأمه عفافا، و فضلا، و دینا، و حسبا) (۱).

فعن علی (علیه السلام): أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) سئل ما البتول، فإنا سمعناک یا رسول اللّه تقول: إن مریم بتول، و فاطمه بتول؟

فقال (صلی اللّه علیه و آله): البتول التی لم تر حمره قط. أی لم تحض فإن الحیض مکروه فی بنات الأنبیاء (۲).۲.

۱- راجع: لسان العرب (نشر أدب الحوزه- قم) ج ۱۱ ص ۳۴ ماده: بتل. و راجع: النهایه فی اللغه، ماده بتل أیضا. و الکافی ج ۵ ص ۵۰۹ و معانی الأخبار ص ۶۴ و المزار الکبیر لابن المشهدی ص ۷۸ و البحار ج ۶ ص ۶۴ و ج ۱۴ ص ۳۰۰ و ج ۴۳ ص ۱۵ و عن ج ۹۷ ص ۲۰۱ و مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۳۵ و تحفه الأحوذی ج ۴ ص ۱۷۱ و اللمعه البیضاء ص ۲۰۳ و بیت الأحزان ص ۲۶ و السیده فاطمه الزهراء للبیومی ص ۱۰۹.

۲- علل الشرائع ج ۱ ص ۱۸۱ و معانی الأخبار للصدوق ص ۶۴ و مشرق الشمس للبهائی العاملی ص ۳۲۵ و روضه الواعظین ص ۱۴۹ و مستدرک الوسائل ج ۲ ص ۳۷ و دلائل الإمامه ص ۱۵۰ و مستدرک سفینه البحار ج ۱ ص ۲۷۷ و البحار ج ۴۳ ص ۱۵ و ۱۶ و ج ۷۸ ص ۱۱۲ و مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۳۵ و کشف الغمه ج ۲ ص ۹۲.

و البتل: القطع، و منه قیل لمریم: البتول و لفاطمه (علیها السلام)، لانقطاعها عن نساء زمانها، دینا و فضلا، و رغبه فی الآخره (۱).

و التبتل: الانقطاع إلی عباده اللّه (۲).

و امرأه متبتله: کل جزء منها یقوم بنفسه فی الحسن (۳).

و قیل لفاطمه البتول: لانقطاعها عن الأزواج غیر علی (علیه السلام) أو لانقطاعها عن نظرائها فی الحسن و الشرف (۴).

أو لأنها تبتلت عن النظیر (۵).

۲- الطیبه: أی الطاهره التی صرح اللّه تعالی بطهارتها، عما نسبه الیهود إلیها حین قالوا لها: یا أُخْتَ هارُونَ ما کانَ أَبُوکِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ ما کانَتْ أُمُّکِ بَغِیًّا (۶).

و قال تعالی: وَ إِذْ قالَتِ الْمَلائِکَهُ یا مَرْیَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاکِ وَ طَهَّرَکِ وَ اصْطَفاکِ عَلی نِساءِ الْعالَمِینَ (۷).

۳- الحصینه: و هی المرأه العفیفه- المتشدده فی عفتها، المتمنعه بها، کمان.

۱- سبل السلام لابن حجر ج ۳ ص ۱۱۱ و شرح مسلم للنووی ج ۹ ص ۱۷۶.
۲- الکافی هامش ج ۲ ص ۳۷۹ و من لا یحضره الفقیه ج ۱ ص ۵۷ و التبیان ج ۱۰ ص ۱۶۴ و الجامع لأحکام القرآن ج ۱۹ ص ۴۴.
۳- رسائل المرتضی ج ۴ ص ۸۵.
۴- فتح الباری ج ۹ ص ۹۶.
۵- مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۳۵ عن ابن الهروی.
۶- الآیه ۲۸ من سوره مریم.
۷- الآیه ۴۲ من سوره آل عمران.

يتمنع المحارب فى حصنه ..

فخلقه من روحه و نفخه:

و بعد التلويح جاء التصريح: بأن عيسى (عليه السلام) مخلوق محدث، و أن اللّه سبحانه قد خلقه من روح اختاره و اصطفاه، و نسبه إلى نفسه كما ينسب الشى ء إلى مالكه و صاحبه، فيقال: بيته، و قميصه، و نحو ذلك ..

ثم بين كيفيه هذا الخلق و أنه بنفخ الروح فيه بعد تكونه فى بطن أمه مريم جنينا كاملا ..

كما خلق آدم عليه السّلام بيده و نفخه:

ثم بالغ فى تحديد كيفيه الخلق و أسبابه و شؤونه حين قرر: أن خلقه مثل خلق آدم (عليه السلام)، فإن اللّه تعالى خلقه بيده، أى بقدرته التى يعبر عنها باليد، كما قال تعالى: يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ (۱). أى أن قدره اللّه و بطشه فوق قدرتهم و بطشهم، و لكن بما أن البطش، و إعمال القدره إنما يكون بواسطه اليد؛ فإنه تعالى أورد هذه الكلمه أيضا إمعانا فى تجسيد المعنى إلى حد أصبح شيئا يناله الإنسان بحواسه الظاهره. فقد تجلت القدره و تجسدت آثارها حتى أصبحت و كأنها يد ظاهره للعيان ..

ثم أشار إلى كيفيه حلول الروح فى جسد آدم و عيسى (عليهما السلام)، و قال: إن ذلك قد جاء بطريقه النفخ، الذى هو عباره عن الإيجاد و التكوين المباشر فى داخل الجسد نفسه ..ح.

۱- الآيه ۱۰ من سوره الفتح.

الموالاه علی طاعه اللّه عز و جل:

و بعد أن دعا النبی (صلی اللّه علیه و آله) النجاشی إلی شهاده أن لا إله إلا اللّه،- و قد تحدثنا عن هذه الشهاده حین الکلام عن رسالته (صلی اللّه علیه و آله) لکسری- طلب منه الموالاه علی طاعه اللّه سبحانه. فیکون بذلک قد حدد المنطلق و الإطار للعلاقه الروحیه، و لطریقه تعامله مع جمیع البشر و یدخل فی هذا السیاق إرشاد الناس إلی المعاییر، و الضوابط، من خلال المبادره منه (صلی اللّه علیه و آله) نفسه إلی التعامل مع الناس علی أساسها، و من خلالها، و یسوقهم بذلک إلی السعی للحصول علی وضوح الرؤیه، و الاستفاده من جمیع القدرات، و الطاقات التی زودهم اللّه تعالی بها بصوره صحیحه ..

و لا- یکل ذلک إلی الأهواء و المیول، و نزوات الغرائز، و هذا النهج من شأنه إذا اتبعوه: أن یخرجهم من العشوائیه و الإبهام، و الغموض، إلی آفاق بالغه الصفاء، شدیده الوضوح، وفقا لقوله تعالی: وَ کَذلِکَ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتابُ وَ لَا الْإِیمانُ وَ لکِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِی بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا وَ إِنَّکَ لَتَهْدِی إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ (۱).

و قال: لِیَهْلِکَ مَنْ هَلَکَ عَنْ بَیِّنَهٍ وَ یَحْیی مَنْ حَیَّ عَنْ بَیِّنَهٍ (۲).

و قال أیضا: أَ فَمَنْ کانَ عَلی بَیِّنَهٍ مِنْ رَبِّهِ کَمَنْ زُیِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ (۳).

و الآیات المشیره إلی هذا المعنی کثیره ..د.

۱- الآیه ۵۲ من سوره الشوری.

۲- الآیه ۴۲ من سوره الأنفال.

۳- الآیه ۱۴ من سوره محمد.

أدعوک و جنودک:

و بعـد ذکر أمور أخری- أشـرنا إلی بعض دلالاتهـا حین تکلمنا عن رسالته (صـلی اللّه علیه و آله) إلی کسـری- قال (صـلی اللّه علیه و آله) للنجاشی: (و إنی أدعوک و جنودک إلی اللّه عز و جل ..).

و الأـمر الشـائع بین الناس هو خضوع الجنـد لقادتهم و لملوکهم فیما یعرضونه علیهم، حیث یکون کل همهم و سـعیهم محصورا فی تنفیذ أوامرهم، و الکون رهن إشارتهم فی إقامه صرح العدل، أو فی إشاعه الذل و الظلم و التعدی علی حد سواء ..

و من الواضح: أن الجنود هم الأداه التی یعتمد علیها الملوک فی بسط سـلطانهم و نفوذهم، و بهم یوسـعون دائره حکمهم، و هم الأدوات التی یستفیدون منها فی قهر الناس، و فی ظلمهم و ابتزاز حقوقهم ..

و لکن رسول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله) .. قـد وجه خطابه إلی هؤلاء بالاسـتقلال عن قائـدهم النجاشـی، لیثیر لـدیهم الإحساس بهـذه الاسـتقلالیه، و لإفهـامهم أن هنـاک أمورا لاـ یجوز لأحـد أن یقررهـا لهم، أو أن ینوب عنهم فیهـا. و من ذلـک معرفه اللّه سبحانه و الخضوع له، و الاعتراف بالأنبیاء المرسلین و الطاعه لهم، و العمل بأحکامه تعالی و شرائعه، و الالتزام بأوامره و نواهیه.

و یلاحـظ: أنه (صـلی اللّه علیه و آله) لم یـذکر ذلـک فی کتـابه لکسـری و قیصـر، و المقـوقس؛ لأـنه کـان عارفـا بـأنهم سـوف یسـتکبرون عن قبول دعوته، فضـلا عن أن یفسحوا المجال لدعوه أی کان من الناس إلی دین الحق، فکیف إن کانوا من جندهم الذین یعتمدون علیهم فی استمرار

تسلطهم على الآخرين، و يستخدمونهم بمثابه أدوات للبطش، و الإذلال و القهر و العدوان على الناس.

هذا .. و ليس فى الرساله: أن على النجاشى إثم أحد من الناس، بخلاف رساله كسرى و قيصر و المقوقس؛ فإنه قد حمّلهم إثم أقوامهم فى صوره عدم قبولهم دعوته ..

الفصل الخامس: کتاب النبی صلّی اللّه علیه و آله إلی النجاشی الثانی

اشاره

كتاب النبى صلّى اللّه عليه و آله إلى النجاشى الثانى:

تقدم: أن الرسول (صلى اللّه عليه و آله) قد كتب فى سنه ست أو سبع إلى كسرى و قيصر، و النجاشى، و المقوقس، و غيرهم بنسخه واحده، يدعوهم فيها إلى الإسلام، و فى هذه الكتب كلها كتب الآيه المباركه: قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَهٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

و نص كتابه إلى هؤلاء، واحد كما تقدم .. و هو يختلف عن النص الذى قدمنا: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد كتبه للنجاشى الأول.

و النص الذى ذكرناه يدل: على أن ذلك الكتاب قد أرسل إلى النجاشى الأول حين هجره جعفر و المسلمين إلى الحبشه، مما يدل على: أن الذى كتبه فى سنه سبع كان موجها إلى نجاشى آخر غير النجاشى الأول، فلاحظ ما يلى:

١- قول أنس: (إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كتب إلى كسرى و إلى قيصر، و إلى النجاشى، و إلى كل جبار يدعوهم إلى اللّه تعالى، و ليس

بالنجاشی الذی صلی علیه النبی (صلی اللّه علیه و آله) ..) (۱).

۲- إن النجاشـی الأول الذی مدحه النبی (صـلی اللّه علیه و آله)، و هاجر إلیه المسـلمون قد أسـلم علی ید جعفر بن أبی طالب و آمن به (صـلی اللّه علیه و آله)، و قد روی عن الحسن بن علی العسـکری (علیهما السـلام) عن آبائه (علیهم السـلام): (أن رسول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله) لما أتاه جبرئیل (علیه السلام) بنعی النجاشی بکی بکاء الحزین علیه، و قال: إن أخاکم أصحمه- و هو اسم النجاشـی- مـات، ثم خرج إلی الجبانه و صـلی علیه و کبر سـبعا، فخفض اللّه له کل مرتفع حتی رأی جنازته و هو بالحبشـه (۲). و کان ذلک من معجزاته (صلی اللّه علیه و آله).۹.

۱- الـدر المنثـور ج ۳ ص ۷ عـن أبی الشـیخ، و ابن مردویه، و عن صـحیح مسـلم، و الجـامع الصـحیح للترمـذی ج ۵ ص ۶۸ و مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۳۷ و میزان الحکمـه ج ۴ ص ۳۲۱۴ و صـحیح مسلم ج ۵ ص ۱۶۶ و شـرح مسلم للنووی ج ۱۲ ص ۱۱۲ و نصب الرایه ج ۶ ص ۵۵۹ و فتح القدیر ج ۲ ص ۱۰۶ و عن البدایه و النهایه ج ۴ ص ۲۹۹ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۴۹۴ و سبل الهدی و الرشاد ج ۱۱ ص ۳۴۵.

۲- راجع: البحـار ج ۱۸ ص ۴۱۸ و ج ۷۸ ص ۳۴۸ و الأقطـاب الفقهیه لاـبن أبی جمهور ص ۶۵ و عیون أخبـار الرضا ج ۲ ص ۲۵۲ و الخصـال ص ۳۵۹ و ۳۶۰ باب السـبعه حـدیث رقم ۴۷ و الوسائـل (ط مؤسـسه أهـل البیت) ج ۳ ص ۱۰۷ و مستدرک الوسائل ج ۲ ص ۲۷۵ و مسـتدرک سفینه البحار ج ۹ ص ۵۴۱ و مسـند الإمام الرضا ج ۲ ص ۴۱۷ و ۴۹۰ و عوالی اللآلی ج ۲ ص ۶۰ و راجع: المنـاقب لابن شـهر آشوب ج ۱ ص ۱۴۶ و مجمع البیـان ج ۲ ص ۵۶۱ و الکشاف (ط سـنه ۱۴۰۶ ه) ج ۱ ص ۴۵۹.

أما الذی کتب إلیه حین کتب إلی الملوک و الجبارین فهو النجاشی الثانی الذی استولی علی السلطه بعد وفاه النجاشی الأول ..

و قد زعموا: أنه هو الذی خرق کتاب رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و أنه (صلی اللّه علیه و آله) قال: (إنی کتبت بکتابی إلی النجاشی فخرقه، و اللّه مخرق ملکه) (۱).

و نحن نقول:

إن ذلک غیر دقیق، فإن الظاهر هو: أن هناک ملوکا ثلاثه من ملوک الحبشه کلهم عاصر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و سیتضح ذلک فیما یأتی.

النجاشی ثلاثه، أسلم منهم اثنان:

بل إننا نستقرب: أن یکون ثلاثه من ملوک الحبشه قد عاصروا رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و قد کاتبهم (صلی اللّه علیه و آله) جمیعا، و هم:

۱- النجاشی الأول، الذی أرسل النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلیه جعفر، و أرسل إلیه الرساله الأولی التی قدمناها و شرحناها، و قد أسلم هذا و آمن ..۵.

۱- راجع: مسند أحمد ج ۴ ص ۷۵ و تهذیب تاریخ ابن عساکر ج ۱ ص ۱۱۴ و حیاه الصحابه ج ۱ ص ۱۰۷ و نصب الرایه ج ۴ ص ۴۱۸ و راجع: مجمع الزوائد ج ۸ ص ۲۳۵ و المنتظم ج ۳ ص ۲۸۹ و مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۱۶ و کنز العمال ج ۱ ص ۲۶۸ و عن البدایه و النهایه ج ۵ ص ۲۰ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۴ ص ۲۸ و سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۴۵۸ و ج ۱۱ ص ۳۵۵.

۲- النجاشی الثانی، الذی مات حین زواج النبی (صلی اللّه علیه و آله) بأم سلمه، فی أول الهجره. حسبما ورد فی الروایه المتقدمه ..

و الظاهر من روایه أنس المتقدمه: أنه توفی قبل سنه ست أو سبع، أی قبل کتابه النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلی الملوک و الجبارین.

فقول من قال: إنه مات سنه تسع، أو بعد غزوه مؤته، أو سنه ثمان (۱)، لا مجال لقبوله ..

و ربما یکون القول بوفاته سنه تسع ناشئا عن الاشتباه فی قراءه الکلمه، حیث یکثر تصحیف کلمه (سبع) بکلمه (تسع) بسبب اتحادهما فی الشکل مع عدم وجود النقط فی الحروف فی تلک العصور ..

و الحاصل: أن النجاشی الأول رحمه اللّه قد مات- علی ما یظهر- فی أول الهجره، و النجاشی الثانی مات فی سنه سبع، أو فی آخر سنه ست، ثم تولی الحکم بعده النجاشی الثالث، فکتب إلیه (صلی اللّه علیه و آله)، فخرق الکتاب، و أخبر (صلی اللّه علیه و آله) بتخریق ملکه ..

و مما یدل علی موت النجاشی الأول فی أوائل الهجره: أن أم کلثوم.

۱- راجع هذه الأقوال فی: البدایه و النهایه ج ۴ ص ۲۷۷ و أسد الغابه ج ۱ ص ۹۹ و الإصابه ج ۱ ص ۱۰۹ و ۱۰۲ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۳۰ و البحار ج ۲۱ ص ۳۶۸ و عن العبر و دیوان المبتدأ و الخبر ج ۲ ص ۸۲۶ و الکامل ج ۲ ص ۲۹۳ و راجع: عمده القاری ج ۱۷ ص ۱۵ و فتح الباری ج ۷ ص ۱۴۶ و عن تاریخ الأمم و الملوک. ج ۳ ص ۱۲۲ و مرآه الجنان ج ۱ حوادث سنه تسع، و زاد المعاد ج ۳ ص ۶۰ و مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۳۸ عنهم، و عن السیره النبویه لدحلان ج ۳ ص ۶۹ و عن السیره الحلبیه ج ۳ ص ۱۸۰ و غیر ذلک کثیر.

قالت: (لما بنى النبى (صلى اللّه عليه و آله) بأم سلمه)، قال:

(قد أهديت إلى النجاشى أوراقا من مسك و حليه، و إنى لأراه قد مات.

و لا أرى الهديه إلا سترد علىّ ..) فكان كما قال (۱).

و كان زواج النبى (صلى اللّه عليه و آله) بأم سلمه فى السنه الرابعه (۲).

و قيل: فى السنه الثالثه (۳)، أو فى الثانيه (۴).۸.

۱- مجمع الزوائد ج ۸ ص ۲۸۹ و راجع: المعجم الكبير ج ۲۵ ص ۸۱ و ج ۲۳ ص ۳۵۳ و مكاتيب الرسول ج ۲ ص ۴۳۹ و عن البدايه و النهايه ج ۴ ص ۳۱۷ و السيره النبويه لابن كثير ج ۳ ص ۵۲۵ و الخلاف و الوفاق لعلى بن محمد القمى ص ۳۷۰ عن الخلاف ج ۳ ص ۵۵۵ و الإقناع للحجاوى ج ۲ ص ۳۲ و مغنى المحتاج للشربينى ج ۲ ص ۴۰۰ و إعانه الطالبين ج ۳ ص ۱۷۵ و دلائل النبوه ص ۱۵۰ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۱۰۹ و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۹۵ و الآحاد و المثانى ج ۶ ص ۲۲۶.

۲- الإصابه ج ۴ ص ۴۵۸ و البدايه و النهايه ج ۴ ص ۹ و راجع: تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۰ و تنقيح المقال ج ۳ ص ۷۲ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۳ و سيره مغلطاى ص ۵۵ و الإستيعاب (مطبوع مع الإصابه) ج ۴ ص ۴۲۱ و ۴۲۲ و سير أعلام النبلاء ج ۱۶ ص ۱۰۰ و شرح مسند أبى حنيفه ص ۲۰۳ و الطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ۸ ص ۲۱۷ و معرفه الثقات ج ۱ ص ۹۷ و عن أسد الغابه ج ۳ ص ۱۹۶.

۳- راجع: المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۴۴ و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۸۷ و معرفه الثقات ج ۱ ص ۹۷ و عن فتح البارى ج ۱ ص ۳۲۴ و سير أعلام النبلاء ج ۱۶ ص ۱۰۰.

۴- راجع: تنقيح المقال ج ۳ ص ۷۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۶ و سيره مغلطاى ص ۵۵ و المستدرك للحاكم ج ۴ ص ۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۱۴۵ و تاريخ مدينه دمشق ج ۳ ص ۲۰۸.

فلما مات النجاشی الأول تولی العهد بعده النجاشی الثانی، فراسله أیضا رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و دعاه إلی الإسلام، فأسلم أیضا. کما دلت علیه روایه زراره، عن أبی جعفر علیه السلام: أنه (کان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بعث قبل أن یسیر إلی خیبر عمرو بن أمیه الضمری إلی النجاشی عظیم الحبشه، و دعاه إلی الإسلام، و کان أمر عمروا أن یتقدم بجعفر و أصحابه. فجهز النجاشی جعفرا و أصحابه بجهاز حسن، و أمر لهم بکسوه، و حملهم فی سفینتین) (۱).

و لعل هذا هو الذی مات آخر سنه ست، أو فی أول سنه سبع، و الظاهر: أنه هو الذی أرسل وفدا إلی المدینه للتحقیق فی أمر نبوه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) (۲).

کما أنه هو الذی کتب إلیه النبی (صلی اللّه علیه و آله) فی تزویج أم حبیبه، فزوجه إیاها، و أصدقها النجاشی نفسه أربعه آلاف درهم (۳).نن

۱- راجع: إعلام الوری ج ۱ ص ۲۱۰ و البحار ج ۲۱ ص ۲۳ و مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۴۵ و الطبقات الکبری ج ۱ ص ۲۵۸ و تاریخ مدینه دمشق ج ۴۵ ص ۴۳۰.

۲- الدر المنثور ج ۲ ص ۳۰۲ و ۳۰۳ و البدایه و النهایه ج ۳ ص ۱۸ و إعلام الوری ص ۶ و تفسیر المیزان ج ۶ ص ۸۵ و أسباب نزول الآیات ص ۱۳۷ و زاد المسیر ج ۲ ص ۳۱۰ و تفسیر الجلالین ص ۳۵۰ و لباب النقول ص ۸۴ و فتح القدیر ج ۲ ص ۶۹.

۳- الوسائل ج ۱۵ ص ۶ و الکافی ج ۵ ص ۲۸۲ و المحاسن للبرقی ص ۲۴۰ و مرآه العقول ج ۲۰ ص ۱۱۱ و من لا یحضره الفقیه ج ۳ ص ۴۷۳ و علل الشرایع ج ۲ ص ۵۰۰ و مکارم الأخلاق ص ۲۳۶ و عن البحار ج ۱۰۰ ص ۳۴۹ و عن سنن

۳- النجاشـی الثالث: و هو الذی نص کتابه یتوافق مع نص کتابه (صـلی اللّه علیه و آله) لکسـری، و قیصر، و المقوقس، و فیه آیه الکلمه السواء، و لم یسلم هذا، بل مزق- هذا الخبیث- کتاب رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فأخبر (صلی اللّه علیه و آله): أن اللّه سیمزق ملکه، حسبما تقدم.

النجاشی یموت و هو مهاجر:

و قد ذکر القمی: أن النجاشی وفد علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فلما عبر البحر توفی رحمه اللّه تعالی (۱).

و یحتمل أن یکون المقصود بهذا الکلام هو النجاشـی الأول، و یحتمل أن یکون المقصود هو الثانی، و لم نسـتطع أن نتحقق من هذا الأمر و زمانه، بسبب قله النصوص.۴.

۱- البحار ج ۱۸ ص ۴۱۶ و مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۵۲ عن ناسخ التواریخ، ترجمه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ص ۲۷۳ و مـدینه البلاغه ج ۲ ص ۲۴۴ و میزان الحکمـه ج ۴ ص ۳۴۲۶ و تفسـیر القمی ج ۱ ص ۱۷۹ و التفسـیر الصافی ج ۲ ص ۷۹ و التفسیر الأصفی ج ۱ ص ۲۹۲ و نور الثقلین ج ۱ ص ۶۶۴.

إخلاص النجاشی:

و مما یدل علی مدی محبه النجاشی لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و اهتمامه بظهور أمره، و إعزاز دینه، ما روی عن أبی عبد اللّه (علیه السلام) قال: (أرسل النجاشی إلی جعفر بن أبی طالب و أصحابه، فدخلوا علیه، و هو فی بیت جالس علی التراب، و علیه خلقان الثیاب.

قال: فقال جعفر (علیه السلام): فأشفقنا منه حین رأیناه علی تلک الحال، فلما رأی ما بنا، و تغیر وجوهنا قال:

الحمد للّه الذی نصر محمدا، و أقر عینه، ألا أبشرکم؟

فقلت: بلی أیها الملک.

فقال: إنه جاءنی الساعه من نحو أرضکم عین من عیونی هناک، فأخبرنی أن اللّه عز و جل قد نصر نبیه محمدا (صلی اللّه علیه و آله)، و أهلک عدوه، و أسر فلان و فلان و فلان، التقوا بواد یقال له: بدر، کثیر الأراک، لکأنی أنظر إلیه حیث کنت أرعی لسیدی هناک، و هو رجل من بنی ضمره.

فقال له جعفر: أیها الملک، فما لی أراک جالسا علی التراب، و علیک هذه الخلقان؟

فقال له: یا جعفر، إنا نجد فیما أنزل اللّه علی عیسی (علیه السلام): أن من حق اللّه علی عباده أن یحدثوا له تواضعا عند ما یحدث لهم من نعمه، فلما أحدث اللّه عز و جل لی نعمه بمحمد (صلی اللّه علیه و آله) أحدثت للّه هذا التواضع.

فلما بلغ ذلک النبی (صلی اللّه علیه و آله) قال لأصحابه: إن الصدقه تزید صاحبها کثره، فتصدقوا یرحمکم اللّه، و إن التواضع یزید صاحبه رفعه،

فتواضعوا یرفعکم اللّه، و إن العفو یزید صاحبه عزا، فاعفوا یعزکم اللّه) (۱).

کتابه صلّی اللّه علیه و آله إلی النجاشی الثالث:

(بسم اللّه الرحمن الرحیم.

هذا کتاب من محمد رسول اللّه، إلی النجاشی الأصحم عظیم الحبشه.

سلام علی من اتبع الهدی، و آمن باللّه و رسوله، و شهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شریک له، لم یتخذ صاحبه و لا ولدا، و أن محمدا عبده و رسوله، و أدعوک بدعایه اللّه، فإنی أنا رسوله، فأسلم تسلم. یا أَهْلَ الْکِتابِ تَعالَوْا إِلی کَلِمَهٍ سَواءٍ بَیْنَنا وَ بَیْنَکُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِکَ بِهِ شَیْئاً وَ لا یَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ، فإن أبیت فعلیک إثم النصاری من قومک) (۲).۱.

۱- راجع: مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۵۴ عن الکافی ج ۲ ص ۱۲۱ و قال راجع: البحار ج ۷۲ ص ۱۲۴ و راجع شرحه هناک، و مرآه العقول ج ۸ ص ۲۴۳ و أمالی الشیخ ج ۱ ص ۱۳ و أمالی المفید ص ۲۳۸ و البدایه و النهایه ج ۳ ص ۳۰۷ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۲ ص ۴۰۴ و الوسائل (ط دار الإسلامیه) ج ۱۱ ص ۲۱۸.
۲- مکاتیب الرسول ج ۲ ص ۴۵۵ و ۴۵۶ عن المصادر التالیه: دلائل النبوه للبیهقی ج ۲ ص ۷۸ و فی (ط أخری) ج ۲ ص ۳۰۸ و زینی دحلان هامش الحلبیه ج ۳ ص ۶۹ و البدایه و النهایه ج ۳ ص ۸۳ عن البیهقی فی الدلائل، و رسالات نبویه ص ۲۹۱ و سیره ابن إسحاق (الجزء المطبوع) ص ۲۱۰ و فی (ط أخری) ص ۲۲۸ و المستدرک للحاکم ج ۲ ص ۶۲۳ و الوثائق: ۱۰۳/ ۲۲ قال: و قابل إعلام السائلین، و شرح المواهب للزرقانی ج ۳ ص ۳۴۶ و نشأه الدوله الإسلامیه ص ۳۰۲ و الأموال لأبی عبید ص ۳۴ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ق ۲ ص ۳۶ و السیره النبویه لابن هشام ج ۲ ص ۴۱.

و يبـدو كمـا قلنـا: أن المقصود بالنجاشـى هنـا: هو النجاشـى الثالث الـذى خرق كتاب رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله) حسـبما أوضحناه آنفا.

هذا .. و قد شرحنا مضامين هذا الكتاب، حين تكلّمنا عن كتابه (صلى اللّه عليه و آله) لكسرى، فيمكن الرجوع إلى هناك.

و حسبنا ما ذكرناه فى هذا السياق، و لننتقل إلى الحديث عن غزوه خيبر فى الفصول التاليه:

الباب الخامس حصون خيبر

اشاره

الفصل الأول: من المـدينه .. إلى خيبر الفصل الثانی: قبل أن يبـدأ القتال الفصل الثالث: فتـح حصن ناعم الفصل الرابع: فتـح سائر حصون النطاه و الشق

ص: ۶۶

الفصل الأول: من المدينه إلى خيبر

اشاره

تقديم:

فقد كانت هدنه الحديبيه قد أعطت الانطباع بأن المسلمين قد أصبحوا قوه كبيره، فرضوا هيبتهم في المنطقه بأسرها .. الأمر الذى دعا قريشا إلى القبول بالهدنه، بعد أن أنهكتها الحروب المتتاليه معهم ..

بل إنه (صلى اللّه عليه و آله) أصبح يعمل على نشر دعوته فى كل بقاع الدنيا، و هو يرسل إلى أعظم ملوك الأرض- طالبا منهم الدخول فى دينه- فى خطاب قوى و حازم.

و لم يعد فى المحيط الذى يعيش فيه قوه كبيره متماسكه، يمكن أن يحسب لها حساب، إلا يهود منطقه خيبر، الذين كانوا قادرين على تجهيز عشره آلاف مقاتل، بل أكثر من ذلك. و هى قوه لا يستهان بها، إذ لديهم حصون منيعه، و قدرات اقتصاديه، و لسوف تكون المواجهه صعبه معهم، و لا سيما إذا أرادوا اتباع أسلوب التسويف، و إتلاف الوقت، بالاستفاده من الحصون الكثيره التى تحت يدهم، التى كان فيها من المؤن، و الأقوات ما يكفى لأشهر طويله.

و ليبقى الجيش الإسلامى، الذى لم يكن يملك الكثير من ذلك، ليبقى فى العراء يعيش الملل، و يكابد لحظات الانتظار الطويله، و الثقيله، دون أن

تلوح له فی الأفق بارقه أمل، و لیرهقه الخمول و الکسل، حیث لا مجال له للقیام بأی عمل ..

و کانت استعراضات یهود خیبر لقوتهم، و ظهور اغترارهم بها، و رکونهم إلیها، قد لفتت الأنظار، و لعلها ترکت آثارا علی بعض الضعفاء فی المنطقه، مثل غطفان، و سواها.

و لکن الأمور قد سارت فی غیر الاتجاه الذی توقعوه، إذ سرعان ما تهاوت أحلامهم، و دکت حصونهم، و خابت آمالهم، و أنجز اللّه تعالی لنبیه وعده، و نصر جنده، و هزم جموع الیهود وحده، و کانت کلمه اللّه هی العلیا، و کلمه الباطل هی السفلی. کما سنبینه فی سیاق حدیثنا هذا.

بدایه:

إن الذی یراجع المصادر و الموسوعات التاریخیه، و الحدیثیه، یلاحظ: أن ثمه فرقا بین ما دوّنوه من أحداث، و أشاروا إلیه من جزئیات و تفاصیل فی تاریخهم لمرحله ما قبل الحدیبیه و خیبر، ثم فی تاریخهم للحدیبیه و لخیبر فما بعدهما ..

حیث یلاحظ: أن المرحله السابقه تعرض فیها الأحداث بما لها من طابع کلی و عام، و لا تجد فیها من الاستغراق فی الجزئیات و التفاصیل ما یقترب إلی مستوی ما حفلت به الأحداث المتأخره عن الحدیبیه ..

و لعل من أسباب ذلک هو: أن الحدیبیه قد أفسحت المجال لاختلاط المسلمین مع غیرهم فی التجارات، و إنشاء العلاقات، و جهر بالإسلام من کان متسترا به، و دخلت فئات کثیره فی هذا الدین، أو کانت تتهیأ لذلک،

و هی تقوم برصد حرکه الواقع، و بملاحقه الأمور بعین الرضا و القبول ..

إما بهدف تحصیل القناعه و الاعتقاد التام، أو من أجل الحفاظ علی المصالح، و الحصول علی الامتیازات، أو ما إلی ذلک ..

و بعد وفاه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) حاول کل أولئک الذین یریدون أن یبرروا لمواقف و سیاسات، و ممارسات، و أقاویل، و مذاهب بعینها- حاولوا- أن یرجعوا إلی هذه الفتره التی عاشوها مع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و استفادوا من مشاهداتهم لحرکاته و سکناته، و مواقفه، و کل أحواله منها، فاتخذوا منها مرتکزا لإنشاء منظومه التعالیم و التوجیهات و السیاسات، و المذاهب الاعتقادیه، و الفقهیه، التی لم تکن لتجد طریقها إلی عقل، و وجدان و حیاه الناس لو لم تستمد شرعیتها من حیاته (صلی اللّه علیه و آله)، و من أقواله، و أفعاله، و مواقفه ..

أما الفتره التی سبقت هذا المفصل التاریخی فقد غاب عنها أکثر هؤلاء، و جهلوا الکثیر من جزئیاتها و تفاصیلها، فأنتج ذلک عجزا عن التوسل بها فی إنشاء تلک المنظومه، وفق ما یریدون، و علی حسب ما یشتهون.

و بعد هذه الإلماحه السریعه نقول:

ماذا عن خیبر؟!

خیبر اسم منطقه تقع علی ثلاثه أیام من المدینه، علی یسار الحاج القادم من الشام. و بینها و بین المدینه ثمانیه برد (و البرید أربعه فراسخ، و الفرسخ ثلاثه أمیال، و کل میل أربعه آلاف خطوه، و کل خطوه ثلاثه أقدام).

و الخیبر بلسان الیهود: هو الحصن، و لذا سمیت خیابر أیضا (۱).

و فی هـذه المنطقه حصون و مزارع، و نخـل کـثیر، حتی قـالوا: کـان فی الکتیبه، أربعون ألف عـذق. و توصف خیبر بکثره التمر (۲).

و فی خیبر ثمانیه حصون، هی: النطاه، و الوطیح، و السلالم، و الکتیبه، و الشق، و الصعب، و ناعم، و القموص.

قـال الماوردی و غیره: (و کان أول حصن فتحه رسول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله) فیها ناعم، ثم القموص، ثم حصن الصـعب بن معاذ. و کان أعظم حصون خیبر، و أکثرها مالا، و طعاما، و حیوانا، ثم الشق، و النطاه، و الکتیبه.

فهـذه الحصون الستـه فتحها النبی (صـلی اللّه علیه و آله) عنوه، ثم افتتح الوطیح و السـلالم، و هو آخر فتوح خیبر صـلحا. بعد أن حاصرهـم.

و ملک من هذه الحصون الثمانیه ثلاثه حصون: الکتیبه، و الوطیح، و السلالم. أما الکتیبه، فأخذها بخمس الغنیمه، و أما الوطیح و السلالم فهما مما أفاء اللّه علیه؛ لأنه فتحهما صلحا، فصارت هذه الحصون الثلاثه بالفی ء) (۳).وک

۱- راجع: تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۴۲ و راجع: تهذیب المقال ج ۵ ص ۴۲۱ و تاج العروس ج ۳ ص ۱۶۸.
۲- راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۱ و سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۵۲ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۱۰.
۳- الأحکام السلطانیه ج ۱ ص ۲۰۰ و راجع: المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۷۰ و ۶۷۱ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۰۹ و عمده الأخبار ص ۳۱۵ و تاریخ الأمم و الملوک

و لکن هذا الکلام الأخیر غیر مقبول فی فقه أهل البیت (علیهم السلام)، و سیأتی البحث عن ذلک إن شاء اللّه.

کما أن ما ذکره: من أن فتح حصن الصعب قد کان بعد فتح حصن القموص غیر دقیق، کما سنذکره إن شاء اللّه تعالی.

خیبر مقدسه!!

قال الصالحی الشامی: (و لابن زباله حدیث: (میلان فی میل من خیبر مقدس).

و حدیث: (خیبر مقدسه و السوارقیه مؤتفکه).

و حدیث: (نعم القریه فی سنیات الدجال خیبر) ..) (۱).

و السوارقیه: (قریه أبی بکر، بین مکه و المدینه، و هی نجدیه، فیها مزارع و نخل کثیر) (۲).

و نقول:

إن الحدیث عن کون خیبر نعم القریه فی زمن الدجال موضع ریب۶.

۱- راجع ما تقدم: فی سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۵۲ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۱۰.
۲- مراصد الاطلاع ج ۲ ص ۷۵۱ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۳۸ و معجم البلدان ج ۳ ص ۲۷۶.

و شک، و لعله من أفائک الیهود أنفسهم.

إلا أن یکون المقصود بهذا الحدیث: أنها تکون موضعا مأمونا، بسبب وجود سبعین ألفا من الیهود مع الدجال، علی کل رجل منهم ساج و سیف محلی (۱).

و من الطبیعی: أن یهتم یهود خیبر بأمر الدجال، ما دام أن الدجال یأتمر بأوامرهم، و ینتهی إلی مقاصدهم ..

و ربما تکون هذه الأحادیث من موضوعات الیهود لتعظیم البلاد التی کانوا یسکنونها، و للإیحاء بأن حرب النبی (صلی اللّه علیه و آله) لهم فیها کانت انتهاکا لحرمه ما هو مقدس ..

علی أننا لا ندری: ما الذی جعل قریه أبی بکر؛ (مؤتفکه) أی تفعل الأفک و الافتراء، دون سائر القری و اللّه هو العالم ..

تاریخ غزوه خیبر:

لما قدم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إلی المدینه من الحدیبیه، و ذلک فی ذی الحجه- کما قال ابن إسحاق- من سنه ست، مکث بها عشرین لیله، أو قریبا منها، ثم خرج فی المحرم إلی خیبر.

و کان اللّه عز و جل وعده إیاها، و هو بالحدیبیه، فقد نزلت علیه سوره الفتح، فیما بین مکه و المدینه، و فیها قوله تعالی: وَعَدَکُمُ اللَّهُ مَغانِمَ کَثِیرَهً۸.

۱- وفاء الوفاء ج ۱ ص ۶۲ عن أحمد، و الطبرانی فی الأوسط، و رجال أحمد رجال الصحیح، و مسند أحمد ج ۳ ص ۲۹۲ و الآحاد و المثانی ج ۲ ص ۴۴۹ و کنز العمال ج ۱۲ ص ۲۴۸.

تَأْخُذُونَها فَعَجَّلَ لَكُمْ هذِهِ (١) يعنى خيبر (٢).

و عن ابن عباس: أقام بعد الحديبيه فى المدينه عشر ليال (٣).

و عن سليمان التيمى: خمسه عشر يوما (۴).

و قيل: أقام شهرا و بعض شهر (۵).

و قال مالك: كانت خيبر سنه ست، و إليه ذهب محمد بن حزم.

و الجمهور- كما فى زاد المعاد- أنها فى السابعه (۶).

و يمكن الجمع: بأن من أطلق سنه ست فإنما جاء كلامه بناء على ابتداء السنه من شهر الهجره الحقيقى و هو ربيع الأول. و ابن حزم من هؤلاء أيضا، فإنه يرى: ابتداء السنه الهجريه من شهر ربيع الأول (٧).

و نقل الحلبى عن الجمهور: أنه سار إلى خيبر بعد أن مضى من محرمه.

١- الآيه ٢٠ من سوره الفتح.
٢- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ١١۵ و ١۵٢ و ١۵٣ عن ابن عقبه، و ابن إسحاق، و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٣١ و البحار ج ٢١ ص ١ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ۴٣.
٣- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ١۵٣.
۴- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ١۵٣.
۵- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٣١.
۶- الإمتاع للمقريزى ج ١ ص ٣١٠ و راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ۴٢ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ١۵٢ و ١۵٣ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٣١.
٧- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ١۵٣ و راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ۴٢ عن المواهب اللدنيه.

السنه السابعه، عشرون یوما، أو قریبا من ذلک (۱).

و قال محمد بن موسی الخوارزمی: غزاها النبی (صلی اللّه علیه و آله) حین مضی ست سنین و ثلاثه أشهر و واحد و عشرون یوما للهجره (۲).

و هذا معناه: أنها کانت فی آخر جمادی الأولی، بناء علی: أن أول السنه محرم، أو فی آخر جمادی الثانیه بناء علی: أن أول السنه الهجریه هو ربیع الأول.

فی أی شهر کانت؟!

قیل: إن غزوه خیبر کانت فی شهر صفر (۳).

و قیل: فی ربیع الأول (۴).

و قیل: فی جمادی الأولی (۵).

و قیل أیضا: إنها فی شهر رمضان (۶).

و لعل سبب هذا القول الأخیر هو: تصحیف کلمه حنین بکلمه خیبر.

فإن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد سار إلی حنین بعد الفتح، و قد کان الفتح فی شهر رمضان (۷).۳.

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۱.
۲- معجم البلدان ج ۲ ص ۴۰۹ و ۴۱۰.
۳- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۵۲ و ۱۵۳ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۳۴.
۴- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۵۳ و راجع: المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۳۴.
۵- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۴۲.
۶- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۵۳.
۷- راجع: سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۵۳.

مده حصار خيبر:

و قالوا: إنه (صلى اللّه عليه و آله) أقام يحاصر خيبر بضع عشره ليله، إلى أن فتحها فى صفر (۱).

و سيأتى: أن ذلك غير دقيق، و أن حصارها قد تعدى الأيام إلى الأشهر كما سنرى، و لعله يتحدث عن حصار بعض حصونها فقط ..

مده إقامته صلّى اللّه عليه و آله فى خيبر:

و قد روى عن ابن عباس: أنه (صلى اللّه عليه و آله) أقام بخيبر سته أشهر يجمع بين الصلاتين (۲).

و عنه أيضا: أنه أقام بها أربعين يوما، و سنده ضعيف (۳).

و أن حساب أيام الحصار للحصون المختلفه، وفق ما ورد فى النصوص التاريخيه، و الروائيه يعطى: أن الحصار قد دام عشرات الأيام .. و إن لم يصل إلى سته أشهر ..

الاستنفار إلى خيبر:

قال الواقدى: أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أصحابه بالخروج، فجدوا فى ذلك، و استنفروا من حوله ممن شهد الحديبيه، يغزون معه.

و جاء المخلّفون عنه فى غزوه الحديبيه ليخرجوا معه رجاء الغنيمه،ى.

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۵۲ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۴۲.
۲- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۵۶ عن الطبرانى فى الأوسط.
۳- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۵۶ عن البيهقى.

و لأنها ریف الحجاز طعاما و ودکا و أموالا، فقال (صلی اللّه علیه و آله):

(لا تخرجوا معی إلا راغبین فی الجهاد، فأما الغنیمه فلا) (۱).

ثم أمر منادیا ینادی بذلک، فنادی به (۲).

و نقول:

۱- إن غزوه الحدیبیه کانت بمثابه امتحان للکثیرین، من حیث إن نتائجها لم تکن واضحه لکثیر من الناس الذین یرصدون سیر الأمور فیها.

مع أن الحقیقه هی: أنه قد کان فیها ما لم یکن متوقعا، فإن النتائج کانت باهره علی أکثر من صعید، و فی أکثر من اتجاه.

۲- و من النتائج التی ظهرت: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد أصبح قادرا علی المبادره لإزاله الشوکه الجارحه من خاصره الکیان الإسلامی، المتمثله بالیهود، الذین ما فتئوا یسعون فی إثاره الناس ضده، و یحرضون القبائل المختلفه علی حربه، و یشارکون فی هذه الحروب بالمال و الرجال، و إفساد القلوب، و تسمیم الأجواء باستمرار.

۳- إن العدو الذی کان له امتداد طبیعی فی المنطقه، بسبب موقعه من المقدسات، و بسبب علاقاته، و نفوذه الدینی و التجاری، و الاجتماعی فی المنطقه- إن هذا العدو- قد لجم، و أقصی عن موقع التأثیر المباشر، و تهیأت الفرصه لکثیر من الناس لممارسه حریاتهم، فی التعرف علی دعوه الإسلام۴.

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۱۵ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۱ و الإمتاع للمقریزی ص ۳۱۰ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۳۴.

۲- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۱ و الإمتاع للمقریزی ص ۳۱۰ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۳۴.

عن قرب، و من دون خوف أو رهبه من أحد ..

و أصبح بإمكان الكيان الإسلامی أن یرتب أوضاعه الداخلیه، و أن یعالج المشاکل التی یفرضها علیه، أو یخلقها له أعداؤه الذین یعیشون فی محیطه، أو فی المحیط القریب منه، و الشدید التأثیر علیه ..

۴- إن الإنجاز الـذی حققه المسـلمون فی الحـدیبیه قد أذکی فیهم الطموح، و بعث فیهم ثقه بأنفسـهم، و أعطاهم حیویه و نشاطا غیر عادی.

و بدا للکثیرین منهم أن رحلتهم إلی خیبر کانت رحله الاستیلاء علی المغانم، و الفوز بها.

و قـد رسخ هذا الاعتقاد لدی الکثیرین منهم الوعد الإلهی بهذه المغانم، فقد قال تعالی: وَعَدَکُمُ اللَّهُ مَغانِمَ کَثِیرَهً تَأْخُذُونَها فَعَجَّلَ لَکُمْ هذِهِ .. (۱).

حیث فسرت هذه الآیه بما مکنهم اللّه تعالی منه فی خیبر .. حسبما تقدم فی أواخر الحدیث عن صلح الحدیبیه ..

۵- إن ما فعله المخلفون فی قضیه الحدیبیه کان شدید الخطوره فی أکثر من اتجاه، فعدا عن أنه یعبر عن ضعفهم الإیمانی، و عن حبهم للدنیا، فإنه یجرئ الآخرین علی ممارسه هذا الأسـلوب فی التعاطی مع أوامر رسول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله)، الأمر الذی یمهد لاختلالات خطیره، ربما تؤثر علی الکیان الإسلامی کله.

۶- ثم إن النـداء بحرمان هؤلاء، و بتخصـیص أولئک، لابـد أن یثیر الشـعور لـدی أهل الحدیبیه بالعزه و الکرامه، و یقابله شـعور آخر بالخزیح.

۱- الآیه ۲۰ من سوره الفتح.

و بالذنب لدى الذين تخلفوا حرصا على الحياه بالأمس، و شدوا الرحال طمعا بالغنيمه اليوم.

و كفى بذلك محفزا لمزيد من التضحيه و الإقدام لأولئك، و رادعا عن تكرار ما حدث لدى هؤلاء، و درسا لغيرهم ممن لعلهم يسيرون على نفس الطريق.

المستخلف على المدينه:

و قال ابن هشام و غيره: إنه (صلى اللّه عليه و آله) استخلف على المدينه (نميله)- بالتصغير- ابن عبد اللّه الليثى (۱).

و قيل: بل استخلف سباع بن عرفطه- بضم العين و الفاء (۲).

و قيل: أبا ذر (۳).

و لعل سبب هذه الاختلافات الكثيره فى أمثال هذه الأمور هو: أن الرواه كانوا يروون من حفظهم، و كانت الغزوات كثيره، و المعلومات۷.

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۱۵ عن ابن هشام، و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۱ و الإمتاع ص ۳۱۰.

۲- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۱۵ عن أحمد، و سعيد بن منصور، و البخارى فى التاريخ الصغير، و ابن خزيمه، و الطحاوى، و الحاكم، و البيهقى عن أبى هريره، و التاريخ الصغير ج ۱ ص ۴۳ و دلائل النبوه للبيهقى ج ۴ ص ۱۹۸ و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۱ و الإصابه ج ۲ ص ۱۳ و الإمتاع ص ۳۱۰ و المغازى للواقدى ج ۳ ص ۶۳۶ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۴۲.

۳- الإمتاع ص ۳۱۰ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۳۷.

غزيره، فيتفق أن يختلط الأمر على بعض الرواه بين غزوه و أخرى ..

كما أنه قد يكون هناك سياسات أو عصبيات، أو مصالح لدى بعض الفئات تقضى بإقصاء فريق، و بإعطاء المواقف، و إيكال المهمات إلى فريق آخر ..

خدمه أنس للنبی صلّی اللّه علیه و آله:

و قد ادّعى أنس: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد قال لأبى طلحه، حين أراد الخروج إلى خيبر: التمسوا لى غلاما من غلمانكم يخدمنى، فخرج أبو طلحه مردفى، و أنا غلام قد راهقت، فكان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إذا نزل خدمته، فسمعته كثيرا ما يقول: إنى أعوذ بك من الهم و الحزن، و العجز و الكسل، و البخل، و الجبن، و ضلع الدين، و غلبه الرجال (۱).

و مما يؤيد أن يكون أول اتصال لأنس بالنبى (صلى اللّه عليه و آله) فى خيبر:

أنهم يقولون: إنه غزا مع النبى (صلى اللّه عليه و آله) ثمان غزوات فقط (۲).

و هذا يكذب ما زعموه، من أن أمه أتت به إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) و قالت له: هذا غلام كاتب.

قال: فخدمته تسع سنين فما قال لشى ء صنعته: أسأت، أو بئس ما۱.

۱- مسند أحمد ج ۳ ص ۱۵۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۱۵ و السنن الكبرى ج ۹ ص ۱۲۵ و سنن النسائى ج ۸ ص ۲۷۴ و عن البخارى ج ۱۱ ص ۱۷۷ (۶۳۶۳) و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۱.

۲- الإصابه ج ۱ ص ۷۱.

صنعت (۱).

و فی روایه أخری: أنها قالت: هذا أنس غلام یخدمک فاقبله.

و ذکروا: أنه خرج معه (صلی اللّه علیه و آله) إلی بدر یخدمه (۲).

نعم، و قد کان أنس یستحق هذه الأوسمه، فإنه کان علی السقایه فی البحرین من قبل أبی بکر (۳).

و کان یبث أقاویل تفید فی تأیید خلافه مناوئی علی (علیه السلام)، و یحجب حقائق حساسه، یستفید من حجبها، و إنکارها هذا الفریق بالذات.

فهو من أجل هذا و ذاک یستحق أن تزجی له المدائح، و أن تسطر له المآثر، لیصبح کلامه أکثر وقعا، و أعظم أثرا ..

و قد استحق من جهه أخری أن یدعو علیه أمیر المؤمنین (علیه السلام) بسبب کتمانه حدیث الغدیر مره، و حدیث الطیر أخری، و لموقفه من طلحه و الزبیر فی حرب الجمل ثالثه، فأصیب بالبرص، وعدّ فی جمله البرصان!! (۴).

و لکن کل أباطیلهم و أضالیلهم لم تستطع حجب الحقیقه، فقد روی عن الصادق (علیه السلام) أنه قال: ثلاثه کانوا یکذبون علی النبی (صلی۲.

۱- أسد الغابه ج ۱ ص ۱۲۸.
۲- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۱ و الإستیعاب (بهامش الإصابه) ج ۱ ص ۷۲ و راجع: الإصابه ج ۱ ص ۷۱.
۳- الإصابه ج ۱ ص ۷۲.
۴- راجع: إختیار معرفه الرجال (رجال الکشی) ص ۴۵ و المعارف لابن قتیبه ص ۵۸۰ و الإرشاد للمفید ص ۱۶۶ و ۱۶۷ و الخصال ص ۲۱۹ و الأمالی للصدوق المجلس ۲۶ ص ۱۰۶ و ۵۲۱ و ۵۲۲.

اللّه علیه و آله): أبو هریره، و أنس بن مالک، و امرأه (۱).

أم سلمه فی خیبر أیضا:

و أخرج (صلی اللّه علیه و آله) معه إلی خیبر أم المؤمنین أم سلمه (رحمها اللّه) (۲). مع أنها کانت معه فی غزوه الحدیبیه أیضا ..

و لنا وقفه مع هذا الأمر بالذات:

فإنه إذا کان (صلی اللّه علیه و آله) یقرع بین نسائه، لتعیین التی تخرج معه فی سفره کما یدّعون، فإن القرعه تکون قد وقعت علی أم سلمه مرتین ..

و إذا کان اللّه تعالی یسدد نبیه (صلی اللّه علیه و آله)، لتصیب قرعته ما یحبه اللّه تعالی، أو ما فیه مصلحه لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فإن هذا یدل علی اجتماع هذین الأمرین معا فی حق أم سلمه رضوان اللّه تعالی علیها؛ فإن هذه المرأه الفاضله، و التی هی أفضل نساء النبی (صلی اللّه علیه و آله) بعد خدیجه، کان اللّه یحبها و کانت المصلحه تقضی بأن تکون هی دون سواها معه فی غزوتین هما من أخطر ما مر برسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و بالمسلمین، و أشده حساسیه، و یحتاج النبی (صلی اللّه علیه و آله) فیها إلی هدوء البال، و إلی إبعاد أی نوع من أنواع الأذی أو النکد، و المنغصات له ..۲.

۱- الخصال ج ۱ ص ۱۸۹ و ۱۹۰ و الإیضاح ص ۵۴۱ و البحار ج ۲ ص ۲۱۷ و ج ۲۲ ص ۱۰۲ و ۲۴۲ و ج ۳۱ ص ۶۴۰ عن الخصال و ج ۱۰۸ ص ۳۱ و معجم رجال الحدیث ج ۴ ص ۱۵۱ و ج ۱۱ ص ۷۹ و مستدرک سفینه البحار ج ۹ ص ۸۱.
۲- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۱ و سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۴۲.

و كما كان واضحا أنه: وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَهٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ .. (۱) بل لابد من الطاعه و الإنقياد.

فإن من الواضح أيضا: أن لا حق للنساء بمرافقه أزواجهن فى السفر من الناحيه الشرعيه، و يستطيع الزوج أن يختار أيتهن شاء لمرافقته .. و لكن الرسول (صلى اللّه عليه و آله) التزم بالقرعه بينهن.

فذلك يعنى: أنه قد جعل لهن ما يشبه الحق، رفقا منه بهن، و عطفا منه عليهن ..

و إنما جعل (صلى اللّه عليه و آله) طريقا للتعيين- مع علمه بأن اللّه تعالى هو الذى يتولى تسديده، و هو الذى يختار له- من أجل تسكين خواطرهن، و عدم إثاره أى من المشاعر السلبيه لديهن، حتى لو كن يظلمن أنفسهن و غيرهن، و يظلمن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أيضا فى ذلك ..

و لو لا ما ذكرنا، لأمكن أن يقال: لقد كان بإمكانه (صلى اللّه عليه و آله) أن لا يخرج معه منهن أحدا، أو أن يخرجهن فى أسفاره بصوره متواليه، وفق تراتبيه القسم و الليله لهن. أو وفق قرعه تحدد هذه التراتبيه.

إحساس يهود المدينه بالخطر:

قال الصالحى الشامى:

و لما تجهز رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و الناس، شق على يهود المدينه الذين هم موادعو رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و عرفوا أنه إن دخلب.

۱- الآيه ۳۶ من سوره الأحزاب.

خيبر أهلك أهل خيبر، كما أهلك بنى قينقاع، و النضير، و قريظه.

و لم يبق أحد من يهود المدينه له على أحد من المسلمين حق إلا لزمه، و طالبه به.

و عن ابن أبى حدرد، بسند صحيح: أنه كان لأبى الشحم اليهودى خمسه دراهم.

و لفظ الطبرانى، و الواقدى: أربعه دراهم، فى شعير أخذه لأهله فلزمه.

فقال: أجلنى، فإنى أرجو أن أقدم عليك فأقضيك حقك إن شاء اللّه، قد وعد اللّه- تعالى- نبيه أن يغنمه خيبر.

فقال أبو الشحم حسدا و بغيا: أتحسبون أن قتال خيابر مثل ما تلقون من الأعراب؟ فيها:- و التوراه- عشره آلاف مقاتل.

و ترافعا إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (أعطه حقه).

قال عبد اللّه: و الذى بعثك بالحق ما أقدر عليها.

قال: أعطه حقه.

قال: و كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إذا قال: ثلاثا لم يراجع.

قال عبد اللّه: فخرجت، فبعت أحد ثوبى بثلاثه دراهم، و طلبت بقيه حقه، فدفعت إليه، و لبست ثوبى الآخر. و أعطانى ابن أسلم بن حريش- بفتح الحاء و كسر الراء- ثوبا آخر.

و لفظ الطبرانى: فخرج به ابن أبى حدرد إلى السوق، و على رأسه عصابه، و هو يأتزر بمئزر، فنزع العمامه عن رأسه فأتزر بها، و نزع البرده فقال: اشتر منى هذه، فباعها منه بالدراهم، فمرت عجوز فقالت: ما لك يا

صاحب رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)؟ فأخبرها.

فقالت: ها دونک هذا البرد، فطرحته علیه.

فخرجت فی ثوبین مع المسلمین، و نفلنی اللّه- تعالی- من خیبر، و غنمت امرأه بینها و بین أبی الشحم قرابه، فبعتها منه (۱).

و نقول:

۱- إن یهود المدینه قد جربوا حظهم فی الحرب مع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و رأوا بأم أعینهم کیف أن اللّه تعالی نصره علیهم .. و عرفوا مسبقا نتائج حرکته باتجاه خیبر .. و قد کانت رده الفعل لدیهم غریبه و عجیبه، من حیث إنها اقتصرت علی السعی لحفظ أموالهم مهما کانت زهیده، حتی ما کان بمقدار أربعه دراهم فی شعیر، فصاروا یلحون بمطالبه غرمائهم، و یلزمونهم بدفعها، و کأنهم یظنون: أن انتصار المسلمین فی خیبر سوف ینشأ عنه ضیاع تلک الأموال ..

و ربما کان المحفز علی تفکیرهم هذا هو: اعتقادهم أن ضعف و حاجه المسلمین إلیهم، و حاجتهم إلی تسکین الأوضاع، التی کانت دقیقه و حساسه بسبب القوه الضاربه التی کانت للیهود فی المنطقه، هو الذی یفرض علی المسلمین إلی الوفاء بالعهود، و قضاء الدیون.۲.

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۱۵ و ۱۱۶ عن الواقدی عن شیوخه، و عن أحمد، و الطبرانی، و مسند أحمد ج ۳ ص ۴۲۳ و مجمع الزوائد ج ۴ ص ۱۲۹ و الطبرانی فی المعجم الصغیر ص ۲۳۴ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۳۴ و ۶۳۵، و راجع: نیل الأوطار ج ۹ ص ۱۸۲ و فیض القدیر ج ۵ ص ۱۹۵ و تاریخ مدینه دمشق ج ۲۷ ص ۳۴۳ و أسد الغابه ج ۳ ص ۱۴۲.

فهم قد قاسوا المسلمين على أنفسهم، فإن هذا بالذات هو طريقه و ديدن اليهود فى التعامل مع الآخرين، و هذه هى معاييرهم و أساليبهم حيث إنهم يخضعون لقوه المال، أو لقهر السلطان، أو سيمارسون مكرا و استدراجا، أو ما إلى ذلك.

و قد فاتهم أن المسلمين- حتى العاديين منهم- إنما يتعاملون معهم و مع غيرهم بالمبادئ و القيم، و بموجبات الأخلاق و الذمم.

و لقد صدق الذى قال: و كل إناء بالذى فيه ينضح.

۲- و رغم خوف اليهود الشديد من أن يكون مصير أهل خيبر مثل مصير بنى قينقاع و النضير و قريظه، و قد رأوا بأم أعينهم، كيف أن المسلمين قد انتصروا على أعدائهم، رغم كثره العدد، و حسن العده لدى أولئك الأعداء، مع قله فى العدد و ضعف فى العده فى جانب المسلمين.

و قد تكرر هذا النصر أكثر من مره و مرتين، فلا مجال لأن يتوهم أحد أن الصدفه هى التى فرضته، بل هو سنه إلهيه، و لطف ربانى أجراه اللّه على أيديهم، و لهج به القرآن، و أصبح تشريعا يفرض على المسلمين الالتزام بمقتضياته.

نعم، رغم ذلك كله، فإن اليهود توهموا: أن كثره العدد سيكون لها شأن فى مسار الحرب، و مصير القائمين بها.

إجراءات فى الطريق إلى خيبر:

و قال المؤرخون أيضا:

و جاء أبو عبس ابن جبر، فقال: يا رسول اللّه، ما عندى نفقه، و لا زاد، و لا ثوب أخرج فيه، فأعطاه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) شقه سنبلانيه:

(جنس من الغليظ، شبيه بالكرباس).

قال سلمه: خرجنا مع النبى (صلى اللّه عليه و آله) إلى خيبر، فسرنا ليلا، فقال رجل من القوم، لعامر بن (سنان) الأكوع: ألا تسمعنا من هنيهاتک؟ و كان عامر رجلا شاعرا، فنزل يحدو بالقوم، يقول:

اللهم لو لا أنت ما اهتديناو لا تصدقنا و لا صلينا

فاغفر فداء لک ما اتقيناو ألقين سكينه علينا

و ثبت الأقدام إن لاقيناإنا إذا صيح بنا أتينا

و بالصياح عولوا علينا

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (من هذا السائق)؟

قالوا: عامر بن الأكوع.

قال: (يرحمه اللّه).

و فى روايه: (غفر لک ربک).

قال: و ما استغفر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لإنسان يخصه إلا استشهد.

فقال عمر، و هو على جمل: وجبت يا رسول اللّه، لو لا أمتعتنا بعامر.

و فى نص آخر: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) هو الذى طلب ذلک من عامر، فقال عامر: يا رسول اللّه، قد تولى قولى. أى الشعر.

فقال له عمر: اسمع، و أطع. فنزل يرتجز الخ .. (۱)).

۱- راجع: السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۱ و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۳۸ و ۶۳۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۱۶ و فى الهامش: و أخرجه البخارى ج ۷ ص ۵۳۰ (۴۱۹۶) و أخرجه مسلم ج ۳ ص ۱۴۲۷ (۱۲۳/ ۱۸۰۲).

و روی الحارث بن أبی أسامه، عن أبی أمامه. و البیهقی عن ثوبان: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قال فی غزوه خیبر: (من کان مضعفا أو مصعبا فلیرجع).

و أمر بلالا فنادی بذلک، فرجع ناس، و فی القوم رجل علی صعب، فمر من اللیل علی سواد فنفر به فصرعه، فلما جاؤوا به رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قال: (ما شأن صاحبکم)؟.

فأخبروه، فقال: (یا بلال، ما کنت أذنت فی الناس، من کان مضعفا أو مصعبا فلیرجع)؟

قال: نعم. فأبی أن یصلی علیه.

زاد البیهقی: و أمر بلالا فنادی فی الناس: (الجنه لا تحل لعاص) ثلاثا (۱).

قال محمد بن عمر: و بینا رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فی الطریق فی لیله مقمره، إذ أبصر رجلا یسیر أمامه علیه شی ء یبرق فی القمر، کأنه فی شمس و علیه بیضه، فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (من هذا)؟.

فقیل: أبو عبس بن جبر.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (أدرکوه).

قال: فأدرکونی فحبسونی، فأخذنی ما تقدم و ما تأخر، فظننت أنه قد۹.

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۱۶ و ۱۱۷ و فی هامشه قال: أخرجه البخاری ج ۷ ص ۵۳۰ (۴۱۹۶) و أخرجه مسلم ج ۳ ص ۱۴۲۷ (۱۲۳/ ۱۸۰۲)، و البیهقی فی الدلائل ج ۴ ص ۲۰۱ و راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۱ و ۳۲ و ۵۳ و ۵۴ و البحار ج ۲۱ ص ۲ و ۳ و بغیه الباحث ص ۹۹ و غریب الحدیث ج ۱ ص ۷۱۷ و النهایه فی غریب الحدیث لابن الأثیر ج ۳ ص ۲۹.

أنزل فیّ أمر من السماء، فجعلت أتذکر ما فعلت حتی لحقنی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فقال: (ما لک تقدم الناس لا تسیر معهم)؟.

قلت: یا رسول اللّه، إن ناقتی نجیبه.

قال: فأین الشّقیقه التی کسوتک؟

قلت: یا رسول اللّه، بعتها بثمانیه دراهم، فتزودت بدرهمین و ترکت لأهلی درهمین، و ابتعت هذه البرده بأربعه دراهم.

فتبسم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ثم قال: (أنت و اللّه یا أبا عبس و أصحابک من الفقراء. و الذی نفسی بیده، لئن سلمتم و عشتم قلیلا لیکثرن زادکم، و لیکثرن ما تترکون لأهلیکم، و لتکثرن دراهمکم و عبیدکم، و ما ذلک لکم بخیر).

قال أبو عبس: فکان و اللّه کما قال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

قال سوید بن النعمان: إن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لما وصل إلی الصهباء- و هی أدنی خیبر- صلی العصر، ثم دعا بالأزواد، فلم یؤت إلا بالسویق، فأمر به فثری، فأکل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و أکلنا معه.

ثم قام إلی المغرب، فمضمض و مضمضنا، ثم صلی، و لم یتوضأ. رواه البخاری (۱) و البیهقی.دی

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۱۷ و فی هامشه عن البخاری ج ۷ ص ۵۲۹ (۴۱۹۵) و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۳۵ و ۶۳۶ و راجع: الموطأ لمالک ج ۱ ص ۲۶ و مسند أحمد ج ۳ ص ۴۶۲ و عن صحیح البخاری ج ۱ ص ۵۹ و ج ۴ ص ۱۳ و ج ۵ ص ۷۲ و ج ۶ ص ۱۹۸ و السنن الکبری للبیهقی ج ۱ ص ۱۶۰ و المصنف للصنعانی ج ۱ ص ۱۷۸ عن البخاری من طریق مالک و الحمیدی

زاد محمد بن عمر: ثم صلى بالناس العشاء، ثم دعا بالأدلاء، فجاء حسيل بن خارجه، و عبد اللّه بن نعيم الأشجعى، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لحسيل: يا حسيل: امض أمامنا حتى تأخذ بنا صدور الأوديه، حتى تأتى خيبر من بينها و بين الشام، فأحول بينهم و بين الشام، و بين حلفائهم من غطفان).

فقال حسيل: أنا أسلك بك، فانتهى به إلى موضع له طرق، فقال: يا رسول اللّه، إن لها طرقا تؤتى منها كلها.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (سمها لى). و كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يحب الفأل الحسن، و الاسم الحسن، و يكره الطيره، و الاسم القبيح.

فقال: لها طريق يقال لها: حزن، و طريق يقال لها: شاش، و طريق يقال لها: حاطب، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (لا تسلكها).

قال: لم يبق إلا طريق واحد يقال له: مرحب، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (اسلكها) (١).٢.

١- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ١١٧ و ١١٨ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ۶٣٩ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ۴٢.

و نقول:

إن لنا ههنا وقفات هی التالیه: الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج ۱۷ ۹۰ لمن الشعر المتقدم؟! ..... ص : ۹۰ قد ذکرت الروایه المتقدمه: أن الشعر المذکور: (اللهم لو لا اللّه ما اهتدینا) إنما هو لعامر بن الأکوع.

مع أنه قد روی فی الصحاح، و منها کتاب البخاری، فی کتاب الجهاد:

أنه من شعر عبد اللّه بن رواحه (۱).

قال الصالحی الشامی: (فیحتمل أن یکون هو و عامر تواردا علی ما تواردا علیه، بدلیل ما وقع لکل منهما مما لیس عند الآخر، و استعان عامر ببعض ما سبقه إلیه ابن رواحه) (۲).

و یحتمل أیضا: أن یکون عامر قد أخذه کله من ابن رواحه؛ لأنه مجرد حاد، یختار ما یناسبه من الحداء، و لو کان قد نطق به أو نظمه غیره.

الخطأ فی مضمون شعر عامر:

هذا، و لا معنی لقوله فی ذلک الشعر مخاطبا اللّه تعالی: (فاغفر فداء لک ما اتقینا)، إذا لا معنی لأن یفدی أحد اللّه بالنفس، لأن ذلک یستبطن توقع حلول مکروه بالمفدی- لیجعل المتکلم نفسه فداء له من ذلک، و هذا۳.

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۵۳ و البخاری (المغازی ص ۳۸) و (الأدب ص ۹۰) و صحیح مسلم (الجهاد ص ۱۲۳) و مسند أحمد ج ۴ ص ۴۸.

۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۵۳.

يستبطن جواز الفناء على اللّه تعالى، و أنه لو لم يحصل الفداء له، لأمكن أن تحل المصيبه به، تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا.

ارتجاز عامر لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و قد يقال: إن الذى كان يرتجز لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى أسفاره هو البراء بن مالك، لا عامر بن الأكوع.

و يجاب: بأن المقصود: أنه كان يرتجز له فى غالب أسفاره، أو فى بعضها كما صرحت به بعض الروايات (۱).

الإستغفار أماره الشهاده:

و قد ذكرت الروايات المتقدمه: أن عمر بن الخطاب قد خاف على عامر، حتى قال لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): لو لا أمتعتنا بعامر. و ذلك لأن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان إذا استغفر لإنسان استشهد.

غير أننا نقول: إن ذلك لا يمكن قبوله:

فأولا: لم يثبت: أنه (صلى اللّه عليه و آله) استغفر لعامر، فقد اختلفت الروايات فى ذلك، حيث يقول بعضها: إنه (صلى اللّه عليه و آله) قال: يرحمه اللّه.

ثانيا: لنفرض: أنه قد ثبت استغفار النبى (صلى اللّه عليه و آله) لعامر، و لكن قولهم: إنه ما استغفر (صلى اللّه عليه و آله) لإنسان يخصه إلا استشهد ..

لا يمكن أن يصح، لأن كتب الحديث و التاريخ مشحونه بالأخبار المصرحه باستغفاره (صلى اللّه عليه و آله) للكثيرين من صحابته، و لم يصبهم۲.

۱- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۲.

شی ء، بل عاشوا بعده عشرات السنوات، فراجع:

۱- استغفاره (صلی اللّه علیه و آله) لأبی بکر (۱).

۲- و استغفاره لأبی موسی الأشعری (۲).

۳- و استغفاره (صلی اللّه علیه و آله) لحذیفه، و لأمه (۳).

۴- و استغفر للمقصرین فی الحدیبیه ..

و غیر ذلک ..

لا تحل الجنه لعاص:

إن هناک أمورا قد یستهین الإنسان بها، فلا یطیع الأوامر الصادره بشأنها، زعما منه: أنه قادر علی تجاوز سلبیاتها ..

غیر أن هذا المنطق: مرفوض فی الإسلام جمله و تفصیلا، لأکثر من جهه ..

فأولا: لیس بالضروره أن یکون ما اعتقد أنه المبرر لقرارات القیاده هو المبرر الحقیقی لها فعلا؛ لأن للقیاده آفاقها، و علاقاتها، و وسائلها التی تمکنها من المواجهه الصحیحه، من خلال رصد الأمور بصوره أدق و أشمل، یمکّنها من وضع کل الأمور فی مواضعها الصحیحه و فی الدائره الأوسع فی المحیط الذی تتحرک فیه، ضمن سلسله من الدواعی و المقتضیات التی ربما۲.

۱- مسند أحمد ج ۵ ص ۶۵ و عن صحیح البخاری (فضائل أصحاب النبی ص ۵).

۲- عن صحیح البخاری (دعوات ص ۱۹ الترجمه ص ۴۹ المغازی ص ۵۵) و صحیح مسلم (فضائل الصحابه ص ۱۶۵).

۳- مسند أحمد ج ۵ ص ۳۹۱ و ۳۹۲.

لا تخطر للآخرين على بال، أو لا تمر لهم فى خيال، بحكم محدوديه نظرتهم، و ضآله حجم معارفهم، و قله اطلاعهم على ذلك كله ..

ثانيا: إنه حين يكون لدى كثيرين من الناس مراكب تصعب السيطره عليها، و تحتاج إلى بذل جهد، و ربما إلى تعاون، و تعاضد، فذلك معناه إشغال الناس عن قضيتهم الأساس، فى شأن داخلى غير ذى جدوى، تضيع فيه الجهود، التى يفترض توفيرها لتصرف فى سبيل ما هو أهم، و نفعه أعم، هذا عدا عما ينشأ عن ذلك من تشويش فى الفكر، و إخلال بالنظام العام.

ثالثا: إن عدم صلاه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على ذلك الذى لم يمتثل للأمر، قد أظهر أن خلاف هذا الرجل لم يكن ناشئا عن مجرد حاله عفويه، أو تلبيه لرغبه شخصيه، أو نتيجه غفله حدثت له، أو نحو ذلك.

بل كان قاصدا لهذا الخلاف، عامدا إليه، و ربما يصل ذلك إلى حد المؤامره الهادفه إلى إحداث بلبله، و تشويش، و إخلال.

بالإضافه إلى: إسقاط حرمه الأوامر النبويه، و تجرى ء الناس على خلافه (صلى اللّه عليه و آله)، و عصيان أوامره، و الاستهانه بتوجيهاته ..

و لعل هذا هو السبب فى: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد رفض أن يشرفه بالصلاه عليه.

و رابعا: إن الإعلان بطريقه النداء فى الناس: لا تحل الجنه لعاص، لابد أن يكون له تأثيره القوى فى ردع الناس عن محاكاه ذلك العاصى فى فعله، و بالتالى فرض الالتزام بالنظام، و تنفيذ القرارات الصادره، بانضباطيه تامه، و بدقه و أمانه.

الكثره لا خير فيها:

و قد ذكرت الروايات قصه أبى عبس مع رسول (صلى اللّه عليه و آله) ..

و وجدنا أنها تشير إلى عده أمور، نذكر منها:

۱- أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد بادر إلى السؤال عن حاله رأى أنها قد خالفت النظم الطبيعى لمسيره الجيش، و هى انفراد أبى عبس عن الناس.

و تقدّمه عليهم.

و النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و إن لم يكن قد ألزم الناس برعايه نظم بعينه، و لكن ذلك لا يعنى السماح بالحاله التى قد تبدو نشازا بحسب ما جرت عليه طريقه الناس فى حالات كهذه ..

و جاء تفسير أبى عبس كافيا و ربما مرضيا لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؛ فإن الاستعانه بالناقه النجيبه يريح رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فى مسير كهذا ..

۲- ثم أتبع (صلى اللّه عليه و آله) سؤاله الأول بسؤال آخر يفضى إلى إعطاء توضيحات عن لباس أبى عبس المميز، الذى يثير أكثر من شبهه و سؤال عن مكونات أبى عبس، و عن روافده و مصادره. فالبريق القوى، يضخم التصورات و يوهم: أن أبا عبس قد أصاب كنزا، أو استولى على ثروه بطريقه قد تكون مشروعه، و قد لا تكون!!

و مهد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) للإجابه المقنعه، و القاطعه لكل احتمال، و ظن و شبهه، حين ضمّن سؤاله تعريف الناس بمصدر المال. حتى لم يعد أبو عبس بحاجه إلى تقديم إثبات بذلك، بل اقتصرت مهمته على بيان موارد مصارف ذلك المال، و صحه تصرفه فيه .. و بذلك يكون (صلى

اللّه علیه و آله) قـد جنّبه غضـاضه الإحساس بأن ثمه تهمه تموج فی نظرات الناس إلیه، و أنه یحتاج إلی إعـداد وسائل دفعها عن نفسه ..

۳- ثم إنه (صـلی اللّه علیه و آله) قـد تقـدم خطوه أخری باتجاه حسم الأمر لصالح أبی عبس، حین أعلن براءه أبی عبس من أیه شبهه من هذا القبیل، و بیّن أنه یعیش حاله الفقر و الحاجه حقا، لیس وحده، و إنما هو و أصحابه الفقراء.

۴- ثم شفع ذلک بالإخبار عن أمر غیبی، من شأنه: أن یفرح الکثیرین من الناس من طلاب الدنیا، حیث أخبره: أنه هو و أصحابه، إن سلموا و عاشوا فسیکثر زادهم، و ما یترکونه لأهلیهم، و ستکثر دراهمهم و عبیدهم.

و قد تضمن هذا الخبر الإشاره إلی أمرین:

أحدهما: أنه قد إشار إلی احتمال سلامتهم و بقائهم علی قید الحیاه، و لکنه لم یجزم لهم بذلک.

حیـث قـال: لئـن سـلمتم و عشـتم، و ذلـک لکی یعطیهـم الفرصه لإخلاـص النیه فی الجهـاد، و لیمکنهم من الإقـدام علی مـا فیه احتمالات الشهاده، و لا یحرمهم من السعی لنیل هذا المقام الجلیل ..

الثانی: أنه قد بیّن لهم: أن تحقیق ما یخبرهم به لا ینبغی أن یکون من أسـباب اغترارهم بأنفسهم، و تخیّل أن ذلک عطیه و کرامه إلهیه لهم، بسبب رفعه مقامهم فی طاعته، و علو درجتهم فی الإخلاص له ..

بل ذلک امتحان و ابتلاء، لا بـد لهم من أن یحـذروا منه، حتی لا یقعوا فی فخ الرکون إلی الدنیا، و الاغترار بزبارجها، و بهارجها ..

و بذلک یکون قد أعطاهم القاعده الصحیحه فی التعامل مع الکثرات

الدنیویه، و منحهم النظره الصائبه، و التقییم السلیم لمثل هذا الأمر الخطیر ..

أکذوبه الفتاه الحائض:

و رووا: أن إحدی النساء اللواتی حضـرن خیبر قالت: فأردفنی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) علی حقیبه رحله، قالت: فلما کان الصبح، و أناخ راحلته، و نزلت عن حقیبه رحله، و إذا بها دم منی. و کانت أول حیضه حضتها.

قالت: فتقبضت إلی الناقه، و استحییت.

فلما رأی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) حالی، قال: ما لک، لعلک نفست؟

قلت: نعم.

قال: فأصلحی من نفسک، ثم خذی إناء من ماء فاطر حی فیه ملحا، ثم اغسلی ما أصاب الحقیبه من الدم، ثم عودی لمرتحلک.

قالت: فکنت لا أطهر من حیضه إلا جعلت فی طهری ملحا. و أوصت أن یجعل ذلک فی غسلها حین ماتت (۱).

و نقول:

إننا نشک فی صحه هذه الروایه، بل لا نرتاب فی کذبها، و ذلک لما یلی:

أولا: لا معنی لجعل الملح فی طهرها، و لا فی غسلها، فإن غسل الدم۴.

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۵۶ و ۵۷ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۳۸۷ و مسند أحمد ج ۶ ص ۳۸۰ و سنن أبی داود ج ۱ ص ۷۸ و السنن الکبری للبیهقی ج ۲ ص ۴۰۷ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۲۳۲ و السیره النبویه لابن هشام ج ۳ ص ۸۰۴.

الذی أصاب حقیبه الرحل بالماء و الملح شی ء، و جعله فی طهرها شی ء آخر ..

علی أننا لا ندری داعیا لوضع الملح فی الماء، فإن الماء یکفی لغسل حقیبه الرحل ..

ثانیا: إنه لا ریب فی أن بلوغ البنت إنما هو بإتمامها تسع سنین ..

و الفتیات إنما یحضن- غالبا- فی سن الثالثه عشره.

و من الواضح: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) لا یمکن أن یردف خلفه من تکون فی هذه السن، أو أقل من ذلک أیضا ..

و قد تحدثنا عن موضوع بلوغ الفتاه بشی ء من التفصیل فی غزوه بنی قریظه، فراجع ..

ثالثا: إن الکل یعلم: أن علیا (علیه السلام) کان لا یلقی السلام علی الشابه من النساء (۱) فکیف برسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) (۲).۲.

۱- راجع: الکافی ج ۵ ص ۵۳۵ و من لا یحضره الفقیه ج ۳ ص ۴۶۱ و الوسائل (ط دار الإسلامیه) ج ۸ ص ۴۵۸ و مستدرک الوسائل ج ۸ ص ۳۷۳ و ج ۱۴ ص ۲۹۰ و مکارم الأخلاق ص ۲۳۵ و مشکاه الأنوار للطبرسی ص ۲۴۷ و البحار ج ۱۰۱ ص ۳۷ و جواهر الکلام ج ۱۱ ص ۱۱۸ و ج ۲۹ ص ۹۹ و جامع المقاصد ج ۱۲ ص ۳۴ و مسالک الأفهام ج ۷ ص ۵۶ و مجمع الفائده للمحقق الأردبیلی ج ۲ ص ۴۹۵ و ج ۳ ص ۱۲۱ و الحدائق الناضره ج ۹ ص ۸۳ و مستند الشیعه ج ۱۶ ص ۶۱.

۲- راجع: الکافی ج ۲ ص ۶۴۸ و البحار ج ۴۰ ص ۲۳۵ و ج ۱۶ ص ۲۱۵ و ۲۲۹ و الوسائل (ط دار الإسلامیه) ج ۸ ص ۴۵۲ و فی هامشه عن من لا یحضره الفقیه ج ۲ ص ۵۲.

و ورد النهی عن الجلوس فی مجلس تقوم عنه المرأه حتی یبرد (۱).

فهل یرضی بأن یردف خلفه فتاه فی سن من تحیض؟!

رابعا: ما معنی: أن یردف النبی (صلی اللّه علیه و آله) هذه الفتاه الأجنبیه عنه، و لماذا لم یردف زوجته أم سلمه، أو أیا من زوجاته فی أیه غزوه من الغزوات؟!

و هل لم یوجد من یتبرع بارتداف هذه الفتاه سوی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)؟!

و من کان یردف أم زیاد الأشجعی، التی خرجت إلی خیبر فی خمسه نسوه لیداوین الجرحی، و لغیر ذلک، فأسهم لهن تمرا؟! (۲).

بل لقد حضر خیبر عشرون امرأه.

فلماذا لم یجعل هذه الفتاه معهن؟! أو مع زوجته أم سلمه فی هودجها؟!

خامسا: هل ارتدفها (صلی اللّه علیه و آله) علی ناقته، أم علی فرسه، أم علی حماره؟!

فقد تقدم: أنهم قد اختلفوا فی أنه: هل کان النبی (صلی اللّه علیه و آله) راکبا فرسا، أم حمارا مخطوما برسن من لیف، و تحته أکاف من لیف!!

و قد ذکرنا ما یدل: علی هذا و ذاک فیما یأتی تحت عنوان: (وصول النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلی خیبر).ه.

۱- راجع: الوسائل (ط دار الإسلامیه) ج ۱۴ ص ۱۸۵ و فی هامشه عن الکافی (الفروع) ج ۲ ص ۷۷ و عن من لا یحضره الفقیه ج ۲ ص ۱۸۳.

۲- مسند أحمد ج ۵ ص ۲۷۱ و فی التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۵۱۱ عن أبی داود: حنین بدل خیبر. و لعله تصحیف؛ لأجل عدم وجود نقط للحروف فی تلک الأزمنه.

و قد رجحوا: أنه قد ركب الحمار فى الطريق إلى خيبر، ثم ركب الفرس، حين نشب القتال ..

و أما الحديث الذى صرح: بأن الناقه مأموره، فلا دلاله فيه على أنه (صلى اللّه عليه و آله) كان راكبا عليها.

و حتى لو دل على ذلك، فإنه يصبح متعارضا مع حديث ركوبه للحمار، أو الفرس، حسبما أوضحناه ..

و فى جميع الأحوال نقول:

إذا كان راكبا للفرس، فلماذا لاـ تركب هى على الناقه، أو الحمار؟ و إن كان راكبا على الحمار فيمكن أن تركب هى الناقه أو الفرس، و كذا لو كان قد ركب الناقه، فالحمار و الفرس صالحان للركوب، فلا حاجه- فى جميع الأحوال- إلى إردافها خلفه (صلى اللّه عليه و آله) ..

إختيار الطريق إلى خيبر:

و عن حديث طلب النبى (صلى اللّه عليه و آله) من الدليل: أن يأخذ بهم فى صدور الأوديه، حتى يأتى بهم إلى خيبر من جهه الشام، نقول:

١- إنه (صلى اللّه عليه و آله) يكون بذلك قد تحاشى الظهور على قمم الجبال، و على جوانبها التى تظهر للرائى البعيد، لكى يتحاشى رؤيه الناس لجيشه الضارب، و يكون فى منأى عن مواقع الرصد التى ربما يكون العدو قد أقامها فى المواقع المشرفه ..

٢- إنه (صلى اللّه عليه و آله) قد اختار أن يسلك الدليل طريقا تؤدى بهم إلى خيبر من جهه الشام، و هو الطريق الذى يشعر اليهود بالأمن من

جهته، و لا يشعرون بالحاجه إلى رصده بدقه و بفعاليه ..

٣- إنه (صلى اللّه عليه و آله) قد أوضح أيضا: أنه يريد أن يقطع عن اليهود المدد من جهه الشام، سواء أكان المدد مالا، أم رجالا، أم عتادا، أم طعاما، أم غير ذلك.

۴- إنه (صلى اللّه عليه و آله) يريد أيضا: أن يحول بين اليهود و بين حلفائهم من غطفان، و سيأتى: أن هذا هو ما حصل بالفعل، و ذلك حين جاءت غطفان لمعونتهم، ثم تراجعت خوفا من أن يتمكن (صلى اللّه عليه و آله) من مهاجمه ديارهم و أهليهم.

التطير و التفاؤل:

و اللافت هنا قولهم: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد طلب من الدليل أن يسمى له الطرق إلى خيبر؛ لأنه كان يحب الفأل الحسن، فسماها له، فاختار أحدها.

و نقول:

أولاـ إن من الواضح: أن طلب تسميتها ليس بالضروره أن يكون من أجل أن يتفاءل بأسمائها، فإن ذلك بعيد عن شأن النبى (صلى اللّه عليه و آله) و مقامه. و قد تكلمنا عن بعض ما يرتبط بذلك فى جزء سابق من هذا الكتاب.

ثانيا: إن من جمله الطرق التى سماها الدليل طريقا باسم (شاس) و ليس فى هذه الكلمه التفاؤل، أو التشاؤم.

ثالثا: من أين ثبت لهم: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد رفض السير فى تلك الطريق من منطلق التشاؤم و التفاؤل، فقد يكون الغرض هو:

۱- أن يظهر خبره الدليل، و أنه قادر على إنجاز المهمه التى أوكلت إليه.

۲- أن يوجهه إلى الطريق الأكثر أمنا، و الأشد ملاءمه للأهداف المتوخاه.

۳- أن يعرف الناس بأنه (صلى اللّه عليه و آله) عالم بمسالك تلك البلاد، و إن لم يكن قد و طأتها قدمه من قبل.

لا حول و لا قوه إلا باللّه:

روى أصحاب الكتب السته، عن أبى موسى الأشعرى، قال: أشرف الناس على واد، فرفعوا أصواتهم بالتكبير: (اللّه أكبر، اللّه أكبر، لا إله إلا اللّه).

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم و لا غائبا، إنكم تدعون سميعا قريبا، و هو معكم).

و أنا خلف دابه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فسمعنى و أنا أقول:

لا حول و لا قوه إلا باللّه العلى العظيم.

فقال: (يا عبد اللّه بن قيس).

قلت: لبيك يا رسول اللّه، فداك أبى و أمى.

قال: (ألا أدلّك على كلمه من كنز الجنه)؟.

قلت: بلى يا رسول اللّه، فداك أبى و أمى.

قال: (لا حول و لا قوه إلا باللّه) (۱).بد

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۵۰ و فى هامشه عن: البيهقى ج ۲ ص ۱۸۴ و ابن أبى عاصم ج ۱ ص ۲۷۴ و الطبرى ج ۸ ص ۱۴۷ و ابن السنى (۵۱۲) و عبد

و نقول:

هناك حالات تنتاب الجماعات، و هی تواجه قضایاها الکبری، لا یصح الانسیاق معها، بل لا بد من معالجتها و التخلص منها. و من هذه الحالات: أن اجتماعها مع بعضها البعض قد یشعرها بالقوه بدرجه قد تتجاوز حدود قوتها الطبیعیه، الأمر الذی یهی ء لوقوعها فی براثن الغفله عن بعض الثغرات التی تعانی منها .. و ربما یکون ذلک سببا فی تدنی مستوی قوتها بصوره کبیره و خطیره ..

و قد ظهر مصداق ذلک فی حرب حنین، حیث تلاشت قوه المسلمین أو کادت، بسبب هذا الشعور بالذات. فقد قال تعالی: لَقَدْ نَصَرَکُمُ اللَّهُ فِی مَواطِنَ کَثِیرَهٍ وَ یَوْمَ حُنَیْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْکُمْ کَثْرَتُکُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْکُمْ شَیْئاً وَ ضاقَتْ عَلَیْکُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّیْتُمْ مُدْبِرِینَ (۱).

و من هذه الحالات أیضا، هیمنه العقل الجماعی علی تلک الجماعه، و تدنی مستوی تفکیرها لیصل إلی أضعف حالاته ..ه.

۱- الآیه ۲۵ من سوره التوبه.

و يزيد هذه الحاله حده فيهم، تعالى الصرخات، و اختلاط الأصوات، و الصخب، و العجيج و الضجيج.

و هذا يفسر لنا: أمره (صلى اللّه عليه و آله) لأصحابه بأن يربعوا على أنفسهم، و يخففوا من غلوائهم، و يخفضوا أصواتهم، حتى لو كانوا يجهرون بكلمه (اللّه أكبر).

فقد كان ثمه حاجه إلى الهدوء و التعقل، ليمكن النظر إلى الأمور و الأحجام، و القدرات بواقعيه و اتزان، بعيدا عن الانتفاخات و التضخيمات الصوتيه و غير الواقعيه ..

ثم .. إنه (صلى اللّه عليه و آله) صرح لهم بالحقيقه و طلب منهم ترديدها فى عمليه تلقين عفويه للنفس، و إدراك للعقل، و تلمس للوجدان، حين دلهم على كلمه هى كنز الجنه، يتعلمون منها: أن قدرتهم ليست بكثره جمعهم، و لا بجوده سلاحهم، و لا بقدراتهم الذاتيه و شجاعتهم؛ إذ (لا حول و لا قوه إلا باللّه).

المطلوب هو الخير لا الغنائم:

روى ابن إسحاق، عن أبى مغيث بن عمرو. و محمد بن عمر عن شيوخه، قالوا: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لما أشرف على خيبر- و كان وقت الصبح- قال لأصحابه: (قفوا). فوقفوا.

فقال: (اللهم رب السموات السبع و ما أظللن، و رب الأرضين السبع و ما أقللن، و رب الشياطين و ما أضللن، و رب الرياح و ما أذرين، فإنّا نسألك من خير هذه القريه و خير أهلها، و نعوذ بك من شرها و شر ما فيها.

أقدموا بسم اللّه).

و کان یقولها لکل قریه یرید دخولها.

و رواه النسائی، و ابن حبان عن صهیب (۱).

و نقول:

إن هذا الدعاء قد جاء لیحدث تغییرا جذریا فی أهداف هؤلاء القادمین إلی بلاد أعدائهم. إذ إن الإنسان حین یتخذ صفه المقاتل، و یعد للقتال عدته، و یحمل سلاحه، و یشرف علی بلد عدوه، فإنه لا یحدث نفسه إلا بالنزال و القتال، و لا یفکر إلا بالموت أو الحیاه، و بالنصر أو الهزیمه، و لا یحلم إلا بالغنائم و السبایا.

و لذلک یوقف النبی (صلی اللّه علیه و آله) أصحابه، و یوجههم إلی اللّه تعالی، لیفهمهم أنه تعالی هو المهیمن و المشرف علی إیصال کل شی ء إلی کماله، من حیث هو الرب المدبر الحکیم، و الخبیر العلیم، و الرؤوف الرحیم، و هو القاهر فوق عباده ..

فحلول هذا الجیش بهذا البلد لا ینبغی أن یکون بهدف الحصول علی المغانم، و الاستیلاء علی البلاد و العباد.۳.

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۱۸ و قال فی هامشه: أخرجه ابن خزیمه (۲۵۶۵) و البخاری فی التاریخ الکبیر ج ۶ ص ۴۷۲ و الطبرانی فی الکبیر ج ۸ ص ۳۹ و البیهقی فی الدلائل ج ۴ ص ۲۰۴ و ابن السنی (۵۱۸). و راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۲ و ۳۳ و البحار ج ۲۱ ص ۱ و ۱۴ و ج ۷۳ ص ۲۴۹ و عن مجمع البیان ج ۹ ص ۲۰۰ و الإمتاع ص ۳۱۰ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۴۲ و مناقب آل أبی طالب ج ۱ ص ۱۷۶ و المزار ص ۵۲ و الأمان من الأخطار ص ۱۳۲ و مدینه المعاجز ج ۱ ص ۱۷۳.

بل يجب أن يكون الهدف هو الحصول على الخير: خير البلد و خير أهله، و تجنب الشر: شر البلد و شر ما فيه .. سواء أكان الشر من الناس، أم من غيرهم.

و يلاحظ أيضا: أن هذا الدعاء قد أظهر للداعين و لغيرهم: أن الهيمنه الإلهيه كما تشمل السماوات و الأرض، من حيث هى موجودات كونيه، فإنها تشمل ما أظللن، و ما أقللن من موجودات، لها وظائف و مهمات، فيهما على حد سواء ..

و أفاد أن هذه السلطه تشمل أيضا حتى الموجودات المتمرده و الطاغيه، و تشمل من وقع تحت تأثيرها .. فهو تعالى رب الشياطين و ما أضللن .. كما أنها تشمل ما له حركه و تصرف، و ما يكون محلاـ للحركه و التصرف، و إن لم يكن من الموجودات العاقله و المختاره. فهو رب الرياح و ما أذرين.

فإذا كانت الهيمنه للّه تعالى على ذلك كله، فلا بد من أن يتوجه الناس إليه فى حاجاتهم. و قد حدد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) هذه الحاجات فى دعائه، بأنها الحصول على الخير، و تجنب الشر ..

ثم إنه (صلى اللّه عليه و آله) قال: (أقدموا باسم اللّه ..).

فإذا كان إقدامهم متمازجا مع اسم اللّه تعالى، و ملابسا له، فلا بد أن يلتزموا بخطه تعالى، و أن لا يشذوا عنه، فيكون معهم فى كل حركه، و كل سكون، و كل موقف.

و ما أحوجهم إلى استحضار اللّه تعالى فى مواقفهم هذه التى ينسى الإنسان فيها أكثر الأشياء قربا منه، فينسى حتى الطعام و الشراب، و ينسى الأهل و الأولاد، و ينسى المال و المقام، و ينسى .. و ينسى .. و كل هذا النسيان

لا ضير فيه، إذا كان ذاكرا للّه سبحانه، مستشعرا لوجوده، منسجما معه ..

و لأجل ذلك قال لهم (صلى اللّه عليه و آله): (أقدموا باسم اللّه ..).

ابن أبى يحذر اليهود:

و ذكروا: أن عبد اللّه بن أبى أرسل إلى اليهود يخبرهم: بأن محمدا سائر إليكم، فخذوا حذركم، و أدخلوا أموالكم حصونكم، و اخرجوا إلى قتاله، و لا تخافوا منه، إن عددكم كثير، و قوم محمد شرذمه قليلون، عزّل لا سلاح معهم إلا قليل.

فلما علم بذلك يهود خيبر أرسلوا وفدا إلى غطفان يستمدونهم كما سيأتى (١).

و نقول:

إن توجيهات ابن أبى لهم، و تحريضه إياهم على التصدى لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد استند إلى عده أمور، نشير منها إلى الأمرين التاليين:

١- كثره عددهم، و قله عدد جيش المسلمين، مع أن ابن أبى و الناس كلهم قد شاهدوا كيف ينتصر المسلمون فى حروبهم، و خصوصا فى بدر، رغم قله عددهم، و كثره عدد جيش عدوهم المهاجم.

و قد بيّن القرآن هذه الحقيقه فى موارد كثيره. و صرح: بأن العشره من المسلمين قادرون على أن يغلبوا مائه، فيما لو تدرعوا بالصبر و الإيمان.۴.

١- راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ۴٢ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ٣۶۴.

قال تعالى أيضا: كَمْ مِنْ فِئَهٍ قَلِيلَهٍ غَلَبَتْ فِئَهً كَثِيرَهً بِإِذْنِ اللَّهِ .. (۱)

۲- إنه قد ركز على السلاح، كعنصر حاسم فى المعركه بين الإيمان و الكفر.

غير أن من الواضح: أن للسلاح فى نوعه و فى مقداره بعض التأثير فى الحرب.

و لكن قد أثبتت الوقائع أيضا: أن الكلمه الأخيره، و الفاصله ليست له، و إنما هى للعزيمه و الإيمان بالقضيه، و الالتجاء إلى اللّه سبحانه، بالإضافه إلى مفردات كثيره من منظومه القيم، و المفاهيم، و الاعتقادات، و النظره إلى الكون و إلى الحياه، و مستوى تربيه النفس، و درجه التفاعل مع تلك القيم، و درجات رسوخ تلك النظرات و الاعتقادات فى كيان الإنسان، و فى أعماق وجوده ..

غطفان تخاف، فتتراجع:

أرادت غطفان، و سيدهم عيينه بن حصن أن يعينوا أهل خيبر- و كانوا أربعه الآف- لما سمعوا بمجيئه (صلى اللّه عليه و آله) إليهم، فأرسلوا كنانه ابن أبى الحقيق، و هوذه بن قيس، فى أربعه عشر رجلا إلى غطفان، يستمدونهم، و شرطوا لهم نصف ثمار خيبر إن غلبوا على المسلمين.

فجمعوا أربعه آلاف مقاتل- كما فى بعض المصادر- ثم خرجوا ليظاهروا يهود خيبر.ه.

۱- الآيه ۲۴۹ من سوره البقره.

و يقال: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أرسل إليهم: أن لا يعينوهم على أن يعطيهم من خيبر شيئا سماه لهم، و هو نصف ثمارها تلك السنه، و قال لهم: (إن اللّه قد وعدنى خيبر).

فأبوا، و قالوا: جيراننا و حلفاؤنا.

فلما ساروا قليلا سمعوا خلفهم فى أموالهم و أهليهم حسا ظنوه القوم.

أى ظنوا أن المسلمين أغاروا على أهليهم، فألقى اللّه الرعب فى قلوبهم.

و حسب نص الواقدى: سمعنا صائحا- ثلاث مرات- لا ندرى من السماء، أو من الأرض أهلكم أهلكم بحفياء (أو حيفاء- موضع قرب المدينه)، فإنكم قد خولفتم إليهم.

فرجعوا على الصعب و الذلول. أى مسرعين على أعقابهم، فأقاموا فى أهلهم و أموالهم، و خلوا بين رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و بين أهل خيبر.

و فى روايه: سمعوا صوتا يقول: أيها الناس، أهليكم خولفتم إليهم، فرجعوا فلم يروا لذلك نبأ (۱).

زاد فى نص آخر: أنهم قالوا: (فعلمنا: أن ذلك من قبل اللّه، ليظفر محمد بيهود خيبر) (۲).

بل ذكر بعضهم: أن عيينه بن حصن قد جاء إلى خيبر فى أربعه آلاف، فدخلوا مع اليهود فى حصون النطاه، قبل قدوم رسول اللّه (صلى اللّه عليه۴.

۱- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۵۱ و الإمتاع ص ۳۱۳ و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۴۲ و ۶۵۰ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۴۲ و البحار ج ۲۱ ص ۳۰ عن الخرائج و الجرائح و الإصابه ج ۳ ص ۲۵۴ و ۳۰۱.

۲- البحار ج ۲۱ ص ۳۰ و ج ۲۱ ص ۳۰ و الخرايج و الجرايح ج ۱ ص ۱۶۴.

و آله) بثلاثه أيام. فلما قدم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) خيبر أرسل إليهم سعد بن عباده و هم فى الحصن.

فلما انتهى سعد إلى الحصن ناداهم: إنى أريد أكلّم عيينه بن حصن.

فأراد عيينه أن يدخله الحصن، فقال مرحب: لا تدخله فيرى خلل حصننا، و يعرف نواحيه التى يؤتى منها، و لكن تخرج إليه.

فقال عيينه: لقد أحببت أن يدخل فيرى حصانته، و يرى عددا كثيرا.

فأبى مرحب أن يدخله، فخرج عيينه إلى باب الحصن.

فقال سعد: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أرسلنى إليك، يقول:

إن اللّه قد وعدنى خيبر فارجعوا، و كفوا، فإن ظهرنا عليها فلكم تمر خيبر سنه.

فقال عيينه: إنّا و اللّه ما كنا لنسلم حلفاءنا لشى ء، و إنّا لنعلم ما لك و ما معك مما ههنا طاقه، هؤلاء قوم أهل حصون منيعه، و رجال عددهم كثير، و سلاح. إن قمت هلكت و من معك، و إن أردت القتال عجلوا عليك بالرجال و السلاح.

و لا و اللّه، ما هؤلاء كقريش، و قوم ساروا إليك، إن أصابوا غرّه منك فذاك الذى أرادوا و إلا انصرفوا، و هؤلاء يماكرونك الحرب و يطاولونك حتى تملهم.

فقال سعد بن عباده: أشهد ليحصرنك فى حصنك هذا حتى تطلب الذى كنا عرضنا عليك، فلا نعطيك إلا السيف، و قد رأيت يا عيينه من قد حللنا بساحته من يهود يثرب، كيف مزقوا كل ممزق!

فرجع سعد إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فأخبره بما قال.

و قال سعد: يا رسول اللّه، لئن أخذه السيف ليسلمنهم، و ليهربن إلى بلاده، كما فعل ذلك قبل اليوم فى الخندق.

فأمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أصحابه: أن يوجهوا إلى حصنهم الذى فى غطفان، و ذلك عشيه و هم فى حصن ناعم، فنادى منادى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أن أصبحوا على راياتكم عند حصن ناعم الذى فيه غطفان.

قال: فرعبوا من ذلك يومهم و ليلتهم، فلما كان بعد هذه من تلك الليله سمعوا صائحا يصيح، لا يدرون من السماء أو الأرض: يا معشر غطفان، أهلكم أهلكم!! الغوث، الغوث بحيفاء- صيح ثلاثه- لا تربه و لا مال!

قال: فخرجت غطفان على الصعب و الذلول، و كان أمرا صنعه اللّه لنبيه.

فلما أصبحوا أخبر كنانه ابن أبى الحقيق- و هو فى الكتيبه- بانصرافهم، فسقط فى يديه (۱).

و نقول:

۱- إن قبيله غطفان أصرت على أن تنصر اليهود، لأمرين، هما: أنهم جيرانهم. و أنهم حلفاؤهم.

و الإستجابه لنداء الجيره و الحلف ليس بأولى من الاستجابه لما يوجبه العقل، و تفرضه الفطره، فإن غطفان كانت على الشرك الذى هو ظلم عظيم، و تأباه العقول، و تنفر منه الفطره ..۱.

۱- المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۵۰ و ۶۵۱.

فكان من المفروض: أن تستجيب- قبل كل شى ء- لنداء العقل و الفطره، لتكتشف صحه ما جاء به رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فتسير فى خط طاعه اللّه سبحانه، مواليه لأوليائه، و معاديه لأعدائه، و محاربه لهم بكل قوه و صرامه و حزم. فلا عهد فوق عهد اللّه تعالى، و لا جوار لأحد فى معصيه اللّه سبحانه و تعالى.

۲- إنه إذا كان اليهود قد وعدوا غطفان بشطر ثمار خيبر، فإن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد وعدهم بنفس ما وعدوهم به، مع فارق عظيم و هام، و هو: أن اليهود كانوا معروفين بالغدر.

أما النبى (صلى اللّه عليه و آله) فكان الصادق الأمين، و الوفى بالوعود و العهود ..

۳- إن اليهود إنما وعدوهم: بأن يعطوهم شطر ثمار خيبر، و لكن بشرط أن يعينوهم، و يحاربوا معهم، و لا بد أن يقتل من يقتل منهم، و أن تنشأ العداوات، و الثارات، و الإحن بينهم و بين المجتمع الإسلامى كله ..

أما النبى (صلى اللّه عليه و آله) فلم يكلفهم بالحرب، بل اكتفى منهم بالكف و عدم الإقدام على مساعده اليهود، فلا قتلى، و لا عداوات، و لا إحن، و لا أحقاد ..

مع ملاحظه: أن طلب اليهود العون يشير إلى ضعفهم أمام عدوهم، و طلب النبى (صلى اللّه عليه و آله) منهم اعتزال الحرب، و الحياد يشير إلى استغنائه عنهم، و إلى ثقته بالنصر على أعدائه. فكانت الاستجابه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) هى الأصلح لهم حتى فى حسابات الربح و الخساره الدنيويه.

۴- و لعل الحس الـذی سـمعته غطفان، و خافت أن یکون فی أهلیها قـد جاء لیؤکـد شده خوفهم، و مدی رعبهم فی قبال جیش المسـلمین، علی قاعـده: یَحْسَبُونَ کُلَّ صَیْحَهٍ عَلَیْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ (۱). لمجرد أنهم علمـوا بتـوجه المسـلمین نحـو خیـبر، رغم أنهم یعرفون: أن طریق النبی (صـلی اللّه علیه و آله) الآتی من المدینه إلی خیبر لا تمرّ بهم، لأن طریق غطفان إلی خیبر کانت من جهه الشام.

و قد استطاع النبی (صلی اللّه علیه و آله) فی هذا الالتفاف اللافت: أن یقطع هذه الطریق علیهم، کما أسلفنا ..

۵- إن غطفان لم تکن صادقه فیما ادّعته: من أنها تریـد أن تسـتجیب لنـداء الجیره و العهد، حیث قالوا: هم جیراننا و حلفاؤنا. فإنه إذا کـان هـذا هو دافعهم الحقیقی فلمـاذا یکلفون الیهود نصف ثمـار خیبر؟ فإنهـا إذا کانت تریـد أن تفی بالتزاماتها الأخلاقیه، و تستجیب لنداء الجیره، و تنفذ عهدها فیما بینهم و بینها. فلا حاجه إلی هذه الأموال ..

بل إن قبولها من المتبرع بها، فضلا عن المطالبه بها عیب، و عار، و خسه، و صغار.

۶- و إذا کـانت غطفـان قـد خـافت من إغاره المسـلمین علی دیارها و أهلها، فقـد کان بإمکانها أن ترسل سـریه- لو رمزیه- من رجالها، لمساعده الیهود، قضاء لحق الجیره، و وفاء بالعهد و الحلف. و یبقی الآخرون لدفع المهاجمین المحتملین.ن.

۱- الآیه ۴ من سوره المنافقون.

فـإذا كان ثمه من هجوم، فإن باسـتطاعه هؤلاء أن يشاغلوا المهاجمين إلى أن يرسـلوا إلى حلفائهم و جيرانهم من اليهود ليعينوهم مع باقى الرجال الـذين ذهبوا لنجـدتهم، و إن لم يهاجمهم أحـد، فإنهم يكونون قد وفوا بالتزاماتهم، و دفعوا عن جيرانهم، و وفوا بعهودهم، لو صح أنه كانت لهم معهم عهود!!

۷- إن كلمه ب (حيفاء) قد صـحفت فصارت (جنفا)، كما سيأتى حينما قال النبى (صلى اللّه عليه و آله) لبنى فزاره عندما هددوه بالقتال إن لم يعطهم الغنائم: (موعـدكم حيفا). حيث أراد (صـلى اللّه عليه و آله) أن يـذكرهم بهذا النداء السـماوى، ليفهمهم أن اللّه تعالى هو الذى يدافع عنه، أو يهى ء له الأمور.

۸- ثم إن النداء الذى سـمعته غطفان، قد عرّفهم: أن اللّه سـبحانه يريد أن يظفّر نبيه الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) بيهود خيبر .. و قد كان هذا الأمر كافيا لهم ليعودوا إلى أنفسـهم، و ليؤمنوا باللّه، و برسوله، و أن يتهافتوا لنصره هذا الرسول العظيم على أعدائه و أعدائهم ..

و لكنهم لم يفعلوا ذلك، بل اسـتمروا على الكفر و الجحود، و لو وجدوا الفرصه لخرجوا إلى حرب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و إلى نصره أعداء اللّه تعالى ..

و هذا هو الخذلان الإلهى، و الخيبه و الخسران. نعوذ باللّه من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.

۹- و سيأتى: أن العرب و قريشا قد شاركوا اليهود فى الحرب ضد الإسلام و المسلمين ..

بل فی بعض النصوص الآتیه تصریح: بأن عدد الذین واجههم المسلمون فی خیبر کان أربعه عشر ألفا ..

۱۰- إن الظاهر: أن هـذه الأعداد الکبیره کانت موزعه علی الحصون المختلفه، و کانوا قد قرروا أن لا یخرجوا للقتال فی ساحات الحرب و النزال .. فکان رأیهم هذا و بالا علیهم أیضا ..

الفصل الثانی: قبل أن یبدأ القتال

اشاره

وصول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى خيبر:

قال محمد بن عمر: ثم سار رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حتى انتهى إلى المنزله، و هى سوق لخيبر، صارت فى سهم زيد بن ثابت، فعرّس رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بها ساعه من الليل.

و كانت يهود لا يظنون قبل ذلك أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يغزوهم لمنعتهم، و حصونهم، و سلاحهم، و عددهم، فلما أحسوا بخروج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إليهم، قاموا يخرجون كل يوم عشره آلاف مقاتل صفوفا، ثم يقولون: محمد يغزونا؟!! هيهات!! هيهات!! و كان ذلك شأنهم.

و كان يهود المدينه يقولون حين تجهز النبى (صلى اللّه عليه و آله) إلى خيبر: ما أمنع- و اللّه- خيبر منكم. لو رأيتم خيبر، و حصونها، و رجالها لرجعتم قبل أن تصلوا إليهم، حصون شامخات فى ذرى الجبال، و الماء فيها واتن (أى لا ينقطع).

إن بخيبر لألف دارع. ما كانت أسد، و غطفان يمتنعون من العرب إلا بهم. فأنتم تطيقون خيبر؟!

فخرج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إليهم فعمّى عليهم مخرجه،

حتی نزل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بساحتهم لیلا، و کانوا حین بلغهم عزم النبی (صلی اللّه علیه و آله) علی المسیر إلیهم، اختلفوا فی خطه حربهم معه، و لم یتحرکوا تلک اللیله، و لم یصح لهم دیک حتی طلعت الشمس، فأصبحوا و أفئدتهم تخفق، و فتحوا حصونهم غادین معهم المساحی، و الکرازین (۱) و المکاتل، فلما نظروا إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ولّوا هاربین إلی حصونهم (۲).

و روی الشافعی، و ابن إسحاق، و الشیخان من طرق، عن أنس، قال:

سار رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إلی خیبر، فانتهی إلیها لیلا، و کان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إذا طرق قوما بلیل لم یغر علیهم حتی یصبح، فإذا سمع أذانا أمسک، و إن لم یسمع أذانا أغار علیهم حتی یصبح.

فصلینا الصبح عند خیبر بغلس، فلم نسمع أذانا، فلما أصبح رکب رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و رکب معه المسلمون، و أنا ردیف أبی طلحه.

فأجری نبی اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فانحسر عن فخذ رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فإنی لأری بیاض فخذ رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و إن قدمی لتمس قدم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) (۳).۳.

۱- الکرازین: الفؤوس.

۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۱۸ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۳ و الإمتاع ص ۳۱۰ و راجع: المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۳۷ و ۶۴۲ و ۶۴۳ و الطبقات الکبری لابن سعد ج ۲ ص ۱۰۶.

۳- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۱۸ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۳ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۴۳.

و خرج أهل القريه إلی مزارعهم بمکاتلهم. و مساحیهم، فلما رأوا رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، قالوا: محمد و الخمیس. فأدبروا هربا.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و رفع یدیه: (اللّه أکبر، خربت خیبر، إنا إذا نزلنا بساحه قوم، فساء صباح المنذرین) (۱).

و روی بسند ضعیف، عن أنس، قال: کان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یوم خیبر علی حمار مخطوم بر سن من لیف، و تحته إکاف من لیف (۲).

قال ابن کثیر: الذی ثبت فی الصحیح: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) جری فی زقاق خیبر حتی انحسر الإزار عن فخذه.

فالظاهر: أنه کان یومئذ علی فرس لا علی حمار.۳.

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۱۹ و فی هامشه عن: البخاری ج ۲ ص ۸۹ (۶۱۰/ ۲۹۹۱) و مسلم ج ۳ ص ۱۴۲۶ (۱۲۰/ ۱۳۶۵) و راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۳ و لباب التأویل ج ۴ ص ۱۵۲ و الإمتاع ص ۳۱۱ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۴۲ و ۶۴۳.

۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۷ ص ۳۳ و ج ۵ ص ۱۱۹ و فی هامشه عن: الحاکم فی المستدرک ج ۲ ص ۴۶۶ و البیهقی فی الدلائل ج ۴ ص ۲۰۴، و انظر: الدر المنثور ج ۶ ص ۱۱۱. و راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۴ و مستدرک الوسائل ج ۸ ص ۲۶۸ و مکارم الأخلاق ص ۱۵ و البحار ج ۶ ص ۲۲۹ و سنن ابن ماجه ج ۲ ص ۱۳۳۹ و الجامع الصحیح ج ۲ ص ۲۴۱ و فتح الباری ج ۶ ص ۵۶ و شرح النهج للمعتزلی ج ۱۱ ص ۱۹۴ و تاریخ مدینه دمشق ج ۴ ص ۲۱۰ و الشفا بتعریف حقوق المصطفی ج ۱ ص ۱۳۱ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۳۵۰ و عن تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۹۳.

قال: و لعل هذا الحديث- إن كان صحيحا- محمول على أنه ركبه فى بعض الأيام، و هو محاصرها.

و نقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمه عده وقفات، هى التاليه:

الجيش هو الخميس:

سمى الجيش بالخميس، لأنه خمسه أقسام: المقدمه، و القلب، و الجناحان- أعنى: الميمنه و الميسره- و الساقه.

خربت خيبر:

و ذكروا: أن الرسول (صلى اللّه عليه و آله) رفع يديه، و قال:

(اللّه أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحه قوم، فساء صباح المنذرين ..).

فهل كان هذا منه (صلى اللّه عليه و آله) دعاء بخراب خيبر؟!

أو أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد تفاءل بخرابها، حين رأى الفؤوس و المساحى، التى هى آله الهدم، كما زعمه بعضهم.

أو أنه (صلى اللّه عليه و آله) بصدد الإخبار عن خرابها، بقرينه قوله:

(إنا إذا نزلنا بساحه قوم فساء صباح المنذرين ..) (۱).ر.

۱- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۳ و الدر المنضود ج ۲ ص ۱۴۵ و البحار ج ۲۰ ص ۲۳۴ و ۲۶۲ و ج ۲۱ ص ۳۲ و الأم للشافعى ص ۲۶۷ و المجموع للنووى ج ۱۹ ص ۲۸۸ و تنوير الحوالك ص ۳۹۱ و المبسوط للسرخسى ج ۱۰ ص ۳۱ و مناقب أمير المؤمنين ج ۲ ص ۵۰۹ و الإرشاد للمفيد ج ۱ ص ۱۱۰ و ميزان الحكمه ج ۳ ص ۲۲۴۷ و مسند الشافعى ص ۳۱۸ و مسند أحمد ج ۳ ص ۱۰۲ و ج ۳ ص ۱۱۱ و ۱۶۴ و ۱۸۶ و ۲۰۶ و ۲۴۶ و ۲۶۳ و ۲۷۰ و ج ۴ ص ۲۸ و ۲۹ و عن صحيح البخارى ج ۱ ص ۹۸ و ۱۵۲ و ۲۲۸ و ج ۴ ص ۵ و ۱۶ و ۱۸۸ و ج ۵ ص ۷۳ و عن صحيح مسلم ج ۴ ص ۱۴۵ و ۱۴۷ و ج ۵ ص ۱۸۵ و الجامع الصحيح للترمذى ج ۳ ص ۵۴ و سنن النسائى ج ۱ ص ۲۷۲ و ج ۶ ص ۱۳۲ و ج ۷ ص ۲۰۴ و المستدرك للحاكم ج ۱ ص ۴۶۰ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۲ ص ۲۳۰ و ج ۹ ص ۵۵ و ۸۰ و ۱۵۳ و شرح مسلم للنووى ج ۱۲ ص ۱۶۴ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۴۹ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۵۹ و شرح سنن النسائى للسيوطى ج ۶ ص ۱۳۲ و مسند أبى داود ص ۲۸۳ و مسند الحميدى ج ۲ ص ۵۰۴ و بغيه الباحث ص ۲۶۱ و كتاب السنه ص ۵۹۴ و السنن الكبرى للنسائى ج ۱ ص ۴۷۸ و ج ۳ ص ۱۶۱ و ۳۳۵ و ج ۵ ص ۱۷۷ و ۱۷۸ و ۲۰۰ و ج ۶ ص ۴۴۱ و مسند أبى يعلى ج ۵ ص ۲۸۶ و ۳۸۴ و ج ۶ ص ۴۳۱ و ج ۷ ص ۳۰ و شرح معانى

الآثار ج ۳ ص ۲۰۸ و صحیح ابن حبان ج ۱۱ ص ۵۰ و ج ۱۴ ص ۴۵۲ و ج ۱۶ ص ۱۹۵ و المعجم الصغیر للطبرانی ج ۱ ص ۱۹۶ و المعجم الأوسط للطبرانی ج ۳ ص ۹۵ و ج ۴ ص ۱۴۲ و ج ۸ ص ۳۵۸ و المعجم الکبیر للطبرانی ج ۵ ص ۹۷ و مسند الشامیین ج ۴ ص ۲۲ و دلائل النبوه للإصبهانی ص ۱۱۲ و الأذکار النوویه للنووی ص ۲۰۹ و نصب الرایه للزیلعی ج ۶ ص ۱۳۵ و کنز العمال ج ۱۰ ص ۳۸۵ و ص ۴۶۵ و غیر ذلک کثیر.

قد يكون هذا الاحتمال الأخير قريبا، ثم الاحتمال الأول. و اللّه هو العالم ..

إنحسار الإزار عن فخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و أما قولهم: جرى رسول اللّه فى زقاق خيبر حتى انحسر الإزار عن

فخذه، فنلاحظ علیه:

أولا: هل یراد الإیحاء: بأن النبی (صلی اللّه علیه و آله) لم یکن متحفظا فی لباسه و ستره بالمقدار الکافی؟!

و أین هو وقاره، و سکینته (صلی اللّه علیه و آله)؟! فلماذا لا یحتفظ بهما فی مثل هذه الحالات التی لا توجب عجله، إذ لیس هناک أمر یخاف فوته، و لا یوجد عدو تخشی مباغتته؟!

ثانیا: ألیس یقولون: إن الفخذ من العوره، التی ینزه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من الغفله عن التحفظ علیها، أو التهاون فی سترها؟ أو أن یعجله أمر عن ذلک؟!

و قد قدمنا فی جزء سابق من هذا الکتاب (۱) ما روی عنه (صلی اللّه علیه و آله): أنه أمر رجلا بستر فخذه؛ فإنها من العوره (۲).

و هناک نصوص کثیره، تدل: علی أن ما بین السره و الرکبه عوره،۴.

۱- راجع: الصحیح من السیره ج ۲ ص ۱۷۵ و ۱۷۶.

۲- مسند أحمد ج ۵ ص ۲۹۰ و ج ۱ ص ۲۷۵ و صحیح البخاری ج ۱ ص ۵۱ و سنن البیهقی ج ۲ ص ۲۲۸ و الإصابه ج ۳ ص ۴۴۸ و فتح الباری ج ۱ ص ۴۰۳ و نیل الأوطار ج ۲ ص ۵۰ و مستدرک الحاکم ج ۴ ص ۱۸۰ و ۱۸۱ و مجمع الزوائد ج ۲ ص ۵۲ عن أحمد، و الطبرانی فی الکبیر، و الغدیر ج ۹ ص ۲۸۲ فما بعدها، عن من تقدم، و عن إرشاد الساری، و ابن حبان فی صحیحه، و لیراجع: موطأ مالک، و الترمذی، و أبو داود، و مشکل الآثار ج ۲ ص ۲۸۴ و ۲۸۵ و ۲۸۶ و حتی ص ۲۹۳. و المصنف ج ۱۱ ص ۲۷ و تأویل مختلف الحدیث ص ۳۲۳ و ۳۲۴.

فراجع (۱).

هناك نصوص تدل على حياء أبی موسی الأشعری و أبی بكر، و الخدری، لا مجال لإيرادها فعلا (۲). فيمكن الرجوع إليها فی مظانها.

و قال العلامه الأمينی: (هب أن النهی عن كشف الأفخاذ تنزيهی، إلا أنه لا شك فی أن سترها أدب من آداب الشريعه، و من لوازم الوقار، و مقارنات الأبهه، و رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) أولی برعايه هذا الأدب، الذی صدع به هو الخ ..) (۳).

هذا، و لا بأس بالمقارنه بين ما يذكر هنا عن نبينا الأعظم (صلی اللّه عليه و آله) و بين ما يذكر عن حياء عثمان، حتی إن أبا بكر، و عمر ليدخلان علی النبی (صلی اللّه عليه و آله)، و فخذه مكشوفه، فلا يسترها، حتی إذا دخل عليه عثمان جلس، و ستر فخذه، و سوی عليه ثيابه؛ فتسأله عائشه عن ذلك.

فيجيبها: بأنه ألا يستحی من رجل تستحی منه الملائكه؟! أو ما هو٥.

۱- راجع: الغدير ج ۹ ص ۲۸۵ و ۲۸۴ و ۲۸۸ و ۲۹۰ و ۲۹۱ و ۲۹۲. و المعجم الصغير ج ۲ ص ۹۶. و حياه الصحابه ج ۲ ص ۶۱۲ و ۶۱۳ تجد كثيرا من أقوال العلماء و النصوص حول ذلك.

۲- راجع: طبقات ابن سعد ج ۴ ص ۱۱۳ و ۱۱۴ و الزهد و الرقائق ص ۱۰۷ و ربيع الأبرار ج ۱ ص ۷۶۰ و حياه الصحابه ج ۳ ص ۴۸۲ عن كنز العمال ج ۸ ص ۳۰۶ و ج ۵ ص ۱۲۴ و عن حليه الأولياء ج ۱ ص ۳۴ و الغدير ج ۷ ص ۲۴۸ و ج ۹ ص ۲۸۱.

۳- الغدير ج ۹ ص ۲۸۵.

قریب من هذا (۱).

یضاف إلی ذلک: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) نفسه یأمر بالحیاء و یؤکد و یحث علیه باستمرار، فیقول: إذا لم تستح، فاصنع ما شئت (۲). ۱

۱- مجمع الزوائد ج ۹ ص ۸۲ و البدایه و النهایه ج ۷ ص ۲۰۲ عن الطبرانی فی الکبیر، و الأوسط، و مسند أحمد، و أبی یعلی، و تاریخ جرجان ص ۴۱۶، و المصنف للصنعانی ج ۱۱ ص ۲۳۲ و ۲۳۳ و المحاسن و المساوئ ج ۱ ص ۶۱ و حیاه الصحابه ج ۲ ص ۶۱۱ و ۶۱۲ عن الأولین، و مشکل الآثار ج ۲ ص ۲۸۳ و ۲۸۴ و مسند أحمد ج ۱ ص ۷۱ و ج ۶ ص ۶۲ و ۱۵۵ و ۱۶۷ و صحیح مسلم ج ۷ ص ۱۱۶ و ۱۷۷ و الغدیر ج ۹ ص ۲۷۴ و ۲۷۵ و ۲۸۷ و ص ۲۹۰ عن الأخیرین، و عن: مصابیح السنه ج ۲ ص ۲۷۳ و الریاض النضره ج ۲ ص ۸۸ و راجع: تأویل مختلف الحدیث ص ۳۲۳ و التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۳۸۳ و ۳۸۴ و فیه أحادیث أخری عن حیاء الملائکه من عثمان، و مسند أبی یعلی ج ۷ ص ۴۱۵.

۲- راجع: کنز العمال ج ۳ ص ۱۲۲ و مسند أحمد ج ۴ ص ۱۲۱ و ج ۵ ص ۲۷۳ و عن صحیح البخاری ج ۵ ص ۱۰۰ و تحفه الأحوذی ج ۲ ص ۷۴ و مسند ابن الجعد ص ۱۳۰ و المعجم الکبیر ج ۱۷ ص ۲۳۶ و ۲۳۷ و ۲۳۸ و مسند الشهاب ج ۲ ص ۱۸۶ و الأذکار النوویه ص ۴۱۰ و ریاض الصالحین للنووی ص ۷۱۳ و الجامع الصغیر للسیوطی ج ۱ ص ۶ و ۳۸۲ و عن فتح الباری ج ۱۰ ص ۴۳۴ و الغدیر ج ۹ ص ۲۷۵ و مستدرک الوسائل ج ۸ ص ۴۶۶ و الشرح الکبیر لابن قدامه ج ۱۲ ص ۴۳ و سبل السلام لابن حجر ج ۴ ص ۲۰۶ و المغنی لابن قدامه ج ۱۲ ص ۳۳ و تنویر الحوالک ص ۱۶۷ و إعانه الطالبین ج ۴ ص ۳۱۸ و الإقناع للحجاوی ج ۲ ص ۲۸۰ و مغنی المحتاج ج ۴ ص ۴۲۷ و میزان الحکمه ج ۱

و یقول: الحیاء من الإیمان، و الإیمان فی الجنه (۱).۸.

۱- راجع: الکافی ج ۱ ص ۷ و ج ۲ ص ۱۰۶ و تحف العقول ص ۳۹۴ و شرح أصول الکافی ج ۸ ص ۳۰۱ و الوسائل (ط دار الإسلامیه) ج ۱۱ ص ۳۳۰ و مستدرک الوسائل ج ۸ ص ۴۶۱ و ۴۶۳ و ج ۱۲ ص ۸۱ و کتاب الزهد للکوفی ص ۶ و المسترشد للطبری ص ۱۶ و دلائل الإمامه ص ۶۶ و مشکاه الأنوار للطبرسی ص ۴۱۱ و البحار ج ۱ ص ۱۴۹ و ج ۶۸ ص ۳۲۹ و ج ۷۵ ص ۳۰۹ و ج ۷۶ ص ۱۱۲ و الغدیر ج ۹ ص ۲۷۵ و مستدرک سفینه البحار ج ۱ ص ۳۱۰ و مکاتیب الرسول ج ۳ ص ۵۷۶ و ۵۷۷ و میزان الحکمه ج ۱ ص ۷۱۷ و مسند أحمد ج ۲ ص ۵۰۱ و سنن ابن ماجه ج ۲ ص ۱۴۰۰ و سنن الترمذی ج ۳ ص ۲۴۷ و المستدرک للحاکم ج ۱ ص ۵۲ و ۵۳ و مجمع الزوائد ج ۱ ص ۹۱ و ج ۸ ص ۲۶ و ۱۶۹ و عن فتح الباری ج ۱۰ ص ۴۳۳ و مسند ابن الجعد ص ۴۲۱ و المصنف لابن أبی شیبه ج ۶ ص ۹۲ و ج ۷ ص ۲۲۲ و الأدب المفرد للبخاری ص ۲۷۸ و مکارم الأخلاق لابن أبی الدنیا ص ۳۵ و أمالی المحاملی ص ۱۰۴ و صحیح ابن حبان ج ۲ ص ۳۷۳ و ۳۷۴ و المعجم الصغیر ج ۲ ص ۱۱۵ و المعجم الأوسط ج ۵ ص ۱۹۳ و المعجم الکبیر ج ۱۰ ص ۱۹۶ و ج ۱۸ ص ۱۷۸ و ج ۲۲ ص ۴۱۴ و موارد الظمآن ص ۴۷۶ و الجامع الصغیر ج ۱ ص ۵۹۶ و ج ۲ ص ۲۵ و العهود المحمدیه للشعرانی ص ۴۵۹ و کنز العمال ج ۳ ص ۵۳ و ۱۲۰ و ج ۱۵ ص ۸۷۷ و فیض القدیر ج ۳ ص ۵۶۸ و ج ۴ ص ۷۵ و تفسیر الثعالبی ج ۴ ص ۲۶۹ و تاریخ بغداد ج ۶ ص ۱۸۹ و تاریخ مدینه دمشق ج ۱۴ ص ۵۵ و میزان الإعتدال ج ۱ ص ۱۱۰ و الکشف الحثیث لسبط ابن العجمی ص ۴۸ و لسان المیزان ج ۱ ص ۱۹۸ و تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۹۳ و بیت الأحزان للقمی ص ۴۶ و لسان العرب ج ۱۴ ص ۱۴۸.

إلى غير ذلک من النصوص الكثيره المرويه عنه (صلى اللّه عليه و آله)، و لا مجال لتتبعها.

لا يظن اليهود: أنه صلّى اللّه عليه و آله يغزوهم:

و قد ذكرت الروايه المتقدمه: أن اليهود كانوا لا يظنون قبل ذلک: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يغزوهم لمنعتهم و سلاحهم، و عددهم.

و نقول:

١- إن هؤلاء كانوا مغرورين بأنفسهم بدرجه كبيره، فهم يرون أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد خاض حروبا صعبه و هائله، و منّ اللّه عليه بالنصر فيها، و هو قد ألجأ قريشا، التى لا يشک أحد فى زياده عددها أضعافا على العدد الذى عنده، و لا يمارى أحد فى سيادتها و نفوذها فى الحجاز كله- ألجأها- إلى طلب الصلح. و فرض عليها شروطه القويه، رغم أن عدد الذين كانوا معه فى جميع تلک المشاهد لا يقاس بعدد جيوش أعدائه. إضافه إلى ضعف ظاهر فى التجهيز فى السلاح، و فى كثير من الامتيازات الحربيه الأخرى.

ثم إنهم قد رأوا: أنه (صلی اللّه علیه و آله) یکاتب ملوک الأرض، و یدعوهم إلی دینه. و إلی الاعتراف بنبوته ..

فکیف مع هذا کله لم یکن الیهود یظنون أنه یغزوهم؟!

و متی ظهر لهم: أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد خاف من کثره السلاح، أو أرهبته منعه الحصون، أو ثنی عزیمته کثره عدد أعدائه؟!

۲- إذا کانوا لا یظنون أنه یغزوهم لمنعتهم و .. فلماذا أرسلوا و فدهم إلی قبیله غطفان لطلب العون، و جعلوا لتلک القبیله شطر ثمار خیبر، إذا انتصروا علی المسلمین؟! ..

و مع کل ذلک نؤکد علی:

أنهم ربما کانوا یظهرون للناس هذا الأمر تجلدا منهم، و مکرا و دهاء، یخفی وراءه رعبا قاتلا، و خوفا مخزیا، دفعهم إلی الاتصال بتلک القبیله، و عرض ثمره دیارهم علیهم، لیفوزوا بنصرهم ..

و لکن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد عرض ثمره بلاد عدوه، مقابل وقوف تلک القبیله علی الحیاد، و شتان ما بینهما ..

الأذان علامه الإسلام:

و قد تقدم: أنه (صلی اللّه علیه و آله) کان ینتظر أذان الصبح، فإن سمع الأذان امتنع عن الهجوم.

و لعل السبب فی ذلک: أن قرار الحرب و السلم قد یتخذه زعماء تلک الجماعه، لأطماع، معینه، أو لثارات شخصیه، أو أهداف شخصانیه، ترمی إلی بسط الزعامه و النفوذ لبعض الطامحین، و قد تکون لأسباب اقتصادیه أو

غيرها .. مع عدم رضا المرؤوسين بتلك الحرب، أو مع عدم وجود مبرر لها في حياتهم .. فيسوق زعيم القبيله مع حفنه من أعوانه قبيلته إلى حرب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) في حين يكون عامه الناس في تلك القبيله، و الجماعه غير راضين بخوض تلك الحرب.

فكان (صلى اللّه عليه و آله) يراقب حاله الناس و يميز بينهم، فإن رأى فيهم أيه أماره تدل على استحقاق الرفق بهم، أو تدل على إسلامهم- كالأذان- كف عنهم، و سعى في حل الإشكال مع الذين يسوقونهم إلى الحرب بطرق أخرى، أو سعى إلى استهداف المجرمين منهم دون المستضعفين المقهورين. و هذا هو الغايه في الحكمه و منتهى اللطف منه (صلى اللّه عليه و آله) بمن يظهرون العداوه و ينصبون الحرب له.

و من جهه أخرى، فقد ذكرت الروايات: أنه (صلى اللّه عليه و آله) كان لا يهاجم عدوه ليلا، بل ينتظر فيه طلوع الفجر، وفقا لما أشير إليه في قوله تعالى: فَالْمُغِيراتِ صُبْحاً (۱).

و قوله تعالى: وَ لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذابٌ مُسْتَقِرٌّ (۲).

و قوله: فَإِذا نَزَلَ بِساحَتِهِمْ فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ (۳).

و قوله: .. إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (۴).د.

۱- الآيه ۳ من سوره العاديات.

۲- الآيه ۳۸ من سوره القمر.

۳- الآيه ۱۷۷ من سوره الصافات.

۴- الآيه ۸۱ من سوره هود.

و قوله: أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (١).

و قوله: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَهُ مُصْبِحِينَ (٢) و غير ذلك ..

و ذلک كله يدل: على أن الهجوم على العدو صباحا- كما كان يفعل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و كذلک على (عليه السلام) من بعده- هو الراجح و الأولى، و لعل لهذا الأمر اعتبارات نفسيه، و عمليه قد يحتاج التعرف عليها إلى مزيد من التأمل و التدقيق.

إستعراضات و انتفاخات كاذبه:

و إن ما كان يقوم به اليهود من الخروج فى كل يوم، و هم عشره آلاف، يصطفون و يقولون: محمد يغزونا؟ هيهات!! هيهات!! لا يحتاج إلى تعليق.

فقد أشرنا أكثر من مره إلى أن الاغترار بالكثره و الاعتماد عليها .. دليل الفشل و السقوط ..

خصوصا إذا كان ذلک فى حال الحرب، و بالأخص إذا كان أولئک الناس من أهل الدنيا، و الغارقين بالحياه الماديه إلى آذانهم، لأن كلا منهم يريد أن يضحى بغيره من أجل نفسه، فهو يتخذ من غيره مجنا، و ترسا يتخفّى وراءه باستمرار، و هو يشعر: أن نفسه التى بين جنبيه هى المستهدفه بالقتل و بالقتال ..

و لذلک فهو يتخيل: أن الكثره من شأنها تكديس الموانع و الحواجز التى سوف يختبئ وراءها .. و يحتاج العدو إلى إزالتها و التخلص منها قبل أن يصل إليه ..ر.

١- الآيه ۶۶ من سوره الحجر.

٢- الآيه ٨٣ من سوره الحجر.

مع أنه إذا جد الجد و حمى الوطيس سيرى: أن الكل يفكر بنفس الطريقه، فإن كانوا عشره آلاف، فسيجد العشره آلاف كلهم يفكرون بما يفكر به هذا و ذاك، أى أن كل واحد منهم يريد أن يجعل الآخر ترسا و مجنا لهم، ليكون فى قبال حراب العدو، و سيوفه و سهامه، التى سوف تأكل من لحمه، و تهشم عظمه.

فإذا وصل به الخيال إلى هذا الحد، فإنه سوف يسعى لإبعاد شبح الحرب عن مخيلته، و سوف يتلذذ بالصور التى يخترعها لمبررات التخلص من عدوه.

و لعل ألذها و أغلاها على قلبه هى تلك الصور التى تزين له كيفيه انصراف العدو عن الحرب، و لسوف يندمج و يتفاعل مع هذه الصور، حتى تصبح هى الحقيقه التى لا محيص منها عنده، و لا بديل عنها لديه ..

و لذلك اعتقد اليهود: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) سوف لا ـ يأتى لحربهم، لأنهم توهموا: أنه (صلى اللّه عليه و آله) يفكر كما يفكرون، و يخشى من الكثرات كما يخشون ..

و كانت تلك الاستعراضات و الانتفاخات الكاذبه تجسد لهم أحلامهم هذه، و تزينها. حتى إذا استفاقوا من سباتهم هذا وجدوا أنفسهم أمام الحقيقه، و لم يكن لهم بد من مواجهه مصيرهم المحتوم .. و هكذا كان ..

و هذا يصلح تفسيرا لما قد يعتبر تناقضا ظاهرا فى مواقفهم، فهم إذا كانوا قد أحسوا بخروج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إليهم، و طلبوا معونه غطفان، و رتبوا حصونهم بحيث يحاربون فى بعضها، و يجعلون ذراريهم و أموالهم فى البعض الآخر ..

فما معنى قولهم: محمد يغزونا؟! هيهات!! هيهات!!

و لكن شرط أن يضاف إليه: أن يكون المقصود بهذا الاستعراض، إظهار الإعجاب بقوتهم و بكثرتهم، و السعى للتشجع، و الحصول على الجرأه على خوض تلك الحرب التى يخشونها كل الخشيه ..

مشوره الحباب:

اشاره

و قال محمد بن عمر: إنه حين نزل النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى خيبر، و جاء الحباب بن المنذر، فقال: يا رسول اللّه، إنك نزلت منزلك هذا، فإن كان من أمر أمرت به فلا نتكلم، و إن كان الرأى تكلمنا.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): (هو الرأى).

فقال: يا رسول اللّه، دنوت من الحصون، و نزلت بين ظهرى النخل، و النزّ، مع أن أهل النطاه لى بهم معرفه، ليس قوم أبعد مدى سهم منهم، و لا أعدل رميه منهم، و هم مرتفعون علينا، ينالنا نبلهم، و لا نأمن من بياتهم، يدخلون فى خمر النخل، فتحوّل يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى موضع برى ء من النزّ، و من الوباء، نجعل الحره بيننا و بينهم، حتى لا تنالنا نبالهم، و نأمن من بياتهم، و نرتفع من النزّ.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (أشرت بالرأى، و لكن نقاتلهم هذا اليوم) (۱). إذا أمسينا إن شاء اللّه تحولنا (۲).ع:

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۱۹ و ۱۲۰ و فى هامشه عن ابن سعد فى الطبقات ۳/ ۲/ ۱۰۹ و راجع: السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۳ و ۳۴ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۴۳ و ۶۴۴.

۲- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۳ و ۳۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۰ و راجع:

و دعـا رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله) محمـد بن مسـلمه، فقال: انظر لنا منزلا بعيـدا من حصونهم، بريئا من الوباء، نأمن فيه من بياتهم، فطاف محمد حتى أتى الرجيع، ثم رجع إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال: يا رسول اللّه، وجدت لك منزلا.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (على بركه اللّه) (۱).

و سيأتى: أنه (صلى اللّه عليه و آله) تحول لما أمسى، و أمر الناس بالتحول.

و يذكرون أيضا: أن راحلته (صلى اللّه عليه و آله) قامت تجر بزمامها، فأدركت لتردّ، فقال: دعوها، فإنها مأموره.

فلما انتهت إلى موضع من الصـخره بركت عندها، فتحول رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله) إلى الصـخره. و تحول الناس إليها، و اتخذوا ذلك الموضع معسكرا.

و فى الأصل: أنه نزل بـذلك الموضع، ليحول بين أهل خيبر، و بين غطفان، لأنهم كانوا مظاهرين لهم على رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله).

و ابتنى هنالك مسجدا صلى به طول مقامه بخيبر (۲).۴.

۱- طبقات ابن سعد ۳/ ۲/ ۱۰۹ و المصنف للصنعانى (۹۲۹۱) و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۱۹ و ۱۲۰ و فى الهامش: أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (۹۲۹۱).
۲- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۴ و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۴۴.

و نقول:

إن لنا مع النص المتقدم عده وقفات، نجملها على النحو التالى:

ألف: الإنتقاص من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

قد أظهرت الروايه المتقدمه: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد اختار لجيشه منزلا ـ غير صالح، من حيث إنه- كما أوضح الحباب- قريب من العدو إلى حد أن سهامهم تصل إليه.

يضاف إلى ذلك: ارتفاع المواقع التى يتواجد العدو فيها بالنسبه لموقع جيش المسلمين، فلهم إشراف، و تسلط و هيمنه عليهم.

كما أن وجود النخل بكثافه يعطيهم الفرصه للاستفاده منه فى مهاجمه المسلمين تحت جنح الظلام ..

فهذه الحيثيات كلها لا ـ ينبغى أن تخفى على أى إنسان عادى، يملك عقلا و إدراكا، و يعيش حاله التوازن فى شخصيته، و لا يغفل عنها إلا من كان يعانى من اختلالات فى عقله، فكيف يصح نسبتها إلى عقل الكل، و إمام الكل، و مدبر الكل، و هو سيد الأنبياء و المرسلين، و أفضل الخلائق أجمعين، من الأولين و الآخرين، إلى يوم الدين؟!

و كيف يكون الحباب بن المنذر أعرف، و أرشد، و أوفر عقلا من الرسول المسدد من اللّه، و المؤيد بالوحى؟!

و يجب أن لا ننسى: أنهم قد نسبوا إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله)، مثل ذلك فى غزوه بدر، و قد ذكرنا هناك أيضا أننا لا نشك فى كون ذلك من الأكاذيب، فراجع ..

ب: إذا أمسينا تحولنا:

اشاره

و لعل الصحيح هو: أن الناس أو معظمهم كانوا قد تسرعوا فى الأمر، و نزلوا فى ذلك المكان القريب من العدو، الذى تنز الأرض فيه ماء .. حتى إن من يقيم فى ذلك الموضع يبتلى- بسبب ذلك- ببعض الأدواء و الأوبئه.

فشكى الناس بلسان الحباب بن المنذر ذلك لرسول اللّه، و كان (صلى اللّه عليه و آله) عالما بالأمر، و عازما على التحول ..

و لكنه كان لا يريد أن يكسر عنفوان أولئك الناس الذين انطلقوا فيما فعلوه من نوايا طيبه، و نفوس سليمه، و طاهره. كما أنهم إذا عاينوا سوء ذلك الموضع بأم أعينهم فسوف يكون قرار الانتقال حاجه يشعرون هم أنفسهم بضروره تلبيتها، من دون أى تردد، أو إحساس بالمراره، أو اتهام منهم للآخرين بالمبالغه و التجنى.

كما أنه (صلى اللّه عليه و آله) لا يريد أن يشعر اليهود بأن ثمه ترددا أو اهتزازا فى القرارات، و فى السلوك و الممارسه لدى المسلمين. فيجرؤهم ذلك عليهم، و تهتز هيبتهم فى أعينهم، و يهى ء لهم الأجواء للتفكير فى منافذ من شأنها أن تثير بعض المتاعب لديهم، فقرر (صلى اللّه عليه و آله) المقام فى ذلك المكان إلى الليل، للإيحاء لهم بأن ذلك داخل فى جمله القرارات المدروسه و المؤثره.

الحباب ذو الرأى من هو؟!

و اللافت هنا: أن المؤرخين يذكرون: أن الحباب بن المنذر قد عارض أهل السقيفه، و قال لقومه: لكأنى بأبنائكم على أبواب أبنائهم (أى الذين

بویعوا فی السقیفه)، قد وقفوا یسألونهم بأکفهم، و لا یسقون الماء .. (۱).

بل ذکروا: أنه حین قال فی السقیفه: أنا جذیلها المحکک، و عذیقها المرجب، أخذ و وطئ فی بطنه، و دسوا فی فیه التراب (۲).

و هو القائل فی السقیفه: منا أمیر، و منهم أمیر (۳).

و لکن ذلک: لا یدل علی أنه کان بصدد مناصره علی (علیه السلام)، بل قد یفهم من سیاق حدیث السقیفه: أنه کان بصدد تدبیر الأمر لسعد بن عباده، و أنه لم یکن- فیما یظهر- من المعروفین بالولاء لعلی (علیه السلام)، أو لبنی هاشم.

و من جهه أخری: فإننا تعودنا من فریق بعینه من الناس تعظیم مناوئی علی (علیه السلام)، و منحهم الأوسمه، و إعطائهم الامتیازات، فما الذی جعل الحباب یستحق هذه الأوسمه منهم یا تری؟!

فهل تمکن الذین حکموا بعد رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من اجتذابه إلی جانبهم، فاستحق بذلک أن ینال بعض هذا الثناء، فیکون الرجل الرشید، و صاحب الرأی السدید، دون الرسول (صلی اللّه علیه۲.

۱- الإمامه و السیاسه (ط سنه ۱۳۵۶ ه بمصر) ج ۱ ص ۹.
۲- قاموس الرجال ج ۳ ص ۴۶ عن شرح النهج للمعتزلی ج ۶ ص ۴۰ و الغدیر للأمینی ج ۷ ص ۷۶.
۳- الإمامه و السیاسه (ط سنه ۱۳۵۶ ه بمصر) ج ۱ ص ۷ و شرح النهج للمعتزلی ج ۲ ص ۲۴ و ج ۶ ص ۹ و صحیح البخاری کتاب الحدود باب رجم الحبلی من الزنی، و الکامل لابن الأثیر ج ۲ ص ۲۵ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ حوادث سنه ۱۱ ه. و الإحتجاج للطبرسی ج ۱ ص ۹۲.

و آله)، حتى ليدّعون أنه حين نزل النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى بدر، استنادا إلى رأى نفسه، و أشار هو عليه (صلى اللّه عليه و آله) بالنزول فى موضع آخر، نزل جبرئيل (عليه السلام)، فقال: الرأى ما أشار به حباب (۱).

ج: حديث الراحله:

۱- و كما كانت ناقه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مأموره بتحديد المواقع كما جرى فى الحديبيه، و حين وصوله (صلى اللّه عليه و آله) إلى المدينه مهاجرا من مكه، فقد كان لناقته (صلى اللّه عليه و آله) دور أيضا فى واقعه خيبر. فإنها كانت مأموره حين قامت تجر بزمامها حتى انتهت إلى موضع بعينه، فبركت فيه، فتحول (صلى اللّه عليه و آله) إليه. و تحول الناس معه، و اتخذوا ذلك الموقع معسكرا.

و كانت هذه إشاره كافيه لتعريف الناس برعايه اللّه تعالى لهذه المسيره، و رضاه عنها .. فلتسكن القلوب إذن، و ليطمئن الناس إلى ما يختاره اللّه تعالى لهم. فالمقتول فى هذه المعركه شهيد، و الباذل مهجته فى سبيل اللّه مجاهد ..

و ما هى إلا إحدى الحسنيين: إما النصر، و إما الشهاده!!.

۲- و حديث الراحله هذا يكذب الروايه الأخرى التى زعمت: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد طلب من محمد بن مسلمه: أن يبحث لهم عن مكان ينزلون فيه، فطاف حتى أتى الرجيع فاختاره له، فانتقل (صلى اللّه عليه و آله) إليه ..۴.

۱- قاموس الرجال ج ۳ ص ۴۴.

فإننا لا نجد فی روایه الراحله أیه دواع للکذب، و الافتعال، بینما تکون هذه الدواعی متوفره بالنسبه لمحمد بن مسلمه، حسبما أشرنا إلیه عده مرات، و ربما نشیر إلی ذلک أیضا فیما یأتی ..

۳- بل إن بعض النصوص قد صرحت: بأنه (صلی اللّه علیه و آله) قد اختار ذلک المکان لیحول بین أهل خیبر و غطفان ..

و ربما تکون الراحله، قد حددت الموضع، ثم جاء التصریح من النبی (صلی اللّه علیه و آله): بأن النزول فی ذلک المکان بعینه سوف یقطع طریق الاتصال بین الیهود، و بین غطفان ..

د: بناء المسجد فی خیبر:

و لیس من قبیل الصدفه: أن یبادر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لبناء مسجد له فی خیبر، فإن ذلک یتضمن الإیحاء للمسلمین بالنتائج الإیجابیه لهذه الحرب التی یقدمون علیها.

کما أنه إشاره، بل إعلان لیهود خیبر بثقته (صلی اللّه علیه و آله) بالنصر علیهم، و بظهور الإسلام فی بلادهم رغما عنهم ..

صوابیه تدبیر الیهود:

قالوا: (ابتدأ رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من حصونهم بحصون النطاه. و قیل: ابتدأ بحصون الکتیبه؛ لأنهم أدخلوا عیالهم و أموالهم فی حصون الکتیبه، و جمعوا المقاتله فی حصون النطاه) (۱).۳.

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۳.

غير أننا لم نستطع أن نقنع أنفسنا بصوابيه هذا التدبير، فإن فصل العيال عن المقاتلين بهذا النحو قد يعطى الفرصه للجيش المهاجم لتكليف طائفه من مقاتليه بمشاغله المقاتلين فى حصن النطاه، ثم تتولى فئه أخرى مهاجمه الحصن الذى فيه العيال و الأموال، و فتحه، و الاستيلاء على ما و من فيه ..

و بذلك يكونون قد عرضوا أنفسهم لضربه قاصمه على الصعيد النفسى على أقل تقدير.

و من جهه ثانيه نقول: ماذا لو أن الجيش المهاجم اختار أن يهاجم الحصن الذى فيه المال و العيال بكل جنوده، أو اختار حصنا آخر غير حصنى النطاه و الكتيبه، ليهاجمه، فما الذى يصنعه الجيش المتجمع فى حصن النطاه؟! هل سيترك مواقعه، و يبادر لنجده مقاتلى الحصن الآخر؟!

و هل سوف يصحر للجيش المهاجم، و يلاقيه فى الصحراء، أو بين أشجار النخيل؟

أم سوف يبقى معتصما بالحصن الذى هو فيه، و يكتفى بالرمى من فوق الأسوار؟!

من أجل ذلك نقول:

لعل الحقيقه هى: أن اليهود قد وضعوا عيالهم و أموالهم، و رجالهم فى الحصن الأقوى بنظرهم. و وضعوا قسما من رجالهم فى أول حصن يتوقعون مهاجمه الجيش القادم له .. على أمل أن يتمكنوا من حفظ تلك الحصون من أخذ المهاجمين لها، و الاستفاده منها فى إذلالهم، و قهرهم.

كما أن تواجدهم فى تلك الحصون قد يربك المسلمين، و يوهمهم صعوبه تحقيق النصر، و يبعث فى نفوسهم اليأس من الظفر، و يحملهم على

التفكير بالرجوع عنهم بلا نتيجه، أو بنتيجه هى لصالحهم فى جميع احتمالاتها و وجوهها ..

قطع نخيل النطاه:

قـالوا: (و أمر (صـلى اللّه عليه و آله) بقطع نخيـل أهـل حصون النطـاه؛ فوقع المسـلمون فى قطعها، حتى قطعوا أربع مائه نخله، ثم نهاهم عن القطع، فما قطع من نخيل خيبر غيرها) (۱).

بل لقـد زعموا: أن الحباب بن المنذر هو الذى أشار على النبى (صـلى اللّه عليه و آله) بقطع النخيل، لأن النخيل أحب إلى اليهود من أبكار أولادهم، فأمر (صـلى اللّه عليه و آله) بقطع النخل، فوقع المسلمون فى قطعها حتى أسرعوا فى ذلك، فجاء أبو بكر إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و قال له: يا رسول اللّه، إن اللّه عز و جل قد وعدكم خيبر، و هو منجز ما وعدك. فلا تقطع النخل.

فأمر منادى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فنهى عن القطع (۲).

و فى نص آخر: أن الذى طلب من النبى (صلى اللّه عليه و آله) عدم قطع النخيل هو عمر (۳).۷.

۱- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۴ و الإمتاع ص ۳۱۱ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۴۴ و ۶۴۵ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۴۶.
۲- راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۴۴.
۳- السير الكبير للشيبانى ج ۱ ص ۵۵ و تدوين القرآن ص ۲۷.

ص: ۱۴۰

و نقول:

إن ذلک غیر مقبول، لأن النبی (صلی اللّه علیه و آله) لم یکن ألعوبه بأیدی الآخرین، و کان أعلم الناس بالمصالح و المفاسد، و بالتدبیر الصحیح.

و مع ذلک نقول:

- إن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) کان یوصی سرایاه و بعوثه بأن لا یقطعوا شجرا (۱).

۲- لماذا أمرهم بقطع نخیلهم فی خصوص حصون النطاه دون سواها؟ مع أن النخیل فی حصون الکتیبه کان أکثر بکثیر، فقد قیل- کما تقدم-: إنه کان فیها أربعون ألف عذق.

۳- لماذا عاد فنهاهم عن مواصله قطع النخیل، مع أنهم لم یقطعوا سوی أربع مائه نخله؟! فهل هو قد وجد: أن قطع النخیل لم یکن صوابا؟! أو لم یکن راجحا؟! ثم تبین له الصواب و الراجح!!

۴- إذا کانت مشوره أبی بکر هی التی منعته من مواصله القطع ..

فلماذا أدرک أبو بکر ما لم یدرکه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)؟!

و لماذا کانت النبوه من نصیب الذی قصر فهمه عن إدراک هذا الأمر، و حرم ذلک الرجل الراجح العقل من هذا المقام؟!۵.

۱- الکافی ج ۱ ص ۳۳۴ و ۳۳۵ و ج ۵ ص ۳۰ و البحار ج ۱۹ ص ۱۷۷- ۱۷۹ و راجع: مسند أحمد ج ۱ ص ۳۰۰ و التهذیب للطوسی ج ۶ ص ۱۳۸ و ۱۳۹ و الأموال ص ۳۵ و تذکره الفقهاء ج ۱ ص ۴۱۲ و ۴۱۳ و منتهی المطلب ج ۲ ص ۹۰۸ و ۹۰۹ و جواهر الکلام ج ۲۱ ص ۶۶ و الوسائل ج ۱۱ ص ۴۳ و ۴۴ و المحاسن للبرقی ص ۳۵۵.

۵- و إذا كان قطع النخيل يرضى اللّه تعالى، فلماذا أطاع النبى (صلى اللّه عليه و آله) أبا بكر؟!

و إذا كان لا يرضى اللّه تعالى فلماذا أطاع الحباب؟!

و كيف يصح هذا و ذاك، و النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا يقول و لا يفعل إلا ما يرضى اللّه سبحانه؟!

فالظاهر هو: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد أمر بقطع بعض النخلات استجابه لضرورات الحرب، لاحتياج العسكر إلى الفسحه المناسبه، حيث لا عوائق له عن الحركه، و لا موانع من الرصد الدقيق لتحركات العدو، و لغير ذلك من موجبات.

الأمان لمن أراد:

عن الضحاك الأنصارى، قال: لما سار النبى (صلى اللّه عليه و آله) إلى خيبر جعل عليا (عليه السلام) على مقدمته، فقال (صلى اللّه عليه و آله): من دخل النخل فهو آمن.

فلما تكلم النبى (صلى اللّه عليه و آله) نادى بها على (عليه السلام)، فنظر النبى (صلى اللّه عليه و آله) إلى جبرائيل يضحك، فقال: ما يضحكك؟!

قال: إنى أحبه.

فقال النبى (صلى اللّه عليه و آله) لعلى (عليه السلام): إن جبرائيل يقول إنه يحبك!

قال (عليه السلام): بلغت أن يحبنى جبرائيل؟

قال (صلى اللّه عليه و آله): نعم، و من هو خير من جبرائيل، اللّه عزّ

و جلّ (۱).

و نقول:

إن لنا مع ما تقدم عده وقفات، هی التالیه:

من دخل النخل فهو آمن:

لقد تضـمن هذا النص: أمرا هاما، من حیث دلالته الصریحه علی: أنه (صلی اللّه علیه و آله) لم یکن یقاتل الیهود، لأنه اتخذ قرارا مسبقا بقتلهم و بإبادتهم، أو بقهرهم، و الاستیلاء علی بلادهم، و قد جاء الآن لتنفیذ هذا القرار.

کما أنه قد تضمن إعطاء الأمان للناس من دون أی شروط، و الاکتفاء بمجرد إظهار الرغبه فی الدخول فی الأمان ..

و هـذا یعطی: أنه (صـلی اللّه علیه و آله) لم یکن یریـد أن یسـتفید من قوته العسـکریه الضاربه لفرض شـروطه علی محاربیه، بل کـانت شـروطه هی تلـک الشـروط، التی یسـعی إلیهـا کـل إنسان بحسب سـجیته و فطرته العامه، و هی کل ما یقتضـیه العـدل و الإنصاف للناس.

و هـذا یـدل: علی أن الهـدف هو مجرد التخلص من الفتنه، و درء الأخطـار، و إعـاده تصـحیح الأوضـاع لصالـح السـلم، و إشاعه الأمن، و ضمان الحریه فی نطاق الانضباط و الالتزام بالحدود، و الوفاء بالعهود، و المواثیق.

ثم إن هـذه الشـروط قـد أعطت الإیحاء للعـدو: بأن ثمه یقینا بالنصـر، و بأن علیهـم أن یراجعوا حساباتهم، فلا تغرهـم عدتهم، و لا عدیدهم ..۴.

۱- أسد الغابه ج ۳ ص ۳۴.

کما أن وجود هذا الخيار، و ظهور الميل إليه لدى بعض الفئات المحاربه، سوف يضعف الثقه فيما بينهم، و يخلّ بإمكانيه الاعتماد على بعضهم البعض، حين يبقى احتمال رغبه الناس بالأمان و احتمال أن يبادر إلى التماسه كل فرد منهم، ماثلا أمامهم، يثير القلق فی نفوسهم، و يضعف تأثير قراراتهم فی تسكين النفوس، و فی الشعور بالأمن، و بالطمأنينه للسلامه، و الثقه بالنصر، و بالتناصر ..

يضاف إلى ذلک: أنه قد يكون هناک أناس مستضعفون مغلوبون على أمرهم، يقهرهم الأقوياء على مواقف لا يريدونها، و يسخّرونهم لتحقيق مآربهم، فيكون إعطاء هذا الأمان فرصه لهم يعيد إليهم الخيار، و يمكنهم من الاختيار، و بذلک يصبحون هم الذين يتحملون المسؤوليه لو خاضوا تلک الحرب، و ارتكبوا أی خطأ، أو ذنب.

و ليس لهم أن يعتذروا بالاستضعاف، و انسداد أبواب الخيارات الصحيحه أمامهم.

جعل علی علیه السّلام علی المقدمه:

و إن جعل قياده ذلک الجيش إلى علی (عليه السلام) هو فی حد ذاته أحد مفردات الحرب النفسيه، الشديده التأثير على الأعداء، الذين يعرفون عليا (عليه السلام)، و قد أذاقهم سيفه الويلات، و حلت بهم منه الكوارث و النكبات. و هو أيضا يعطی المسلمين المزيد من القوه و الاندفاع، و الثقه بالنصر ..

التشکیک فی قیاده علی علیه السّلام:

و قد حاول بعضهم التشكيک بجعل علی (عليه السلام) على مقدمه الجيش.

فقد قال الديار بكرى: (و استعمل على مقدمه الجيش عكاشه بن محصن الأسدى، و على الميمنه عمر بن الخطاب، و على الميسره واحدا من أصحابه، و فى بعض الكتب على بن أبى طالب.

و هذا غير صحيح: لأن الروايات الصحيحه تدل على: أن عليا فى أوائل الحال لم يكن فى العسكر. و كان به رمد شديد. و لما لحق بالعسكر، أعطاه الرايه، و أمّره على الجيش، و وقع الفتح على يده كما سيجى ء) انتهى (۱).

و نقول:

إن لنا على ما ذكره بعض المؤاخذات:

فأولا: إن دعواه: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد جعل عمر بن الخطاب على الميمنه غريبه حقا، فإننا لم نعهد فى هذا الرجل طيله حياته مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أيه مواقف شجاعه، تؤهله لهذا المقام الخطير.

و قد كنا نتوقع: أن يذكروا هنا أشخاصا آخرين ممن لهم بهم هوى، حتى لو كان سعد بن عباده، أو الحباب بن المنذر، أو الزبير، الذى شفعت له عندهم حرب الجمل التى قادها ضد على (عليه السلام)، أو محمد بن مسلمه، لأننا نعلم: أن لهم عنايه خاصه بأمثال هؤلاء، و حرصا على تسطير الفضائل و الكرامات لهم.

و أما أبو دجانه، و المقداد، و نظراؤهم من الذين كان لهم ميل إلى على (عليه السلام)، فلا نكاد نشعر بأن لهم نصيبا فى شى ء من ذلك ..

و لعلهم قد أبهموا اسم الذى كان على الميسره لأنه كان فى جمله هؤلاء۲.

۱- تاريخ الخميس ج ۲ ص ۴۲.

الذين لا يحبون ذكرهم فی أمثال هذه المواقف، و لم يكن ثمه مجال لتبديله بغيره، لشده ظهور أمره للناس.

ثانيا: سيأتی إن شاء اللّه تعالی: أن عليا (عليه السلام) كان علی رأس جيش رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) من حين خروجه من المدينه، و قد طال مقامه فی خيبر عشرات الأيام، و ربما بلغ أشهرا، فالرمد لم يصب عليا (عليه السلام) كل هذه المده الطويله، بل أصابه قبل قتل مرحب بوقت يسير، و إنما قتل مرحب فی أواخر، بل فی آخر أيام خيبر، و بعد حصار حصونهم المختلفه عشرات الأيام ..

بل لقد حوصر حصن القموص نفسه عشرين يوما كما سيأتی.

و سيأتی أيضا فی الفصل الثالث فی فقره (الرايات بدأت فی خيبر): أنه (صلی اللّه عليه و آله) قبل أن يبدأ القتال فی حصن ناعم قد أعطی لواءه إلی علی (عليه السلام) .. و حصن ناعم هو أول حصون خيبر فتحا ..

علی عليه السّلام يسمع الناس أقوال النبی صلّی اللّه عليه و آله:

و قد لوحظ: أن عليا (عليه السلام) هو الذی تولی إسماع الناس ما تكلم به النبی (صلی اللّه عليه و آله) .. و كأن هذا الأمر قد جاء وفق توجيه مسبق ينيط هذه المهمه بعلی (عليه السلام).

لأننا نعلم: أن عليا (عليه السلام) لا يمكن أن يقدم علی أمر، إذا لم يكن هناك توجيه من رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله).

و قد ثبت ذلك بصوره قاطعه فی نفس غزوه خيبر، حين قال له النبی (صلی اللّه عليه و آله): اذهب و لا تلتفت، فسار قليلا، ثم قام و لم يلتفت،

فقال (علیه السلام): علام أقاتلهم، کما سیأتی إن شاء اللّه ..

جبرئیل یحب علیا علیه السّلام:

ثم یأتی إخباره (صلی اللّه علیه و آله) عن ضحک جبرئیل حین نادی (علیه السلام) فی الناس بکلامه (صلی اللّه علیه و آله).

فإن ما یثیر الانتباه هو: أن ذلک قد جاء توطئه للإعلان بحب جبرئیل (علیه السلام)، و حب اللّه تعالی لأمیر المؤمنین (علیه السلام)، و هو الحب الذی لم یوجب له (علیه السلام). أی نوع من أنواع الغرور غیر المقبول، بل هو قد بادر إلی هضم نفسه، و لم یعطها مداها، و لا أتاح الفرصه لأن یتوهم أی کان أن لها أی دور، أو تأثیر سلبی فی أی شأن من شؤونه (علیه السلام) ..

مع أنه هو الذی سیفتح اللّه تعالی خیبر علی یدیه، و سوف یتمنی المنهزمون الذین کانوا یجبّنون أصحابهم، و یجبنهم أصحابهم: أن یعطیهم الرسول (صلی اللّه علیه و آله) الرایه، التی لا نشک فی أنهم لو حصلوا علیها، فسوف یفرون بها من جدید، مره بعد أخری ..

و قد جاء بیان ذلک کله .. فی سیاق إعطاء الأمان لمن دخل النخل، لیکون ذلک بمثابه إعلان لهم: بأن هذا الذی سوف یقتل فرسانهم، و یفتح حصونهم، هو إنسان قریب من اللّه سبحانه و هو له حبیب .. و لیس مجرد فارس شجاع، و بطل فاتک، لا یبالی بإزهاق الأرواح، و لا یهدف فی حروبه تلک إلی أن یفرض إرادته علی الآخرین بالجبروت و بالقهر، و قوه السلاح ..

ص: ۱۴۸

الفصل الثالث: فتح حصن ناعم

اشاره

حصار حصن ناعم:

قال ابن إسحاق، و محمد بن عمر، و ابن سعد: و فرق رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) الرايات، و لم تكن الرايات إلا يوم خيبر، و إنما كانت الألويه (۱).

و كانت رايه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) سوداء من برد لعائشه، تدعى العقاب، و لواؤه أبيض، دفعه إلى على بن أبى طالب (عليه السلام)، و دفع رايه إلى الحباب بن المنذر، و رايه إلى سعد بن عباده.

و كان شعارهم: (يا منصور أمت) (۲).

و أضاف الحلبى: رايه إلى أبى بكر، و رايه إلى عمر (۳).

ثم صف رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أصحابه، و وعظهم، و نهاهم۵.

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۰ و أخرجه البيهقى فى الدلائل ج ۴ ص ۴۸ و ذكره ابن حجر فى المطالب العاليه (۴۲۰۲) و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۵ و الإمتاع ص ۳۱۳ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۴۹.
۲- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۰ و فى الهامش قال: أخرجه البيهقى فى الدلائل ج ۴ ص ۴۸ و ذكره ابن حجر فى المطالب العاليه (۴۲۰۲) و الواقدى فى المغازى ج ۲ ص ۶۴۹ و راجع: السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۵ و الإمتاع ص ۳۱۱ و ۳۱۳.
۳- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۵.

عن القتال حتی یأذن لهم، فعمد رجل من أشجع، فحمل علی یهودی فقتله، فقال الناس: استشهد فلان.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (أبعد ما نهیت عن القتال)؟.

قالوا: نعم.

فأمر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) منادیا فنادی فی الناس: (لا تحل الجنه لعاص).

و روی الطبرانی فی الصغیر، عن جابر: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قال یوم خیبر: (لا- تتمنوا لقاء العدو، و اسألوا اللّه تعالی العافیه، فإنکم لا تدرون ما تبتلون به منهم، فإذا لقیتموهم فقولوا: اللهم أنت ربنا و ربهم، و نواصینا و نواصیهم بیدک، و إنما تقتلهم أنت.

ثم الزموا الأرض جلوسا، فإذا غشوکم فانهضوا، و کبروا) و ذکر الحدیث (۱).

و قالوا: إن مرحبا هو الذی قتل ذلک الرجل الأشجعی (۲).

و أذن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فی القتال، و حثهم علی الصبر،۹.

۱- المستدرک للحاکم ج ۳ ص ۳۸ و مجمع الزوائد ج ۵ ص ۳۲۸ و ج ۶ ص ۱۵۱ و المعجم الصغیر للطبرانی ج ۲ ص ۱۱ و عیون الأثر ج ۲ ص ۱۳۶ و سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۰ و فی هامشه عن: مسلم فی الجهاد باب ۶ رقم (۲۰)، و نحوه عند البخاری فی الصحیح حدیث (۷۲۳۷) و سنن الدارمی ج ۲ ص ۲۱۶ و المصنف لعبد الرزاق (۹۵۱۳) (۹۵۱۸) و سنن أبی داود فی الجهاد باب ۹۷ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۴ و راجع: الإمتاع ص ۳۱۲.

۲- الإمتاع ص ۳۱۲ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۴۹.

و أول حصن حاصره حصن ناعم، و قاتل (صلى اللّه علیه و آله) يومه ذاك أشد القتال، و قاتله أهل النطاه أشد القتال، و ترس جماعه من أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه علیه و آله) عليه يومئذ، و عليه- كما قال محمد بن عمر- درعان، و بيضه، و مغفر، و هو على فرس يقال له: الظرب، و فى يده قناه و ترس (۱).

و تقدم فى حديث أنس: أنه كان على حمار، فيحتمل أنه كان عليه فى الطريق، ثم ركب الفرس حال القتال. و اللّه أعلم.

و جعلت نبل يهود تخالط العسكر و تجاوزه، و المسلمون يلتقطون نبلهم ثم يردونها عليهم. فلما أمسى رسول اللّه (صلى اللّه علیه و آله) تحول إلى الرجيع، و أمر الناس فتحولوا، فكان رسول اللّه (صلى اللّه علیه و آله) يغدو بالمسلمين على راياتهم حتى فتح اللّه الحصن عليهم.

و روى البيهقى من طريق عاصم الأحول، عن أبى عثمان الفهرى، و عن أبى قلابه.

و أبو نعيم، و البيهقى، عن عبد الرحمن بن المرقع.

و محمد بن عمر، عن شيوخه: أن المسلمين لما قدموا خيبر كان التمر أخضر، و هى و بيئه و خيمه، فأكلوا من تلك الثمره. فأهمدتهم الحمى، فشكوا إلى رسول اللّه (صلى اللّه علیه و آله)، فقال: (قرسوا الماء فى الشنان- أى القرب- فإذا كان بين الأذانين- أى أذانى الفجر- فاحدروا الماء عليكم۴.

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۳ ص ۱۲۰ و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۴ و الإمتاع ص ۳۱۳ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۴۴ و راجع: الغدير للشيخ الأمينى ج ۷ ص ۲۰۴.

حدرا، و اذکروا اسم اللّه تعالی).

ففعلوا، فکأنما نشطوا من العقل (۱).

و نقول:

علی فرس، أو علی حمار؟!

قد ذکر آنفا: أنه (صلی اللّه علیه و آله) کان علی فرس اسمه (الظرب) و هذا لا ینافی أنه (صلی اللّه علیه و آله) کان فی خیبر علی حمار، مخطوم برسن من لیف ..

فلعل رکوبه الحمار کان فی مسیره إلی خیبر، و فی غیر ساحه القتال ..

بل لقد صرحت روایه رکوبه الحمار: بأن ذلک کان و هو متوجه إلی خیبر، فراجع (۲).

و قد تقدم بعض الحدیث عن ذلک فلا نعید .. الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج ۱۷ ۱۵۲ قتال رسول الله صلی الله علیه و آله فی خیبر: ..... ص : ۱۵۲ و جاء فی الروایات الآنفه الذکر: أنه (صلی اللّه علیه و آله) قاتل یومه ذاک أشد القتال.

مع أنهم یقولون: إنه (صلی اللّه علیه و آله) لم یباشر القتال بنفسه إلا فی واقعه أحد.۴.

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۰ و ۱۲۱ و فی هامشه عن: ابن أبی شیبه ج ۷ ص ۴۵۴ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۵۳ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۴۴.

۲- راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۴.

یضاف إلی ذلک: أنه لو کان قد باشر القتال بنفسه لکان قد قتل أو جرح أحدا من المشرکین، و لکن أحدا لم یذکر ذلک، مع أن هذا الأمر مما تتوفر الدواعی علی نقله.

و قد یجاب عن ذلک: بأن المراد: أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد قاتل بجیشه أشد قتال (۱).

و یجاب أیضا: بأنه لیس بالضروره أن یکون ما ذکروه من أنه (صلی اللّه علیه و آله) لم یقتل أحدا فی غیر غزاه أحد صحیحا، فإنهم ذکروا هنا أیضا- کما سیأتی-: أنه (صلی اللّه علیه و آله) رمی بسهم فما أخطأ رجلا منهم (۲).

الرایات بدأت فی خیبر:

ثم إنهم قد ادّعوا: أن رایه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) تسمی العقاب، و أن الرایات بدأت من خیبر، و أن اللواء غیر الرایه، و أن لواء رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) کان أبیضا، و هو الذی أعطاه لعلی (علیه السلام) فی خیبر ..

و نقول:

أولا: ذکروا: أن اللواء الذی دفعه (صلی اللّه علیه و آله) إلی علی (علیه السلام) یوم خیبر- و کان أبیضا- کان یقال له: العقاب أیضا (۳).

ألا یفید ذلک: أن اللواء هو نفس الرایه؟!ی.

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۴.

۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۲.

۳- راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۶ عن سیره الدمیاطی.

ثانیا: قد صرحت الروایات: أنه (صلی اللّه علیه و آله) أعطی اللواء لعلی فی قضیه قتل مرحب، و فتح خیبر ..

مع أن عباره النبی (صلی اللّه علیه و آله) التی تناقلتها الروایات الکثیره هی: (لأعطین الرایه غدا رجلا یحب اللّه و رسوله الخ ..).

کما أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد قال لعلی (علیه السلام): خذ هذه الرایه و تقدم (۱).

إلا أن یجاب عن هذا الأمر الأخیر: بأنه (صلی اللّه علیه و آله) قد أعطاه الرایه و اللواء معا ..

ثالثا: لقد صرحت الروایات التی ذکرناها فی أوائل غزوه أحد: بأن لواء رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) (أو رایته)- فقد عبرت الروایات بهذا تاره و بذاک أخری- کانت مع علی (علیه السلام) فی جمیع المشاهد.

فلا معنی للتفریق بین اللواء و الرایه، ثم توزیع هذه أو تلک علی هذا الرجل أو ذاک، وفقا لبعض الإعتبارات التی یراد التسویق لها.۸.

۱- راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۶ و کشف الغطاء ج ۱ ص ۱۵ و شرح الأخبار للقاضی النعمان ج ۱ ص ۳۰۲ و العمده لابن البطریق ص ۱۵۳ و الطرائف لابن طاووس ص ۵۷ و الصوارم المهرقه للتستری ص ۳۵ و البحار ج ۳۹ ص ۹۰ و بغیه الباحث ص ۲۱۸ و المعجم الکبیر للطبرانی ج ۷ ص ۳۵ و الثقات لابن حبان ج ۲ ص ۱۳ و الکامل لابن عدی ج ۲ ص ۶۱ و تاریخ مدینه دمشق ج ۴۲ ص ۸۹ و البدایه و النهایه ج ۷ ص ۳۷۳ و السیره النبویه لابن هشام ج ۳ ص ۷۹۸.

الزموا الأرض جلوسا:

و حول أمر النبی (صلی اللّه علیه و آله) لهم بلزوم الأرض، ثم النهوض، و التکبیر ..

نقول:

ألف: إن جلوسهم فی البدایه ربما یثیر رغبه العدو فی اغتنام الفرصه و الهجوم علیهم، لأن حاله الجلوس قد تجعل هذا العدو یشعر بأن له هیمنه علی الموقف، و أن الذین هم أمامه أقل حجما و أضعف قدره منه، فإذا بادر إلی الهجوم علیهم، و فوجئ بقیامهم، فإن انقلاب الصوره بسرعه سوف یحدث إرباکا لدی هذا العدو المهاجم من حیث إیجاب ذلک تبدلا سریعا فی مشاعره و ارتجاجات قد تعیق- و لو للحظات- سیطرته علی الموقف، و اتخاذ القرارات المناسبه للحظه المناسبه فی هذا الوضع المستجد ..

فإذا صاحب ذلک تکبیر هؤلاء الناهضین، فإن ذلک سیزید من تزاحم الصور، و اختلاطها، و سوف تظهر علامات الفوضی و الإرباک، و فقدان القدره علی التمییز بین ما هو حسی و بین ما هو ذهنی، مما له اتصال بالفکر و المشاعر، و التصورات العقیدیه، بالإضافه إلی حالات من الهواجس المبهمه التی توقظ مشاعر الخوف علی النفس، و تستدعی استحضار ما یفید فی حفظها، و دفع الأخطار التی تتزاحم احتمالاتها فی مخیلتهم ..

نداء لا تحل الجنه لعاص:

و قد تقدم أیضا: أنه (صلی اللّه علیه و آله) کان قبل ذلک أمر بلالا فنادی: لا تحل الجنه لعاص، و ذلک حین خرج رجل علی جمل صعب،

فصرعه فمات.

و ها هم يقولون هنا: إنه (صلى اللّه عليه و آله) قد أمر مناديا لينادى بنفس النداء، و فى نفس غزوه خيبر أيضا، و ذلك فى شأن رجل من أشجع، حمل على يهودى فقتله اليهودى!!

فهل جرى هذا النداء مرتين؟!

ألم يكن المفروض: أن يتعلم الناس من النداء الأول، فلا يقدم أحد منهم على معصيه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؟! ..

و ربما يجاب عن هذا السؤال بالإيجاب، فيقال:

إن النداء فى المره الأولى لا- يكفى للردع عن المخالفه فى المره الثانيه؛ لأن النداء فى المره الأولى قد يفهم أنه نداء على أمر يعتقدون أن المخالفه فيه لا تشكل خطرا كبيرا، لأنها تكون فى أمر هو أقرب إلى الأمور الشخصيه التى تعنى ذلك الراكب نفسه.

و ينظر الناس إلى الأوامر و النواهى فى مثله على أنها مجرد إرشادات و نصائح لا تشدّد فيها. بخلاف موضوع إشعال نار الحرب بين الجيشين، بالمبادره إلى البراز، فإن اتخاذ قرار القتال بصوره منفرده و شخصيه، و من دون مراجعه القياده لا يمكن قبوله من أحد، لأنه قد يورط القياده و يسوق الأمور إلى خلاف ما ترمى إليه، و قد يفسد عليها خططها، و يبطل تدبيرها ..

إذن .. فقد لا يكون النداء الأول كافيا لردع الناس عن المخالفه الأقوى و الأشد ..

و نقول:

إنه إذا ثبت أن المخالفه فى ذلك الأمر العادى محرمه، و أنها توجب

تحریم الجنه علی العاصی، فإن ثبوت هذا التحریم للجنه فی الأمر الثانی، یصبح أمرا بدیهیا، و لا یصح ارتکابه من أحد ..

فإذا حصل ذلک، فإن النداء بتحریم الجنه علی مرتکبه یکون أشد ضروره، و أکثر إلحاحا. و لا سیما إذا کان من یبادر إلی القتال، قد ساقه إلی ذلک حبه للشهاده، و شده شوقه إلی اللّه و حنقه علی أعدائه تبارک و تعالی.

الإنضباط ضروره لا تقبل الجدل:

و علی کل حال: فإن هذا الأمر إذا کان قد حصل من ذلک الرجل فعلا، فإنه یکون عملا بالغ الخطوره، من حیث إنه یصادر قرارات القیاده، و یمهد لاستلاب زمام الأمور من یدها، و إضعاف هیمنتها، و إسقاط هیبتها، و قد یسعی الأعداء للتأثیر علی قراراتها بمثل هذه الأسالیب بالاستفاده من عناصر مدسوسه، و وفق خطط مدروسه.

هذا عدا عن أن ذلک سوف یجعل القیاده تضیع فی متاهات أهواء الناس، و اختلاف أذواقهم و مشاربهم، فلا تعرف کیف تخطط، و لا ماذا تقرر، و لا کیف تفکر ..

من أجل ذلک: فإن للانضباط الدور العظیم فی إنجاح أیه قضیه، و لا بد أن تکون عقوبه من یخل بهذا الأمر کبیره بحجم الفساد الذی تحدثه مخالفته، و یفرضه إخلاله ..

تمنی لقاء العدو:

و إذا ألقینا نظره علی الدعاء الذی طلب (صلی اللّه علیه و آله) من أصحابه أن یدعوا به ربهم عند لقاء العدو، فسوف تظهر لنا أمور کثیره،

نذکر منها ما یلی:

ألف: إن تمنی لقاء العدو، و إهمال التفکیر فی تلافی الحرب بوسائل الإقناع أو نحوها معناه: ترجیح خیار سفک دماء الناس المعارضین و التخلص منهم بأسلوب القتل و التدمیر، علی خیار السلم، و الوئام، و علی بذل الجهد فی محاولات إقناع حثیثه و متعاقبه، یمکن أن تکون ذات أثر فی حسم الأمور.

مع أن ما یسعی إلیه الإسلام هو الاستصلاح للناس، و لیس الاستئصال لهم، إلا إذا فقدت جمیع فرص الإصلاح، و أصبح وجودهم مضرا بالإنسان و الإنسانیه.

ب: إن الاستهتار بقدرات العدو یجر إلی کوارث و نکبات ربما لم یحسب لها حساب.

و هذا نوع من السذاجه الاختیاریه، التی تصل إلی حد التفریط و التقصیر غیر المقبول .. حیث یؤدی إلی إهمال کثیر من الإجراءات الاحتیاطیه، التی من شأنها أن تبعد شبح کثیر من الضربات القویه التی ربما یکون العدو قد أعدّ لها.

ج: إن تمنی لقاء العدو یجسد شعورا بالقوه الذاتیه، و ربما اغترارا بالقدره علی التصرف، و علی التأثیر المستقل .. فکان لا بد من تصحیح هذه النظره بالاستناد إلی أساس عقائدی متین. یستند إلی الاعتراف: بأن اللّه تعالی هو المتصرف بهم، لأنه الرب و الإله .. و ذلک بالتصریح أو التلویح بأمرین:

أحدهما: أن ربوبیته تعالی للجمیع تشیر إلی: أن حق التصرف منحصر به سبحانه .. و أن ما یفعله الناس إنما هو بإذن منه تعالی، من خلال إجراء

سنه إلهيه جعلت من إراده البشر حلقه فی سلسله العلل، و من موجبات الفیض الإلهی للوجود علی بعض الأشیاء.

الثانی: أن ذلک التصرف یرتکز إلی حقیقه: أن نواصی کلا الفریقین بیده تعالی، فهو المالک الحقیقی، و المهیمن علی الجمیع من موقع القدره، و القاهریه؛ لأنه رب الجمیع.

یسلم الراعی و تعود الغنم:

روی البیهقی، عن جابر بن عبد اللّه، و البیهقی عن أنس، و البیهقی عن عروه، و عن موسی بن عقبه: أن عبدا حبشیا لرجل من أهل خیبر، کان یرعی غنما لهم، لما رآهم قد أخذوا السلاح، و استعدوا لقتال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) سألهم: ما تریدون؟

قالوا: نقاتل هذا الرجل، الذی یزعم أنه نبی.

فوقع فی نفسه ذکر النبی (صلی اللّه علیه و آله)، فخرج بغنمه لیرعاها، فأخذه المسلمون، فجاؤوا به لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

و فی لفظ ابن عقبه: أنه عمد بغنمه إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فکلمه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ما شاء اللّه أن یکلمه.

فقال الرجل: ماذا تقول، و ماذا تدعو إلیه؟

قال: (أدعوک إلی الإسلام، و أن تشهد أن لا إله إلا اللّه، و أنی رسول اللّه، و أن لا تعبد إلا اللّه).

قال العبد: و ماذا یکون لی إن شهدت بذلک، و آمنت باللّه تعالی؟

قال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (لک الجنه إن آمنت علی ذلک).

فأسلم العبد، و قال: يا رسول اللّه، إنى رجل أسود اللون، قبيح الوجه، منتن الريح، لا مال لى، فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل، أدخل الجنه؟

قال: (نعم).

قال: يا رسول اللّه، إن هذه الغنم عندى أمانه، فكيف بها؟

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (أخرجها من العسكر، وارمها بالحصباء، فإن اللّه عز و جل سيؤدى عنك أمانتك).

ففعل، و أعجب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) كلمته، فخرجت الغنم تشتد مجتمعه، كأن سائقا يسوقها حتى دخلت كل شاه إلى أهلها، فعرف اليهودى: أن غلامه قد أسلم.

ثم تقدم العبد الأسود إلى الصف، فقاتل، فأصابه سهم فقتله، و لم يصل للّه تعالى سجده قط، فاحتمله المسلمون إلى عسكرهم، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (أدخلوه الفسطاط)، و فى لفظ: (الخباء).

فأدخلوه خباء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حتى إذا فرغ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) دخل عليه، ثم خرج فقال: (لقد حسن إسلام صاحبكم، لقد دخلت عليه، و إن عنده لزوجتين له من الحور العين) (۱).

و فى حديث أنس: فأتى عليه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و هو۳.

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۹ و فى هامشه عن: البيهقى فى الدلائل ج ۴ ص ۲۲ و السيره النبويه لابن هشام ج ۲ ص ۳۴۴ و البدايه و النهايه ج ۴ ص ۱۹۰ و راجع: السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۹ و الإمتاع ص ۳۱۳ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۴۹ و ۶۵۰ و المستدرک للحاكم ج ۲ ص ۱۳۶ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۱۴۳ و دلائل النبوه ص ۱۸۸ و كنز العمال ج ۱۶ ص ۷۴۳.

مقتول، فقال: (لقـد حسّن اللّه وجهک، و طیب ریحک، و کثّر مالک. لقـد رأیت زوجتیه من الحور العین، ینزعان جبته یـدخلان فیما بین جلده وجبته) (۱).

و عند ابن إسحاق: (ینفضان التراب عن وجهه، و یقولان: ترب اللّه وجه من تربک، و قتل من قتلک) (۲).

و نقول:

أولاـ من الواضـح: أنه إذا قامت الحرب بین فریقین، فأی مال یحصل علیه أحـدهما فإنه یسـتولی علیه بعنوان أنه غنیمه. فلا یعقل أن یخرج الراعی بـالغنم إلی أی مکان یصل إلیه جیش المسـلمین؛ لأن ذلک معناه: أن یسـتولی المسـلمون علی ذلک الغنم فور رؤیتهم له ..

و لا یمهلون ذلک الراعی حتی یراجع أحدا فی الأمر ..

بل إنهم سوف یعتبرون نفس ذلک الراعی أحد الغنائم، إن کان عبدا، أو یعتبرونه أسیرا إن لم یکن کذلک.

اللهم إلاـ أن یکون ذلـک قـد حصل فی فتره المفاوضات، و السـعی لإقامه الحجه علی الیهود، حتی إذا لم یسـتجیبوا لـداعی اللّه سبحـانه، و أصـروا علی معانـده الحق و أهله، و أعلنت الحرب، و تنابـذ الفریقـان، فإن کل فریق سوف یسـعی إلی حمایه ماله، و وضعه فی أماکن مأمونه، بعیدا عن متناول ید عدوه.۸.

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۹ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۲۱۸ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۳۶۲.
۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۳۰ و السیره النبویه لابن هشام ج ۳ ص ۸۰۶ و عیون الأثر ج ۲ ص ۱۴۸.

و لكن ليس فى الروايه ما يشير إلى ذلك، فيبقى مجرد احتمال معلق فى الهواء.

ثانيا: إن وصول الغنم إلى أصحابها بمجرد رميها بالحصباء قد يوجب يقين أصحاب تلك الغنم بأنهم محقون، و بأن اللّه تعالى هو الذى رد عليهم غنمهم، لأنه راض عنهم، ماض لطفه فيهم ..

و فى هذا إغراء بالعناد و اللجاج، و التشبث بالباطل، و دخول الشبهه على المبطلين، فلا يعقل صدور عمل يؤدى إلى ذلك من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

و أما الاعتذار عن ذلك: بأن عدم أخذهم لذلك العبد، إنما هو لعدم كونه محاربا، فهو اعتذار واه، لأن المفروض: أن جميع من هم فى تلك المنطقه، و يترددون إلى الحصون هم من المحاربين لأهل الإسلام ..

و الكلام إنما هو بالنسبه للناس العاديين، لا بالنسبه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) المتصل بالوحى و الغيب.

و مما يضحك الثكلى احتمال البعض: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) إنما أرجع الغنم إلى الحصن بهذه الطريقه لكى يظهر لذلك العبد معجزه تقنعه بنبوته.

فإن الأمور لم تضق على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى حد أنه يصنع معجزه من شأنها أن تعيد لليهود قطيعا كبيرا من الغنم، بحيث يعود إليهم لوحده ..

و ليس ثمه ما يدلهم على: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) هو الذى أرجعها إليهم، فإن دخول العبد فى الإسلام قد لا يكون استنادا إلى عوده الغنم إليهم، بل لأنه قد استضعف و خاف ..

هذا لو سلم أنهم عرفوا بإسلامه، و لم يثبت ذلک.

متی شبع النبی صلّی اللّه علیه و آله من خبز الشعیر؟!

و قالوا: إن حصن ناعم هو أول حصن فتح من حصون النطاه علی ید علی (علیه السلام).

و عن عائشه قالت: ما شبع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من خبز الشعیر و التمر حتی فتحت دار بنی قمه، أی و هی أول دار فتحت بخیبر، و هی بالنطاه، و هی منزل یاسر أخی مرحب، و ظاهر السیاق أنها ناعم (۱).

و نقول:

إن ثمه قدرا من الجرأه من عائشه علی مقام رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، حیث ساقت حدیثها بنحو یوحی: بأن الجوع و الشبع کان یمثل قضیه ذات أهمیه بالنسبه إلیه (صلی اللّه علیه و آله) ..

کما أنها عبرت بکلمه (ما شبع)، و هی لا- تناسب رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) .. الذی لم یکن یتملی من الطعام، وفقا لقاعده: اجلس علی الطعام و أنت جائع، و قم عنه و أنت تشتهیه .. مع ملاحظه النواهی الصادره عنه (صلی اللّه علیه و آله) عن الأکل حتی الشبع، و عن التملی من الطعام، و هی لا یکاد یجهلها أحد ..

و فی جمیع الأحوال نقول:

لماذا یجعلون رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) محور الحدیث عن هذا؟!

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۹.

الأمر بالـذات؟! .. و قد كان بإمكانهم جعل الحديث عن غيره، أو أن يستفيد المتحدثون من عناوين عامه، ليس فيها هذا الإيحاء غير المحبب، فيقولون مثلا، ما شبعنا، أو ما شبع الناس، أو المسلمون، أو نحو ذلك.

محمود بن مسلمه يقتل فی حصن ناعم:

و يقولون: إن السبب فی قتل محمود بن مسلمه هو: أنه كان قد حارب فی حصن ناعم حتی أعياه الحرب، و ثقل السلاح. و كان الحر شديدا، فانحاز إلی ظل ذلک الحصن يبتغی فيئه.

قالوا: و لا يظن محمود أن فی ذلک الحصن أحدا من المقاتله، و إنما ظن أن فيه متاعا و أثاثا.

فألقی عليه مرحب حجر الرحا، فهشم البيضه علی رأسه، و نزلت جلـده جبينه علی وجهه، و ندرت عينه. فأدركه المسـلمون، فأتوا به النبی (صـلی اللّه عليه و آله) فسوی الجلـده إلی مكانهـا، و عصـبه بخرقه، فمات من شـده الجراحه. و تحول (صـلی اللّه عليه و آله) خشيه علی أصحابه من البيات (۱).

و جاء أخوه محمد بن مسلمه إلی رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله)، فقال:

إن اليهود قتلوا أخی محمود بن مسلمه، و بكی.

فقال رسول اللّه (صـلی اللّه عليه و آله): لا تمنوا لقاء العـدو، و اسألوا اللّه العافيه، فإنكم لا تدرون ما تبتلون به منهم، فإذا لقيتموه، فقولوا: اللهم أنت ربنا و ربهم، و نواصينا و نواصيهم بيدک، و إنما تقتلهم أنت.۴.

۱- المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۴۵ و الإمتاع ص ۳۱۱ و ۳۱۲ و راجع: السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۴.

ثم الزموا الأرض جلوسا، فإذا غشوكم، فانهضوا، و كبروا (۱).

و نحن نشك فی صحه هذه الروایه من أساسها.

فأولا: إن القتال کله کان مع المدافعین عن حصن ناعم، فما معنی قولهم: (و لا یظن محمود: أن فیه أحدا من المقاتله، إنما ظن: أن فیه متاعا و أثاثا)؟! فهل ترک المقاتلون حصنهم، و تاهوا فی الصحراء؟!

ثانیا: إذا کان الیهود بعد القتال قد دخلوا حصنهم. فإن من غیر المعقول: أن یحارب محمود بن مسلمه الیهود حتی أعیاه الحرب، و ثقل السلاح، ثم یجلس فی أسفل حصنهم لیستریح.

إذ أی عاقل لا یخطر فی باله: أن الیهود قد یفکرون فی إلقاء حجر علیه لقتله، و أن علیه أن یتحرز من ذلک؟!

و قد علم الناس کلهم: أن سبب حرب النبی (صلی اللّه علیه و آله) لبنی النضیر، حتی أجلاهم من دیارهم، هو: أنه جاءهم مع أصحابه فی أمر، و جلس إلی بعض بیوتهم، فحاولوا إلقاء حجر علیه لقتله، فأخبره اللّه تعالی بذلک فقام و ترکهم، و کانت الحرب.

فإذا کان هذا حال الیهود فی السلم، فکیف ستکون حالهم فی الحرب؟! و لا سیما بعد حصول معرکه حامیه یعیا فیها المحارب ..

ألم یسمع محمود بحرب النضیر؟!۶.

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۴ و راجع: المعجم الصغیر ج ۲ ص ۱۳۶ و المستدرک علی الصحیحین ج ۳ ص ۳۸ و مجمع الزوائد ج ۵ ص ۳۲۸ و ج ۶ ص ۱۵۱ و کتاب الدعاء للطبرانی ص ۳۲۸ و کنز العمال ج ۴ ص ۳۶۱ و عیون الأثر ج ۲ ص ۱۳۶.

و ألم يعرف سبب نشوبها، و هی الحرب التی انتهت إلی تلک النتائج الخطیره و الکبیره علی مستوی المنطقه بأسرها؟!

ثالثا: کیف لم یحذّر أحد من المسلمین محمود بن مسلمه من مغبه جلوسه فی ذلک الموضع؟! أم یعقل أن یکون الجمیع قد ترکوه وحده، و غادروا المکان؟!

رابعا: و الغریب فی الأمر: أنهم یذکرون عن النبی (صلی اللّه علیه و آله) أنه قال لمحمد بن مسلمه، حینما أخبره بقتل أخیه: إنه سوف یرسل رجلا یحب اللّه و رسوله، و یحبه اللّه و رسوله، لیأخذ له بثأر أخیه، ثم أرسل علیا (علیه السلام) (۱).

فلماذا لم یرسل محمد بن مسلمه نفسه. مع أنهم یدّعون له مقاما فریدا فی الفروسیه و الشجاعه، حتی زعموا- کذبا و زورا-: أنه هو الذی قتل مرحبا؟!

بالإضافه إلی ما لا یجهله أحد من أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قال:

لأعطین الرایه رجلا یحب اللّه و رسوله، و یحبه اللّه و رسوله الخ .. بعد فرار أبی بکر و عمر، و لأجل تلافی ما حصل .. لا فی مناسبه إخبار محمد بن مسلمه له (صلی اللّه علیه و آله) بقتل أخیه محمود.

خامسا: و الأغرب من ذلک، و الأعجب: أن یجیب (صلی اللّه علیه و آله) ابن مسلمه علی إخباره إیاه بقتل أخیه، بقوله: لا تمنوا لقاء العدو الخ .. فهل تراه یحذّر ابن مسلمه، من أن یحدث نفسه بلقاء العدو الذی قتل أخاه للتو؟!

و هل هو یخشی أن یصیبه ما أصاب أخاه؟!۳.

۱- راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۵ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۲۳.

و هل ینسجم هذا، و ذاک مع ما زعموه من أن محمد بن مسلمه قد بارز مرحبا و قتله بأخیه؟!

أم أنه (صلی اللّه علیه و آله) یرید أن یتنبأ له مسبقا بفراره و فرار غیره حینما یواجهون الیهود فی حصن القموص، حینما یرسلهم (صلی اللّه علیه و آله) بالرایه إلی حرب الخیبریین؟! ..

سادسا: قد ذکرت الروایات المتقدمه: أن مرحبا هو الذی ألقی الرحی علی محمود بن مسلمه، فقتله بها ..

و لکن روایه أخری تقول: إن الذی ألقی الرحی علیه هو کنانه بن الربیع ..

و فی روایه ثالثه: أن قاتله هو شخص آخر، و هو الذی سلمه علی (علیه السلام) لمحمد بن مسلمه لیقتله بأخیه ..

و قد حاول الحلبی الجمع بین الروایتین الأولیین: بأن من الممکن أن یکون الرجلان قد اجتمعا علی قتل محمود هذا (۱).

و لکننا نقول له: إن مجرد الإمکان لا یکفی لصیاغه التاریخ، بل ذلک یحتاج إلی شواهد و أدله صالحه للاعتماد ..

سابعا: إن الظاهر هو: أن مرحبا کان حبیبا و قریبا لأخیه محمد بن مسلمه، فقد صرح أمیر المؤمنین (علیه السلام): بأن محمدا کان ینقم علی علی (علیه السلام) أنه قتل أخاه مرحبا (۲).ه.

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۴.

۲- الإمامه و السیاسه (ط سنه ۱۳۵۶ ه- بمصر) ج ۱ ص ۵۴ و قاموس الرجال ج ۸ ص ۳۸۸ عنه.

و لعله كان أخا له من الرضاعه، إن لم يكن أخاه لأمه ..

و فى جميع الأحوال نقول:

إن ذلك كله يشير إلى مدى الإصرار و الحرص على الكذب و الافتعال فى هذا الأمر بالذات.

و لعلهم أرادوا إسداء خدمه لمحمد بن مسلمه، بتضخيم أمر قتل أخيه محمود من جهه، بادّعاء: أن أعظم بطل فى اليهود هو الذى قتله .. ثم بإظهار اهتمام النبى (صلى اللّه عليه و آله) بقتل قاتله، ثم سعيه للثأر لأخيه.

و ذلك كله: فى سياق التوطئه و التسويق المؤثر لادّعاء: أن محمد بن مسلمه هو قاتل مرحب، بطل أبطال اليهود.

و بذلك يمكنهم أيضا: حرمان على (عليه السلام) من هذا الفضل، أو تشكيك الناس به على الأقل ..

و الأهم من ذلك كله: التقليل من شأن هذا النصر العظيم الذى سجله (عليه السلام)، بقتل مرحب، و اقتلاع باب خيبر، و ظهور فضله على الصحابه كلهم، بعد أن اتخذوا طريق الفرار سبيلا للنجاه فى الحياه الدنيا، دون أن يعبأوا بعقاب الآخره.

أين قتل ابن مسلمه؟!

إن ظاهر بعض النصوص المتقدمه: أن محمود بن مسلمه قد قتل فى حصن القموص (۱). مع أنه إنما قتل فى حصن ناعم حسبما تقدم تفصيله ..ى.

۱- البدايه و النهايه ج ۴ ص ۱۸۵ عن البيهقى.

الفصل الرابع: فتح سائر حصون النطاه و الشق

اشاره

حصار و فتح حصن الصعب بن معاذ:

لم يكن بخيبر حصن أكثر طعاما، و ودكا، و ماشيه، و متاعا من حصن الصعب بن معاذ و وجدوا فيه ما لم يكونوا يظنون، من الشعير، و التمر، و السمن، و العسل، و الزيت، و الودك (۱). و كان فيه خمسمائه مقاتل، و كان المسلمون قد أقاموا أياما يقاتلون، ليس عندهم طعام إلا العلف (۲).

بل قال الواقدى: إن الأطعمه كلها كانت فى هذا الحصن (۳).

و روى محمد بن عمر، عن أبى اليسر كعب بن عمر: أنهم حاصروا حصن الصعب بن معاذ ثلاثه أيام، و كان حصنا منيعا، و أقبلت غنم لرجل من يهود ترتع وراء حصنهم، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (من رجل يطعمنا من هذه الغنم)؟

فقلت: أنا يا رسول اللّه.

فخرجت أسعى مثل الظبى.۲.

۱- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۱ و ۱۲۲ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۵۸ و ۶۵۹ و راجع: السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۹ و ۴۰.

۲- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۱ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۵۸.

۳- المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۶۲.

و فی لفظ: مثل الظلیم، فلما نظر إلیّ رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مولیا قال: (اللهم متعنا به).

فأدرکت الغنم- و قد دخل أولها الحصن- فأخذت شاتین من آخرها فاحتضنتهما تحت یدی، ثم أقبلت أعدو، کأن لیس معی شی ء، حتی انتهیت إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فأمر بهما فذبحتا، ثم قسمهما، فما بقی أحد من العسکر الذین معه محاصرین الحصن إلا أکل منهما.

فقیل لأبی الیسر: کم کانوا؟

قال: کانوا عددا کثیرا (۱).

فیقال: أین بقیه الناس؟.

فیقول: فی الرجیع، بالمعسکر (۲).

و روی ابن إسحاق، عن بعض قبیله أسلم، و محمد بن عمر، عن معتب الأسلمی، و اللفظ له، قال: أصابتنا معشر أسلم مجاعه حین قدمنا خیبر، و أقمنا عشره أیام علی حصن النطاه، لا نفتح شیئا فیه طعام، فأجمعت أسلم أن أرسلوا أسماء بن حارثه، فقالوا: ائت رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فقل له: إن أسلم یقرئونک السلام، و یقولون: إنّا قد جهدنا من الجوع و الضعف.٠.

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۱ و إمتاع الأسماع ص ۳۱۶ و ۳۱۷ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۶۰ و راجع: مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۴۹ و ج ۹ ص ۳۱۶ و عن البدایه و النهایه ج ۴ ص ۲۲۱ و عن السیره النبویه لابن هشام ج ۳ ص ۷۹۸ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۳۶۸.

۲- المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۰.

فقال بريده بن الحصيب: و اللّه، إن رأيت كاليوم قط من بين العرب يصنعون هذا!!

فقال زيد (هند) بن حارثه أخو أسماء: و اللّه، إنى لأرجو أن يكون هذا البعث إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مفتاح الخير.

فجاءه أسماء فقال: يا رسول اللّه إن أسلم تقرأ عليك السلام، و تقول:

إنا قد جهدنا من الجوع و الضعف، فادع اللّه لنا.

فدعا لهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ثم قال: (و اللّه ما بيدى ما أقويهم به، قد علمت حالهم، و أنهم ليست لهم قوه، ثم قال: (اللهم فافتح عليهم أعظم حصن فيها، أكثرها طعاما، و أكثرها و دكا) (۱).

و دفع اللواء إلى الحباب بن المنذر، و ندب الناس، فما رجعنا حتى فتح اللّه علينا حصن الصعب بن معاذ.

قالت أم مطاع الأسلميه: لقد رأيت أسلم حين شكوا إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ما شكوا من شده الحال، فندب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) الناس فنهضوا، فرأيت أسلم أول من انتهى إلى حصن الصعب بن معاذ، فما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى فتح اللّه ..

إلى أن قال: و كان عليه قتال شديد.

و برز رجل من يهود يقال له: يوشع، يدعو إلى البراز، فبرز له الحباب بن المنذر، فاختلفا ضربات، فقتله الحباب.۶.

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۱ و ۱۲۲ و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۹ و إمتاع الأسماع ص ۳۱۶.

و برز له آخر- يقال له: الزيال، أو الديال- فبرز له عماره بن عقبه الغفارى، فبادره الغفارى فضربه ضربه على هامته، و هو يقول: خذها و أنا الغلام الغفارى.

فقال الناس: (بطل جهاده).

فبلغ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ذلك، فقال: (ما بأس به، يؤجر و يحمد) (۱).

و روى محمد بن عمر، عن محمد بن مسلمه، قال: رأيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) رمى بسهم فما أخطأ رجلا منهم، و تبسم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى، و انفرجوا، و دخلوا الحصن (۲).

و وجدوا فى حصن الصعب بن معاذ: آله حرب، و دبابات، و منجنيقا.

و كان أحدهم قد أخبر النبى (صلى اللّه عليه و آله) بأن فى حصن الصعب بن معاذ، فى بيت منه تحت الأرض منجنيق، و دبابات، و سيوف (۳).

و حسب نص الحلبى: إن اليهود حملت حمله منكره، فانكشف المسلمون حتى انتهوا إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و هو واقف قد نزل عن فرسه، فثبت الحباب بن المنذر، فحرض (صلى اللّه عليه و آله) على الجهاد، فأقبلوا، و زحف بهم الحباب، فانهزمت يهود، و أغلقت الحصون عليهم.ع.

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۲ و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۹ و ۴۰ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۵۹ و راجع: المعجم الكبير للطبرانى ج ۶ ص ۹۴ و ۹۵ و رياض الصالحين للنووى ص ۳۸۵ و عن سنن أبى داود ج ۲ ص ۲۶۷.

۲- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۲ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۲۲.

۳- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۴۰ و راجع ص ۴۱ عن الإمتاع.

ثم إن المسلمين اقتحموا الحصن، يقتلون، و يأسرون، فوجدوا فی ذلک الحصن من الشعیر الخ .. (۱).

و نادی منادی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): کلوا، و اعلفوا، و لا تحملوا، أی لا تخرجوا به إلی بلادکم (۲).

و حسب نص الواقدی: و قد أقمنا علیه یومین نقاتلهم أشد القتال، فلما کان الیوم الثالث بکّر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) علیهم، فخرج رجل من الیهود کأنه الدقل فی حربه له، و خرج و عادیته معه، فرموا بالنبل ساعه سراعا، و ترسنا عن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و أمطروا علینا بالنبل، فکان نبلهم مثل الجراد، حتی ظننت ألّا یقلعوا، ثم حملوا علینا حمله رجل واحد.

فانکشف المسلمون حتی انتهوا إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و هو واقف، قد نزل عن فرسه، و مدعم (۳) یمسک فرسه.

و ثبت الحباب برایتنا، و اللّه ما یزول، یرامیهم علی فرسه، و ندب رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) المسلمین و حضهم علی الجهاد و رغبهم فیه، و أخبرهم أن اللّه قد وعده خیبر یغنمه إیاها.

قال: فأقبل الناس جمیعا حتی عادوا إلی صاحب رایتهم، ثم زحف بهم).

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۴۰.
۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۲ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۴۰ و راجع: السنن الکبری للبیهقی ج ۹ ص ۶۱ و بغیه الباحث ص ۲۱۱ و نصب الرایه للزیعلی ج ۴ ص ۲۶۷ و السیر الکبیر للشیبانی ج ۳ ص ۱۰۱۸.
۳- مدعم: هو العبد الأسود الذی کان مولی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

الحباب، فلم يزل يدنو قليلا قليلا، و ترجع اليهود على أدبارها حتى لحمها الشر، فانكشفوا سراعا، و دخلوا الحصن و غلّقوا عليهم، و وافوا على جدره- و له جدر دون جدر- فجعلوا يرموننا بالجندل (۱) رميا كثيرا، و نحونا عن حصنهم بوقع الحجاره، حتى رجعنا إلى موضع الحباب الأول.

ثم إن اليهود تلاومت بينها، و قالت: ما نستبقى لأنفسنا؟ قد قتل أهل الجد و الجلد فى حصن ناعم.

فخرجوا مستميتين، و رجعنا إليهم، فاقتتلنا على باب الحصن أشد القتال، و قتل يومئذ على الباب ثلاثه من أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): أبو صياح، و قد شهد بدرا، ضربه رجل منهم بالسيف فأطن قحف رأسه. و عدى بن مره بن سراقه، طعنه أحدهم بالحربه بين ثدييه فمات، و الثالث الحارث بن حاطب و قد شهد بدرا، رماه رجل من فوق الحصن فدمغه.

و قد قتلنا منهم على الحصن عده، كلما قتلنا منهم رجلا حملوه حتى يدخلوه الحصن.

ثم حمل صاحب رايتنا و حملنا معه، و أدخلنا اليهود الحصن، و تبعناهم فى جوفه، فلما دخلنا عليهم الحصن فكأنهم غنم، فقتلنا من أشرف لنا، و أسرنا منهم، و هربوا فى كل وجه، يركبون الحره، يريدون حصن قلعه الزبير، و جعلنا ندعهم يهربون.

و صعد المسلمون على جدره، فكبروا عليه تكبيرا كثيرا، ففتتنا أعضاد۶.

۱- الجندل: الحجاره. لسان العرب ج ۱۳ ص ۱۳۶.

اليهود بالتكبير، لقـد رأيت فتيان أسـلم و غفار فوق الحصن يكبرون، فوجدنا و اللّه من الأطعمه ما لم نظن أنه هناك، من الشـعير الخ ..

و نادى منادى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): كلوا و اعلفوا و لا تحتملوا.

يقول: لا تخرجوا به إلى بلادكم.

فكـان المسـلمون يأخـذون من ذلك الحصن مـده مقامهم؛ طعامهم و علف دوابهم، لا يمنع أحـد أن يأخـذ حاجته، و لا يخمس الطعام.

و وجدوا فيه من البز و الآنيه، و وجدوا خوابى السّكر، فأمروا فكسروها، فكانوا يكسرونها حتى سال السكر فى الحصن، و الخوابى كبار لا يطاق حملها.

و كان أبو ثعلبه الخشـنى يقول: وجدنا فيه آنيه من نحاس و فخار، كانت اليهود تأكل فيها و تشـرب، فسألنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال: اغسلوها و اطبخوا و كلوا فيها و اشربوا.

و قال: أسخنوا فيها الماء ثم اطبخوا بعد، و كلوا و اشربوا.

و أخرجنا منه غنما كثيرا، و بقرا، و حمرا، و أخرجنا منه آله كثيره للحرب، و منجنيقا، و دبابات وعده، فنعلم أنهم قد كانوا يظنون أن الحصار يكون دهرا، فعجل اللّه خزيهم.

فحـدثنى عبـد الحميد بن جعفر عن أبيه، قال: لقد خرج من أطم من حصن الصـعب بن معاذ من البز عشـرون عكما (۱) محزومه من غليظ متاع۴.

۱- العكم: ثوب يبسط، و يجعل فيه المتاع و يشد. تاج العروس ج ۸ ص ۴۰۴.

اليمن، و ألف و خمس مـائه قطيفه، يقـال: قـدم كـل رجـل بقطيفه على أهله، و وجـدوا عشـره أحمال خشب، فأمر به فأخرج من الحصن ثم أحرق، فمكث أياما يحترق، و خوابى سكر كسرت، و زقاق خمر فأهريقت.

و قالوا أيضا: كان من سلم من يهود حصن ناعم انتقل إلى حصن الصعب من حصون النطاه، ففتحه اللّه قبل ما غابت الشمس من ذلك اليوم. من بعد ما أقاموا على محاصرته يومين (۱).

و نقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات، هى التاليه:

فرار المسلمين .. و ثبات الحباب:

۱- قد أظهر هذا النص: أن المسلمين قد فروا أمام اليهود، حتى انتهوا إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و أن هذه الهزيمه قد تكررت منهم.

و هذا أمر لا بد أن يزعج النبى (صلى اللّه عليه و آله) و يؤذيه، خصوصا إذا كان هذا الفرار يشجع اليهود، و يزيدهم إصرارا على مواصله الحرب، و يوجب تعرض المسلمين للمزيد من الأخطار، و يوقع فى صفوفهم خسائر أكبر فى الأرواح ..

۲- إن روايه الواقدى، زعمت: أن الحباب قد ثبت بالرايه.

و لا ندرى أين ثبت الحباب؟ و متى؟

فإنه حامل الرايه- إن صح أنه حاملها حقا- فلا بد أن يكون فى المقدمه.۹

۱- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۹.

فهل انهزم عنه الناس، و بقى يقاتل وحده بين اليهود؟! ..

أم أنه انهزم معهم، ثم لما وصل إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ثبت هناك؟!

فإن كان وحده، فلا بد أن نسأل ماذا جرى له مع اليهود؟ و كيف خرج سالما من بينهم؟! و هل خرج خروج منهزم؟ أم خروج منتصر؟! و كيف؟

أم أنه بقى بينهم إلى حين انقضاء القتال، أو إلى حين معاوده المسلمين هجومهم؟! و كيف استطاع أن يحفظ نفسه منهم فى هذه الحال؟

و أين كان عنه مرحب و سائر الأبطال اليهود فى هذه المده؟!

و لماذا لم يسجل التاريخ له هذه المفخره العظيمه؟! و لماذا؟! و لماذا؟!

٣- إن ظاهر النص: أن المسلمين لم يرجعوا إلى القتال إلا بعد تطميعهم بالغنيمه، لأنه (صلى اللّه عليه و آله): حضهم على الجهاد و رغبهم فيه، و أخبرهم أن اللّه قد وعده خيبر، يغنمه إياها ..

٤- ما معنى تخصيص فتيان أسلم و غفار بالمدح، و أن المتحدث قد رآهم فوق الحصن يكبرون؟! خصوصا بعد أن ذكر: أن المسلمين صعدوا على جدر الحصن يكبرون، فكبروا تكبيرا كثيرا.

لماذا الإحراج؟:

إن ما فعلته قبيله أسلم من شأنه أن يحرج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، بل قد اقتضى الأمر: أن يظهر (صلى اللّه عليه و آله) للملأ ما لم تجر عادته على إظهاره، و هو أنه ليس بيده شى ء يعطيهم إياه.

مع أن لهذا الإظهار سلبياته أيضا، فإنه ربما يؤثر على سكينه ضعفاء

الناس و ثباتهم، و يثير لديهم الكثير من الهواجس تجاه مصيرهم، و سيتمثل لهم الخطر الذى ينتظرهم أمام أعينهم.

و أما إذا بلغ ذلك إلى مسامع الأعداء، الذين يملكون الكثير من الطعام فى حصونهم، فقد يزيدهم ذلك إصرارا على التحدى، و يدفعهم إلى التفكير فى وسائل تسويف الوقت، انتظارا لتأثير الجوع فى ثبات عدوهم المحارب لهم، حتى يضطر إلى التخلى عن حصارهم، بحثا عن لقمه تحفظ له خيط الحياه، و تمكنه من البقاء و النجاه.

أوسمه أسلم:

و قد تحدثت النصوص المتقدمه: أن أسلم هى التى عانت من الجوع، و أنها شكت ذلك إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فدعا (صلى اللّه عليه و آله) لها، بعد أن أظهر الرقه و التعاطف معها، و قد تضمن دعاؤه أن يفتح اللّه عليهم أعظم حصن.

ثم ذكرت أم مطاع: أن أسلم أول من انتهى إلى حصن الصعب، و أن شمس ذلك اليوم لم تغب حتى فتح اللّه ذلك الحصن.

و نقول:

إن ما كانت تعانى منه قبيله أسلم هو ما كان يعانى منه سائر المسلمين ..

و لكن لعل أسلم تستحق كل هذه الأوسمه من هؤلاء، بل و أزيد منها، و أعظم و أفخم، لأنها هى التى ساعدت أبا بكر يوم السقيفه على نيل الخلافه، حيث جاءت إلى المدينه بقضها و قضيضها و احتلتها، و استخرجت كل معارض من بيته، و أتت به إلى المسجد ليبايع أبا بكر، تحت تهديد

السلاح، فراجع كتابنا: أفلا تذكرون، و مختصر مفيد.

الموقف الشائن:

و إن مطالبه قبيله أسلم النبیّ (صلی اللّه علیه و آله) بهذا الأمر؛ لها و جهان:

فإما أنهم يعلمون: أنه (صلی اللّه علیه و آله) يكابد ما يكابدون، و يعيش كما يعيشون، فلا يبقى لهذه المطالبه ما يبررها.

و إما أنهم كانوا يظنون برسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): أنه يحتفظ بشی ء من الطعام لنفسه، كان يتناوله فی الخفاء، و يؤثر به نفسه عليهم، و هی تهمه شائنه، يعرف الناس كلهم بطلانها، و زيفها، و سوء سريره من يأتی بها .. و لأجل ذلك اعترض عليهم رجل منهم، و هو: بريده الأسلمی.

و لامهم على فعلهم هذا.

و لعلنا نرجح الاحتمال الأخير، و هو: أن قبيله أسلم كانت تظن برسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) هذا، فإنها إحدى قبائل الأعراب التی كانت تحيط بالمدينه، و نزل القرآن ليخبر بوجود المنافقين فی تلك القبائل ..

و لا نريد أن نقول أكثر من هذا!!

اللواء للحباب بن المنذر:

هذا .. و قد ذكرت الفقره السابقه أيضا: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أعطى اللواء للحباب بن المنذر، بعد فتح حصن ناعم، و ذلك حين مهاجمه حصن الصعب ..

مع أننا نعلم: أن لواء رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) كان مع علی

(علیه السلام) فی جمیع المشاهد، باستثناء تبوک ..

و قد تقدمت النصوص الداله علی ذلک فی واقعه أحد، فراجعها ..

و ما زعموه من أن علیا (علیه السلام) لم یحضر بدایه حرب خیبر .. غیر صحیح کما أظهرته النصوص حسبما أثبتناه فی سیاق حدیثنا فی وقائع هذه الغزوه ..

الصعب أکثرها طعاما:

زعمت الروایه المتقدمه: أن حصن الصعب کان أکثر حصون خیبر طعاما، و أن الجوع قد أصاب أسلم، و سائر المسلمین، حتی فتح علیهم حصن الصعب، و لکننا فی مقابل ذلک نری:

ألف: أن عائشه تروی: أن حصن ناعم قد سد حاجتهم إلی الطعام، فلم تبق لدیهم أیه مشکله، فقد قالت: ما شبع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من خبز الشعیر و التمر، حتی فتحت دار بنی قمه- و قالوا: إن المقصود: هو حصن ناعم (۱).

و لا یعقل: أن یشبع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و یجوع من معه!!

کما لا یعقل: أن یکون المقصود: أنه شبع مره واحده ثم جاع.

ب: و أن الیهود کانوا موجودین فی حصن ناعم بالمئات و کانوا قد أعدوا من الأطعمه ما یکفیهم فی حصار المسلمین لهم مده طویله ..

و بعد فرارهم و خروج الحصن من یدهم بقی ما کانوا قد أعدوه فی۳.

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۹ و راجع: معجم ما استعجم للبکری الأندلسی ج ۲ ص ۵۲۳.

مكانه، و وقع فی أیدی المسلمین ..

بقی أن نشیر إلی قولهم: إن الیهود جعلوا أموالهم فی حصون الکتیبه (۱).

لا یصح الاستدلال به هنا. إذ یجوز أن یکون المراد بأموالهم هو: خصوص النقود و نحوها، دون ما ذکرها هنا (۲).

تسخین الماء فی آنیه الیهود:

و عن تسخین الماء فی آنیه الیهود، قبل استعمال المسلمین لها قال الحلبی:

(حکمه تسخین الماء لا تخفی، و هی: أن الماء الحار أقوی فی النظافه، و إخراج الدسومه، و اللّه أعلم) (۳).

و نضیف:

أن تـدخل النبی الکریم فی هـذا الأـمر یشـیر إلی: أن ثمه أمرا هاما، یحتاج إلی معالجته، و إلا فقـد کان من المناسب ترک هـذا الأمر إلی سلیقه الناس فی تعاملهم مع أوانی الآخرین.

و لکن الروایات عجزت عن التصریح بالأمر الذی دعاه (صلی اللّه علیه و آله) إلی هذا التدخل فی هذه التفاصیل و الجزئیات ..

فهل السبب فی ذلک: أنه (صـلی اللّه علیه و آله) کان یخشی من کید الیهود للمسلمین، بوضع سموم لا تزول بمجرد غسل الآنیه بالماء؟ ..

أم أنه یرید أن یعرّف الناس بمدی قذاره الیهود، و بعدهم عن فروض۱.

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۹.

۲- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۹ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۶۴.

۳- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۴۱.

النظافه، مهما كانت عاديه و سطحيه؟.

أو أنه يريد أن يتلافى دسومه كانت فى تلك الأوانى، هى بقايا أطعمه محرمه، يرى ضروره تنزيه المسلمين عنها؟! ..

أو أن الهدف هو تأكيد حاله الفصل بين المسلمين و اليهود فى تعاملهم مع بعضهم البعض، إذ ربما لم يكن المسلمون يتنزهون عن أى شى ء من مستويات هذا التعامل، و حالاته، و كيفياته، فى الوقت الذى كانت هناك حاجه إلى درجه من التحاشى عن هذا الاندماج المطلق بين الفريقين، و إيجاد مستوى من الإحساس بالفارق، و عدم الرضا بواقع اليهود، و بحالاتهم ..

أعظم حصون خيبر:

و زعم حديث بنى أسلم: أن حصن الصعب بن معاذ كان أعظم حصون خيبر ..

مع أن النصوص تصرح: بأن حصن القموص كان أعظمها، و أنه كان منيعا حاصره المسلمون عشرين ليله، ثم فتحه اللّه تعالى على يد على (عليه السلام) (۱).

فلعلهم أرادوا بتهويل أمر حصن الصعب التفخيم و التعظيم للحباب بن المنذر، و لبنى أسلم و غفار، و التخفيف من و هج فتح حصن القموص، و قلع باب خيبر؟!

أم أنهم وقعوا تحت تأثير اسمه (الصعب) فاستنبطوا له هذه الصعوبه۴.

۱- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۴۱ و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۴.

التی میزته عن سائر الحصون ..

أم أنهم أرادوا تبریر الهزیمه التی منی بها أولئک المتخاذلون، و التی حدثت أکثر من مره حتی فی هذا الحصن الذی لم یستحق سوی یومین من الحصار، ثم سقط أمام عزمه صادقه من عزمات أهل الإیمان.

قد یکون هذا الاحتمال الأخیر هو الأوضح و الأظهر، و قد یکون قد تناغم مع الاحتمال الأول حتی کان ما کان ..

الإفتخار فی الحرب:

و قد حکم الناس علی عماره بن عقبه الغفاری: بأنه قد بطل جهاده لمجرد قوله، حین ضرب هامه ذلک الیهودی:

خذها و أنا الغلام الغفاری ...

فصحح النبی (صلی اللّه علیه و آله) لهم هذا المفهوم الخاطئ، و حکم بأنه یؤجر و یحمد.

و نقول:

إن الافتخار فی الحرب الموجب لإرعاب العدو، و هزیمته النفسیه هو فی حد ذاته جهاد یثاب الإنسان علیه. و یوجب الثناء و الحمد لفاعله؛ لأنه یکون قد أسهم فی کسر شوکه العدو، و إضعافه، و تمهید السبیل إلی إلحاق الهزیمه التامه به ..

کما أن إظهار القوه و العزه فی قبال العدو، یمنح أهل الإیمان المزید من الثبات، و الثقه بالنصر، و یزید فی تصمیمهم، و فی قوتهم، و عزیمتهم، فیجتمع علی العدو ضعفان:

ضعف: نابع من داخل ذاته، من خلال الكبت و الشعور بالخيبه.

و ضعف آخر: ينشأ عن رؤيه قوه المسلمين، و شده اندفاعهم.

و يكون فيه للمسلمين قوتان:

إحداهما: نابعه من داخل ذاتهم.

و الأخرى: تتبلور فی ضعف عدوهم، و فی هزيمته الروحيه.

حديث الشاتين، و قطيع الغنم:

و نحن لا نشک فی کذب حديث قطيع الغنم، و الاستيلاء على شاتين منه، و ذلک لسبب بسيط، هو:

أولا: إنه لا يعقل وجود قطيع الغنم هذا خارج الحصن، ثم لا يستولی عليه المسلمون، ليصبح من غنائمهم.

ثانيا: إذا کان أخذ المسلمين لذلک القطيع حلالا، فلماذا لا يرسل النبی (صلى اللّه عليه و آله) سريه قادره على أخذ القطيع کله، أو جانب کبير منه.

بل يکتفی بالأمر بأخذ شاه أو شاتين؟! و إن کان حراما فکيف جاز له أخذ تينک الشاتين؟!

ثالثا: إذا کان المقصود للنبی (صلى اللّه عليه و آله) هو: إطعام جيشه من ذلک القطيع، فلا تکفی ذلک الجيش الشاه و الشاتان و لا العشره ..

و إن کان المقصود هو: أن يأکل النبی (صلى اللّه عليه و آله) و من حوله من أهل بيته و خاصته، فذلک بعيد عن خلقه (صلى اللّه عليه و آله) ..

و لأجل ذلک نقول:

لا يمکننا قبول ما ذکرته الروايه: من أن قسما من المسلمين لم يستفيدوا

من لحم تينك الشاتين، و هم الـذين كانوا فى الرجيع. بل اقتصـر الأمر على الذين كانوا مع رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله) فى موضعه الذى كان فيه ..

رابعا: قد صـرحت الروايه نفسـها: بأن المسـلمين كانوا يحاصرون ذلك الحصن، و أنه كان قد مضى على حصارهم له ثلاثه أيام، فـأين كـان ذلـك القطيـع فى تلـك الأيـام الثلاـثه؟! و لمـاذا لم يره المسـلمون، قبـل أن يبـادر إلى دخول الحصن؟! و أين كـان المسلمون حين اقتربت الغنم من باب الحصن المفتوح، هل كانوا يحاصرونه؟ أم أنهم تركوه و ابتعدوا عنه؟ و من أين أقبلت غنم ذلك الرجل اليهودى؟!

و كيف يجرؤ أهل هذا الحصن المحاصر بالرجال على فتح أبواب حصنهم، و إخراج غنمهم منه، أو إدخالها إليه؟! .. و كيف؟! و كيف؟! ..

الحباب بن المنذر فى الواجهه:

و يلاحظ هنا: أن الروايات قـد اختارت الحباب بن المنذر ليكون هو المتصدر لواجهه الأحداث فى حصن الصـعب بن معاذ، و له نصيب أيضا من ذلك فى غيره .. و لكن لم يظهر لعلى (عليه السـلام)، و لا لأبى دجانه، و لا للمقداد، و لا حتى للزبير، أو محمد بن مسلمه. و عشرات الفرسان الآخرين، لم يظهر لأحد منهم فى هذا الحصن، مع أن محمود بن مسلمه كان قد قتل قبل ذلك فى حصن ناعم، فلماذا لا يتحرك أخوه محمد فى كل الحصون التى حوصرت عشرات الأيام حتى فتحت؟! ..

و لماذا لم يطالب بالأخذ بثارات أخيه فيها، بل صبر إلى حصن القموص ليقتل مرحبا هناك بأخيه كما يزعمون؟!

و لماذا لم يلاحق مرحبا فى حصن الصعب، أو النزار، أو حصون الشق أو غير ذلك؟! ..

فأين كان هذا الرجل؟ و أين كان هؤلاء فى هذا الحصار الذى استمر أياما لحصن حصين فيه خمس مائه مقاتل، و لم يكن بخيبر حصن أكثر طعاما، و ماشيه، و متاعا منه الخ .. كما زعموا؟!

و لماذا غابوا جميعا عن الواجهه، و خبا و هجهم، و أفل نجمهم؟! ..

فهل للحباب شأن فى موضوع بعينه، يراد التسويق له؟! ..

ابن مسلمه يقول: تبسم إلىّ صلّى اللّه عليه و آله:

و فى حديث رمى النبى (صلى اللّه عليه و آله) بسهم صائب فى هذا الحصن، يقول محمد بن مسلمه: (و تبسم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلىّ).

و نحن لم نستطع أن نفهم سبب تبسمه (صلى اللّه عليه و آله) لخصوص محمد بن مسلمه، تاركا حوالى ألف و خمس مائه مقاتل محروما من نعمه هذه البسمه، و من الإيحاء بمعانيها و مراميها، من دون سبب ظاهر؟!

فهل أعجب- و العياذ باللّه- النبى (صلى اللّه عليه و آله) بنفسه، حين أصاب ذلك الرجل، و ظهر أنه يجيد الرمى، و أراد أن ينال إعجاب خصوص محمد بن مسلمه .. إن القول بهذا يتجاوز حدود إساءه الأدب ليكون إنكارا لعصمه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

أم أن لابن مسلمه خصوصيه لديه (صلى اللّه عليه و آله) لم تكن لأحد سواه حتى لعلى (عليه السلام)، فضلا عن غيره من أصحابه؟!

و هذا أمر ينكره و لا يعترف لابن مسلمه به أحد حتى محبوه، و المهتمون بشأنه، و الساعون لتخصيصه بالكرامات و الفضائل ..

الإهتمام بالطعام و الغنيمه:

و النصوص المتقدمه، و بعض النصوص الأخرى، قد أظهرت: أن ثمه اهتماما خاصا بالطعام و المال، و بالغنيمه، و الغنم، بما فى ذلك: السمن، و العسل، و السكر، و الزيت، و الشعير، و التمر، و الودك، و الشحم، و الماشيه، و المتاع ..

و هى أيضا تتحدث عن جوع، و شكوى، و دعاء، و ابتهال ..

فهل ذلك يعبر عن واقع المسلمين؟! أو هل هذا كان كل همهم، و غايه قصدهم؟!

مده الحصار:

و قد صرحت النصوص أيضا: بأمور متناقضه، فيما يرتبط بمده الحصار لحصن الصعب.

فهى تاره تقول: إن الحصار دام أياما، هى أكثر من ثلاثه أيام، بلا شك؛ لأن الاستيلاء على الشاتين كان بعد ثلاثه أيام من الحصار، و لا ندرى كم دام الحصار بعدها؟!

و تاره تقول- كما يظهر من حديث أم مطاع-: إنهم فتحوه فى يوم واحد ..

و لكن نصا آخر يقول: إن الحصار دام يومين فقط، فأى ذلك هو الصحيح؟

و ألا يشير هذا إلى: أن ثمه تعمدا للاختلاق و الكذب فى هذا الأمر بالذات؟!

حصن قله الزبير:

كان حصن قلعه الزبير فی رأس قلعه أو قلّه، لا تقدر عليه الخيل و لا الرجال، فلما تحولت يهود من حصن ناعم، و حصن الصعب بن معاذ إلی قلّه (أو قلعه) الزبير حاصرهم رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) فيه.

فأقام (صلی اللّه عليه و آله) محاصرهم ثلاثه أيام، فجاء يهودی يدعی غزال فقال: يا أبا القاسم، تؤمننی علی أن أدلک علی ما تستريح به من أهل النطاه، و تخرج إلی أهل الشق، فإن أهل الشق قد هلكوا رعبا منک؟

فأمنه رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) علی أهله و ماله.

فقال اليهودی: إنک لو أقمت شهرا ما بالوا، لهم دبول (۱) تحت الأرض، يخرجون بالليل فيشربون منها، ثم يرجعون إلی قلعتهم فيمتنعون منک، فإن قطعت عنهم شربهم أصحروا لک.

فسار رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) إلی دبولهم فقطعها، فلما قطع عليهم مشاربهم خرجوا و قاتلوا أشد قتال (۲).

و قتل من المسلمين يومئذ نفر، و أصيب من اليهود فی ذلک اليوم عشره، و افتتحه رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) و كان هذا آخر حصون النطاه.٠.

۱- الدبول: الجدول (القاموس المحيط ج ۳ ص ۳۷۳).

۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۲ و ۱۲۳ و فی هامشه عن: البيهقی فی الدلائل ج ۴ ص ۱۲۴ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۴۶ و ۶۶۷. و راجع: السيره الحلبيه ج ۳ ص ۴۰.

قیل: سمی هذا الحصن بحصن قلّه الزبیر، لأنه صار فی سهم الزبیر بن العوام بعد ذلک (۱).

و نقول:

أولا: إن إطلاق هذا الاسم علی هذا الحصن لا یعقل أن یکون لأجل ما ذکروه، و ذلک لما یلی:

ألف: لا شک فی أنه قد کان لهذا الحصن اسم یتداوله أهل تلک البلاد أنفسهم، و ذلک قبل أن یأتی النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلیه، فما هو هذا الاسم.

فإذا ظهر: أنهم کانوا یطلقون علیه نفس هذه التسمیه، فذلک یدل علی:

أنه کان قد سمی باسم زبیر آخر، ممن کان علی دینهم، و من الشخصیات المرموقه فیهم مثل الزبیر بن باطا، أو غیره.

ب: إن من غیر المعقول، و لا المقبول: أن یعطی (صلی اللّه علیه و آله) حصنا بأکمله إلی رجل واحد هو الزبیر بن العوام ..

و لماذا یعطی الزبیر هذا العطاء الکبیر، و هو لم یکن له ذلک الأثر العظیم فی تلک الحرب ..

ج: یضاف إلی ذلک: أن أراضی خیبر لم تقسم علی المسلمین لیکون للزبیر سهم بهذا الحجم بل أبقاها النبی (صلی اللّه علیه و آله) بید الیهود، یعملون فیها علی النصف من ثمارها .. و إنما أخرجهم منها عمر بن الخطاب کما سیأتی بیانه.٠.

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۴۰ و سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۶۰.

د: إنه إذا أراد النبی (صلی اللّه علیه و آله) أن یعطی أحدا شیئا فإنه لا یعطیه حصنا أو قلعه- کما ورد فی بعض التعابیر- بل یعطیه أرضا زراعیه، یستطیع أن یستغلها، أو بستانا یستفید من ثمار أشجاره.

ثانیا: إن هذا الیهودی قد بادر من عند نفسه- کما تقول الروایه- إلی إخبار رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بأمر خطیر، من شأنه أن یسقط الحصن بأکمله فی أیدی المسلمین، و یمکنهم من إلحاق هزیمه منکره بمن هم علی دینه، لا لشی ء، بل لمجرد إعطائه الأمان علی نفسه، و أهله و ماله!!

غیر أننا نلاحظ:

أن النصوص لا تصرح بما جری لهذا الیهودی المخبر، فهل أخذ أسیرا، فخاف من القتل، فأقر بما أقر به؟!

أم أنه جاء باختیاره متطوعا بإخبار النبی (صلی اللّه علیه و آله) بهذا الأمر الخطیر؟! الذی یوجب حلول البلاء بمن هم علی دینه؟!

ربما یقال: إن ظاهر النص هو هذا الأمر الثانی؛ لأنه قال: فجاء یهودی یدعی نزال، فقال: یا أبا القاسم الخ ..

و علی فرض صحه هذه الروایه- و نحن نشک فی صحتها- فإن هذا یشیر إلی: أن هؤلاء الناس لا یعیشون همّ الدین، و لا یلتزمون بالمبادئ و القیم، بل و لا- بالعادات و التقالید، و إنما همتهم هی فی حفظ أنفسهم و امتیازاتهم، حتی إنهم إذا قاتلوا فلیس ذلک رغبه منهم فی جنه، أو خوفا من عقوبه اللّه تعالی لهم علی تقصیرهم، و إنما من أجل الدنیا، أو استجابه لنزوات المیول و الأهواء، أو لجاجا، أو عنادا، بداعی الحقد و الضغینه، أو لأن الشیطان یزین لهم أنهم ظاهرون و منتصرون، أو سعیا لاکتساب ثناء لا

يدوم، أو مجد موهوم .. أو نحو ذلك.

بطولات موهومه:

و فی صوره تشبه الصوره التی سبقت، یذكر بعضهم: أنه (صلی اللّه علیه و آله) مكث سبعه أیام یقاتل أهل حصون النطاه، یذهب كل یوم بمحمد بن مسلمه للقتال، و یخلف علی محل العسكر عثمان بن عفان، فإذا أمسی رجع (صلی اللّه علیه و آله) إلی ذلك المحل. و من جرح من المسلمین یحمل إلی ذلك المحل لیداوی جرحه. فجرح أول یوم خمسون من المسلمین.

و نادی یهودی من أهل النطاه بعد لیل: أنا آمن و أبلغكم.

قالوا: نعم.

فدخل علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فدله علی عوره لیهود.

فدعا أصحابه و حضهم علی الجهاد، فظفره اللّه تعالی بهم الخ ..

و فی نص آخر: كان (صلی اللّه علیه و آله) یناوب بین أصحابه فی حراسه اللیل، فلما كانت اللیله السادسه من السبع استعمل (صلی اللّه علیه و آله) عمر، فطاف عمر بأصحابه حول العسكر، و فرقهم، فأتی برجل من یهود خیبر فی جوف اللیل، فأمر عمر أن یضرب عنقه.

فقال: اذهب بی إلی نبیكم حتی أكلمه، فأمسك عنه، و انتهی به إلی باب رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فوجده یصلی، فسمع (صلی اللّه علیه و آله) كلام عمر، فسلم و أدخله علیه، فدخل الیهودی، فقال (صلی اللّه علیه و آله) للیهودی: ما وراءك؟

فقال: تؤمننی یا أبا القاسم؟!

فقال: نعم.

فقال: خرجت من حصن النطاه، من عند قوم يتسللون من الحصن فی هذه اللیله.

قال: فأین یذهبون؟

قال: إلی الشق، یجعلون فیه ذراریهم، و یتهیأون للقتال.

و فی هذا الحصن الذی هو الحصن الصعب من حصون النطاه، فی بیت فیه تحت الأرض، منجنیق، و دبابات، و دروع، و سیوف، فإذا دخلت الحصن غدا، و أنت تدخله.

قال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): إن شاء اللّه.

قال الیهودی: إن شاء اللّه- أوقفتک علیه، فإنه لا یعرفه غیری.

و أخری ..

قیل: ما هی؟

قال: یستخرج المنجنیق، و ینصب علی الشق (و المراد هو: حصن البری ء)، و یدخل الرجال تحت الدبابات، فیحفروا الحصن، فتحته من یومک. و کذلک تفعل بحصون الکتیبه.

ثم قال: یا أبا القاسم، احقن دمی.

قال: أنت آمن.

قال: ولی زوجه فهبها لی.

قال: هی لک. ثم دعاه (صلی اللّه علیه و آله) إلی الإسلام.

فقال: انظرنی أیاما.

ثم قال (صلی اللّه علیه و آله) لمحمد بن مسلمه: لأعطین الرایه إلی رجل

یحبه اللّه و رسوله، و یحبانه.

و فی لفظ: قال (صلی اللّه علیه و آله): لأدفعن الرایه إلی رجل یحب اللّه و رسوله، لا یولی الدبر، یفتح اللّه عز و جل علی یده، فیمکنه اللّه من قاتل أخیک الخ .. (۱).

و نقول:

إن فی هذه الروایه أمورا عدیده، لا بد من التوقف عندها، و هی:

نصب المنجنیق:

إن هذه الروایه ذکرت: أن المنجنیق قد نصب علی حصن البری ء من حصون الشق .. أو علی حصن النزار (۲).

مع أنهم یقولون: لم ینصب المنجنیق إلا فی غزوه الطائف (۳).

و الغریب فی الأمر: أن الحلبی یقول فی وجه الجمع: إنه یجوز أن یکون قد نصب و لم یرم به هنا، و نصب ورمی به هناک (۴).

لقد قال الحلبی هذا، مع أن التعبیر الذی أورده هو نفسه یقول: لم ینصب المنجنیق إلا فی غزوه الطائف، و لم یقل: لم یرم بالمنجنیق .. و ما ذلک۱.

۱- راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۴ و ۳۵ و راجع ص ۴۱ و الإمتاع ص ۳۱۲ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۴۵ و ۶۴۷ و ۶۴۸ و نظم درر السمطین للزرندی الحنفی ص ۹۹.

۲- المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۴۸.

۳- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۴۱.

۴- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۴۱.

إلا لأن المفهوم من التعبير بنصب المنجنيق هو الرمی به.

و الأولی أن یقال: إن الإشکال غیر وارد من الأساس.

فإن الروایه لم تذکر: أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد نصب ذلک المنجنیق، و رمی به.

بل قالت: إن ذلک الیهودی قد افترض أو اقترح ذلک، فبذلک ینحل الإشکال المتعلق بالمنجنیق.

یضاف إلی ما تقدم: أن هذه الروایه تدل علی: أن أول حصن بدأ به من حصون الشق هو حصن البری ء.

مع أنه سیأتی فی فقره (حصون الشق): أن أول حصن بدأ به هو أبی.

و بالتحدید بقلعه سموان.

ذراری الیهود لم تکن فی حصن الشق:

و یفهم من الروایه السابقه: أن ذراری الیهود کانوا معهم فی حصن النطاه، و أنهم نقلوهم بعد أن أرهقهم الحصار إلی حصن الشق (۱).

و نقول:

أولا: قد صرحوا: بأن الذراری لم یکونوا فی حصن النطاه، بل کان فیه المقاتلون فقط.

ثانیا: إن هؤلاء الذراری لم یجعلوا فی حصن الشق، بل کانوا فی حصن الکتیبه کما هو معلوم، و قد جعلوهم- حسب تصریحهم- فیه قبل حصار٨.

۱- المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۴۸.

رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لهم ..

إلا أن يكون المقصود: هو بعض الـذرارى، الـذين كانوا معهم يساعـدونهم فى إعـداد الطعام و الشراب للمقاتلين، أو للقيام على جرحاهم، أو نحو ذلك ..

ابن مسلمه تاره، و الحباب أخرى:

لقد ركزت الروايه المتقدمه على محمد بن مسلمه، و جعلته محور التحركات النبويه فى حصون النطاه ..

فهى تقول: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان يذهب كل يوم بمحمد بن مسلمه للقتال، و يرجع فى المساء .. فهل كانت قياده الجيش الإسلامى قد أنيطت بابن مسلمه؟! فإن كان الأمر كذلك، فلماذا لم يحدثنا عنه التاريخ و يقول: إن محمد بن مسلمه كان صاحب لواء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى خيبر؟!

أما أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) كان يأخذه لأجل القتال فقط، لا بعنوان قياده، و لا غير ذلك؟

فالسؤال هو: إن المشاركين فى القتال كثيرون، فلماذا خص الرواه ابن مسلمه بالذكر من بين ألف و خمس مائه مقاتل؟! ..

و لماذا لم يذكروا عليا (عليه السلام)، أو أبا دجانه، أو المقداد، أو غير هؤلاء أيضا؟!

أم يعقل أن يكون هؤلاء قد أصبحوا متخاذلين؟! و غير ذوى أثر، و أن ابن مسلمه أصبح أكثر نشاطا و حركه منهم؟

هذا .. و اللافت: أن الحباب بن المنذر قد غاب هنا أيضا، و لم يكن له

نصیب یذکر، رغم أنه قد أعطی دورا کبیرا فی موقع آخر ..

و اللافت أیضا: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) لم یر محمد بن مسلمه أهلا لأن یقتل قاتل أخیه، کما صرحت به هذه الروایه، فوعده بأن یعطی الرایه غدا رجلا یحب اللّه و رسوله، و یحبانه، یمکنه اللّه من قاتل أخیه (أی أخی محمد بن مسلمه)، فلماذا لا یمکّن اللّه محمد بن مسلمه نفسه من أن یقتل قاتل أخیه؟!

و إذا کان محمد بن مسلمه هذا لم یستطع أن یقتل قاتل أخیه، حتی احتاج إلی علی (علیه السلام) لیقوم بهذه المهمه .. فکیف کان یختاره النبی (صلی اللّه علیه و آله) لیذهب معه للقتال؟! و ما هو نوع و مستوی القتال الذی کان یذهب به إلیه؟!

بل سیأتی: أن محمد بن مسلمه نفسه قد انزعج من قتل علی (علیه السلام) لأخیه مرحب الیهودی، و حقد علی أمیر المؤمنین (علیه السلام) بسبب ذلک، و اعتبر ذلک ذنبا له (علیه الصلاه و السلام).

موقع عثمان هو الأنسب:

و لعل أنسب ما فی هذه الروایه إعطاء عثمان بن عفان مهمه حراسه منازل النساء، و أثقال العسکر، و هو الموضع الذی یحمل إلیه المجروحون للتداوی .. لأنه أکثر المواضع أمنا، و أبعدها عن الخطر.

و قد کان عثمان- فیما یبدو- بحاجه إلی هذا الأمن، فقد أظهر ما جری له فی واقعه أحد: أنه لا یقدر علی مواجهه الأهوال، أو ملاقاه الرجال.

حیث إن فزعته- الشهیره- فی أحد جعلته یهرب فی الهضاب و الشعاب، و لا

یعود إلا بعد ثلاثه أیام، حتی قال له النبی (صلی اللّه علیه و آله): لقد ذهبت بها عریضه (۱).

عمر یأمر بضرب عنق شخص:

و قد صرحت الروایه المتقدمه أیضا: بأن عمر بن الخطاب حین مناوبته فی حراسه العسکر قد أتی بیهودی، فأمر بضرب عنقه ..

و سؤالنا هو:

أولا- لماذا یأمر غیره بضرب عنق ذلک الیهودی، و لا یبادر هو إلی ذلک؟! أم أنه یرید أن یجد من یشارکه فی هذا الفعل، لیکون اللوم علیه۱.

۱- راجع: تفسیر المنار ج ۴ ص ۱۹۱ و الجامع لأحکام القرآن ج ۴ ص ۲۴۴ و فتح القدیر ج ۱ ص ۳۹۲ و تفسیر القرآن العظیم ج ۱ ص ۴۱۴ و تفسیر التبیان ج ۳ ص ۲۶ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۲۰۳ و الإرشاد للشیخ المفید ص ۵۰ و البحار ج ۲۰ ص ۸۴ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۲۸ و شرح النهج للمعتزلی ج ۱۵ ص ۲۱ عن الواقدی، لکن مغازی الواقدی المطبوع لم یصرح بالأسماء بل کنّی عنها فی ج ۱ ص ۲۷۷ إلا أنه فی الهامش قال: فی نسخه (عمر و عثمان) و الکامل لابن الأثیر ج ۲ ص ۱۵۸ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۲۷ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۵۵ و الدر المنثور ج ۲ ص ۸۸ و ۸۹ عن ابن جریر و ابن المنذر، و ابن إسحاق. و راجع: سیره ابن إسحاق ص ۳۳۲ و جامع البیان ج ۴ ص ۹۶ و غرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البیان) ج ۴ ص ۱۱۳ و التفسیر الکبیر للرازی ج ۹ ص ۵۰ و ۵۱ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۲۶. و راجع عن فراره یوم أحد و تخلفه یوم بدر: محاضرات الراغب ج ۳ ص ۱۸۴ و مسند أحمد ج ۲ ص ۱۰۱ و ج ۱ ص ۶۸ و الصراط المستقیم للبیاضی ج ۱ ص ۹۱.

أخف؟! أو أنه لا يجرؤ على قتل أحد بنفسه؟!

ثانيا: كيف يجوز أن يأمر بضرب عنق ذلك اليهودى من دون استجازه من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؟! بل حتى من دون أن يعلمه بأمره؟!

و هل للحارس أن يتولى ضرب أعناق الناس الذين يجدهم فى نوبه حراسته؟! من دون مراجعه؟!

و كيف لا يرجع أمره إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله)؟! فلعل له فيه رأيا آخر و سياسه أخرى.

و هذا العمل هل يتوافق مع قوله تعالى: لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ؟! (۱).

ثالثا: كيف يأمر بضرب عنق الرجل قبل استجوابه، و معرفه نواياه، و الذى جاء به، و ما يحمل من معلومات تفيد المسلمين فى حربهم؟! فلعل الأمور كانت تسير فى غير الاتجاه الذى ظنه ..

رابعا: إن روايه الواقدى تقول: إن الذى أخذ ذلك العين هو عباد بن بشر، و ليس عمر بن الخطاب، فجاء به إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فأخبره الخبر.

فتدخل عمر و قال: اضرب عنقه.

قال عباد: جعلت له الأمان الخ .. (۲).۱.

۱- الآيه ۱ من سوره الحجرات.

۲- المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۴۱.

و فی جمیع الأحوال نقول:

لاـ نـدری لمـاذا یتـدخل عمر، و یصـدر الأـوامر بهـذه الطریقه، فلو أنهم أطاعوه فی أوامر کهـذه، فهل سیرضـی ذلک رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)؟

یضاف إلی ذلک: أننا قد ذکرنا فی أواخر غزوه أحد: أن عمر کان یطلب ضـرب عنق هذا و ذاک فی موارد و مناسـبات مختلفه، و کان رسول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله) یرفض ذلک. کما أنه قد طلب من عدد من الصحابه أن یبادروا إلی قتل بعض الناس، و کانوا یرفضون قبول ذلک منه، کما کان الحال بالنسبه لأبی جندل، الذی کان یحثه عمر، علی قتل أبیه فی الحدیبیه.

فرفض أبو جندل ذلک.

فلماذا یصر عمر علی مثل هذا الأمر فی المواضع المختلفه؟!

و لماذا لا یبادر هو إلی قتل هذا و ذاک ممن یصدر الأوامر لغیره بقتلهم؟! و لماذا؟! و لماذا؟!

لا یعرف المنجنیق إلا هذا الیهودی:

و قد زعمت الروایه المتقدمه: أنه کان فی حصن الصـعب موضع فیه منجنیق، و دبابات، و دروع، و سـیوف. و أنه لا یعرف ذلک الموضع إلا ذلک الیهودی الأسیر.

و نقول:

إن کان ذلک الیهودی هو الـذی وضع تلک الأسـلحه فی ذلک الموضع، دون علم أحـد، لأن الیهود کلفوه بـذلک أو لأن تلک الأسلحه کانت ملکا خاصا به، فمن الطبیعی أن لا یعرفها أحد سواه ..

و أما إذا كانت هذه الأسلحه قد هيأها أهل الحصن للدفاع بها عن حصنهم، فاللازم هو: أن يعرف زعماء اليهود، و القيمون على أمر الحرب بالموضع الذى وضعت فيه، ليستفيدوا منها حين تعرض الحاجه، إذ لا يعقل أن يكونوا قد نسوا هذه الأسلحه، أو نسوا موضعها ..

و فى جميع الأحوال نقول:

لم يكن هذا اليهودى هو الزعيم الأوحد لليهود كلهم، و لا ملّكوه أسرار حصونهم، و لم يجعلوا أسلحتهم تحت سلطته، ليتولى هو تغييبها عنهم و عن غيرهم.

لماذا خص النبى صلّى اللّه عليه و آله ابن مسلمه بخطابه؟!

و قد ذكرت الروايه المتقدمه أيضا: أنه (صلى اللّه عليه و آله)، قال لمحمد بن مسلمه: لأعطين الرايه إلى رجل يحب اللّه و رسوله، و يحبانه.

غير أننا نقول:

أولا: لا بد أن نسأل من جديد: لماذا يتم توجيه الخطاب لمحمد بن مسلمه دون سواه؟! فهل هو بهدف التعريض به لأنه كان قد فرّ فى تلك الأيام السبعه، التى كان النبى (صلى اللّه عليه و آله) يخرجه فيها إلى القتال ..

حتى صح أن يطلق عليه اسم فرّار؟!

و لماذا وعده بأن يمكنه اللّه تعالى من قاتل أخيه، مع أن ابن مسلمه نفسه لم يتمكن من ذلك طيله تلك المده، و ما بعدها و إلى آخر أيام حرب خيبر ..

حيث إن عليا (عليه السلام) هو الذى تمكن من ذلك القاتل، و ليس ابن مسلمه ..

و لماذا يهتم النبى (صلى اللّه عليه و آله) بقتل قاتل أخى ابن مسلمه، و لا يذكر من عداه من الشهداء؟! و لا يعلن أنه يريد من على (عليه السلام) قتل الذين قتلوهم؟! .. فهل لأن قاتله هو مرحب لعنه اللّه، و هو رأس الحربه لليهود، و أعظم فرسانهم، فإذا قتل مرحب، تقع الهزيمه بهم، و يحل الفشل و الرعب فيهم؟! .. و يكون لذلك النصر العظيم نوع ارتباط ببنى مسلمه و يكون ذلك بمثابه مكافأه لهم على خدماتهم للخليفه الثانى، من خلال محمد بن مسلمه بالذات حسبما أشرنا إليه فى جزء سابق.

ثانيا: إن هذا القول: (لأعطين الرايه غدا رجلا الخ ..) إنما كان بعد فتح حصون النطاه و الشق كلها، و بعد وصوله (صلى اللّه عليه و آله) إلى حصن القموص- و هو أعظم حصون خيبر- و هو من حصون الكتيبه و هو آخر حصن فتح فى خيبر كلها، أو قبل آخرها ..

إسهامات عمر فى فتح خيبر:

و هل يمكن أن نفهم من هذه الروايه، التى جعلت أسر اليهودى فى نوبه حراسه عمر: أنهم أرادوا أن يجعلوا لعمر بن الخطاب سهما كبيرا فى فتح خيبر؟! بهدف تقليص الفارق بينه و بين على أمير المؤمنين (عليه السلام) الذى قتل مرحبا، و فتح اللّه تعالى خيبر على يديه، و اقتلع باب الحصن، و اتخذه ترسا. رغم عجز عشرات الأشخاص من حمله، أو عن إعادته إلى موضعه؟!

فإذا أخذ رجل فى نوبه حراسه عمر، و أدلى ذلك الرجل بمعلومات تؤدى إلى فتح أحد حصون خيبر، فلربما يفيد ذلك فى إعاده رذاذ من ماء

الوجه الذی أریق فی فرار عمر المتعاقب و کذلک فرار أبی بکر، و غیر هما.

حتی صح أن تستعمل فی حقهما صیغه المبالغه و هی کلمه: (فرّار) (أی کثیر الفرار) فی مقابل (الکرّار) (أی کثیر الکر). و هو علی (علیه السلام) دون سواه ..

قتل مرحب فی القموص لا فی الصعب:

و قد فهم من الروایه المتقدمه: أن قول النبی (صلی اللّه علیه و آله):

(لأعطین الرایه غدا رجلا یحب اللّه و رسوله الخ ..) کان فی حصون النطاه، و بالذات فی الحصن الصعب، مما یعنی: أن فرار عمر و أبی بکر، و غیرهما، و انهزامهم، و هم یجبّنون أصحابهم و یجبّنهم أصحابهم، قد کان فی هذا الحصن بالذات.

مع أن کلمه المؤرخین متفقه و النصوص متضافره، و الروایات متواتره فی أن محمود بن مسلمه قد قتل فی حصن ناعم، و أن فرار عمر و أبی بکر و مبارزه مرحب و قتله علی ید علی (علیه السلام)، ثم قلع باب الحصن، إنما کان فی حصن القموص. و ذلک بعد فتح حصون النطاه، و حصون الشق کلها، بل إن القموص آخر حصون خیبر فتحا، أو قبل آخرها.

إلا أن یقال: إن مراد الروایه هو وصف الحصن بأنه صعب و لذلک أدخل الألف و اللام علی کلمه الحصن، و لیس المراد الحصن المسمی بحصن الصعب بن معاذ.

و هذا یبقی مجرد احتمال، و لکنه احتمال لیس بالقوی.

حصون الشق:

قد ذكر الصالحى الشامى تبعا لغيره:

أنه لما فرغ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من النطاه تحول إلى الشق.

و قد روى البيهقى، عن محمد بن عمر، عن شيوخه، قالوا: لما تحول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى الشق، و به حصون ذوات عدد، كان أول حصن بدأ به حصن أبى، فقام رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على قلعه يقال لها: سموان، فقاتل عليها أهل الحصن، قتالا شديدا.

و خرج رجل من يهود يقال له: غزول، فدعا إلى البراز، فبرز له الحباب بن المنذر، فاقتتلا فاختلفا ضربات، ثم حمل عليه الحباب، فقطع يده اليمنى من نصف الذراع، فوقع السيف من يد غزول، فبادر راجعا منهزما إلى الحصن، فتبعه الحباب، فقطع عرقوبه، فوقع فذفف عليه.

فخرج آخر، فصاح: من يبارز؟

فبرز له رجل من المسلمين من آل جحش، فقتل الجحشى.

و قام مكانه يدعو إلى البراز، فبرز له أبو دجانه، و قد عصب رأسه بعصابته الحمراء، فوق المغفر، يختال فى مشيته، فبدره أبو دجانه فضربه، فقطع رجله، ثم ذفف عليه، و أخذ سلبه، درعه و سيفه، فجاء به إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فنفله رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ذلك.

و أحجم اليهود عن البراز، فكبر المسلمون، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه، يقدمهم أبو دجانه، فوجدوا فيه: أثاثا، و متاعا، و غنما، و طعاما.

و هرب من كان فيه من المقاتله، و تقحموا الجدر، كأنهم الظباء، حتى صاروا إلى حصن النزار بالشق.

و جعل یأتی من بقی من فلّ النطاه إلی حصن النزال- و فی الحلبیه: یقال له: حصن البری ء، و هو الحصن الثانی من حصنی الشق- فغلقوه، و امتنعوا فیه أشد الامتناع.

و زحف رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إلیهم فی أصحابه، فقاتلهم، فکانوا أشد أهل الشق رمیا للمسلمین بالنبل و الحجاره، و رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) معهم، حتی أصابت النبل ثیاب رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و علقت به.

فأخذ رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) النبل فجمعها، ثم أخذ لهم کفا من حصی، فحصب به حصنهم، فرجف الحصن بهم، ثم ساخ فی الأرض، حتی جاء المسلمون، فأخذوا أهله أخذا (۱).

و نقول:

إننا نشیر إلی ما یلی: الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج ۱۷ ۲۰۶ حصون الشق: ..... ص : ۲۰۵

فی اندفاعهم إلی الحرب، و لا فی اتخاذ القرار بشأنها.

و لعلنا نستطیع أن نؤکد: أن حب الدنیا، و حب الشهره فیها، جعلهم عاجزین عن تقییم الأمور بصوره منصفه و موضوعیه، و سد علیهم باب التعقل، و التدبر، و الإنصاف، حتی لأنفسهم، فکیف ینصفون غیرهم.۰.

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۳ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۴ ص ۲۲۴ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۶۷ و ۶۶۸ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۴۰.

إن من يريد أن ينال بقتل الناس مجدا و شهره، و أن يتلذذ بهذا المجد و بتلك الشهره لا يملك أدنى حد من الشعور و الوجدان الإنسانى ..

و غنى عن البيان: أن صدود هؤلاء عن قبول الحق بعد وضوحه لهم يثبت بصوره قاطعه: أن أحدا لا يطلب الجنه بقتاله، و لا يسعى لتنفيذ أمر إلهى يخشى العقوبه على مخالفته ..

۲- و تعود الروايات المتقدمه للحديث عن الحباب بن المنذر من جديد، لتجعل له حصه فى فتح هذا الحصن أيضا، و قد قدمنا عن قريب بعض ما يفيد فى تلمّس الإشارات التى تعطى الانطباع عن حقيقه دوافع هؤلاء لنسبه مواقف و إنجازات لأناس لا يستحقونها فى أنفسهم، و إنما تأتى على شكل مكافآت لهم على مواقف اتخذوها، أو نهج اتبعوه، أو أيدوه ..

۳- و عن تبختر أبى دجانه نقول: قد مر الحديث عن تبختر على (عليه السلام) فى غزوه الخندق، حينما قتل عمرو بن عبد ود، و أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد أعلن لكل الناس حينئذ: أنها مشيه يبغضها اللّه تعالى إلا فى هذا الموضع، الذى يطلب فيه إرهاب العدو، و إضعاف شوكته، و الحد من ميله للحرب، فإن ذلك يفيد فى حفظ أرواح المسلمين، و دفع و يلات الحرب عنهم، فلعل اللّه سبحانه يقبل بقلوب هؤلاء الجاحدين، أو بقلوب من يلوذ بهم إلى الإسلام و الإيمان، فيما لو أدركوا رعايته تعالى لمسيره الإيمان، حيث يجد اليأس سبيله إلى قلوبهم من أن يستطيع باطلهم أن يتماسك أمام سطوه الحق و أهله ..

۴- و الغريب هنا: أن الروايه المتقدمه: تذكر أنهم حين اقتحموا الحصن كان أبو دجانه يقدمهم، و لا ندرى أيضا أين كان أسد اللّه و أسد رسوله

الغالب، الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام)، الذى هو صاحب لواء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى كل مشهد؟!

إذ يبدو لنا: أن هؤلاء قد انتهزوا فرصه الإشاعه الباطله عن أنه (عليه السلام) كان مبتلى بالرمد، و أن التحاقه بالنبى (صلى اللّه عليه و آله) فى خيبر قد تأخر إلى أيام حصن القموص، و نسوا: أن ذلک قد ثبت بطلانه، و زيفه.

حيث سيأتى إثبات رمد عينيه (عليه السلام) إنما اتفق له فى آخر أيام حصار حصن القموص، حيث قتل مرحب ..

و سيأتى: أنه لو صح ذلک لم يكن (عليه السلام) هو صاحب لوائه (صلى اللّه عليه و آله) فى خيبر و فى كل مشهد ..

و يضاف إلى ذلک: أنه إذا كان حصاره (صلى اللّه عليه و آله) لحصن القموص الذى قتل على (عليه السلام) فيه مرحبا قد دام عشرين ليله، فإن رمد عينى على (عليه السلام) لم يستمر كل هذه المده الطويله ..

و سيأتى توضيح ذلک إن شاء اللّه ..

و علينا ألّا ننسى أن رمد على (عليه السلام)، قد كان من ألطاف اللّه تعالى، فإنه تعالى قد صنع له ذلک، لكى يفرّ أولئک الناس مره بعد أخرى، و يظهر للناس من هو الفرّار، و من هو الكرّار ..

۵- و أما بالنسبه لارتجاف الحصن، و أنه ساخ فى الأرض لما حصبه النبى (صلى اللّه عليه و آله)، بكف من حصى. فهى إذا ثبتت تكون معجزه عظيمه للنبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله).

و قد كان المفروض باليهود بعد حصول هذا الأمر العظيم: أن يستسلموا لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و أن يؤمنوا به.

إذ لا يعقل: أن يستمروا على العناد و الجحود، و هم يرون هذا العذاب الأليم يحيق بإخوانهم الذين كانوا فی ذلک الحصن.

۶- إنه إذا صحت هذه الحادثه فلا بد أن يزيد يقين أصحاب رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) و تتأكد صلابتهم فی مواجهه أعداء اللّه تعالی، فلا يفرون فی تلک الحرب مره بعد أخری، حتی وصفهم (صلی اللّه عليه و آله) بأنهم فرّارون ..

۷- لا ندری الحكمه فی جمع النبی (صلی اللّه عليه و آله) للنبال التی رماهم اليهود بها .. و نحن نرتاب أيضا فی صحه الروايه التی ذكرت ذلک.

ماذا عن فتح حصن النزار؟!

و قد رووا: أن رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) نظر إلی حصن النزار، فقال: هذا آخر حصون خيبر كان فيه قتال ..

فلما فتحنا هذا الحصن لم يكن بعده قتال، حتی خرج رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) من خيبر.

و نقول:

لا شک: فی أن عليا (عليه السلام) قد قتل مرحبا و ياسرا فی حصن القموص، و هو من حصون الكتيبه، و إنما انتقل إليه رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) بعد فراغه من حصون النطاه و الشق.

فما معنی قولهم: إنه لم يحصل قتال بعد حصن النزار؟! لا سيما و أن أبا بكر و عمر، و سواهما قد أخذوا الرايه فی حصن القموص، و رجعوا و لم يكن فتح- كما تصرح به الروايات-.

و يمكن أن يجاب: بأن المقصود: أن أبا بكر و عمر و سواهما، و إن أخذوا الرايه و الجيش، و توجهوا نحو الحصن، و لكنهم بمجرد أن رأوا مرحبا و اليهود فروا خوفا و رعبا، و صاروا يجبّنون أصحابهم، و يجبّنهم أصحابهم ..

كما أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد أرسل المسلمين مع على (عليه السلام)، فهربوا عنه، و تركوه وحده، فقتل مرحبا، و سائر الفرسان، و لم يكن قتال إلا ذلك ..

و هذا يوجب الشك: فى أن يكون الزبير أو محمد بن مسلمه قد قتل أحدا من الفرسان أيضا ..

و لأجل ذلك: صرحت الروايات و النصوص: بأن فتح حصون الكتيبه قد كان بيد على (عليه السلام) وحده. و لا صحه لما زعموه: من حرب و قتال لأحد سواه (عليه السلام).

و لعل هذا يفسر لنا أيضا ما سيأتى: من أن الكتيبه و الوطيح و سلالم كانت لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) .. بالإضافه إلى فدك ..

صفيه فى حصن النزار:

و قد ذكروا هنا أيضا: أن صفيه بنت حيى، و ابنه عمها قد أخذتا من حصن النزار، و ذلك لأن اليهود أخرجوا النساء و الذريه إلى الكتيبه، و فرغوا حصن النطاه للمقاتله.

و لكن كنانه بن الحقيق قد رأى أن حصن النزار أحصن ما هنالك،

فأبقاها فيه، هى و نسيبات معها؛ فأسرت تلك النسوه فى حصن النزار (۱).

و نقول:

إن هناك نصوصا كثيره تقول: إن عليا (عليه السلام) هو الذى فتح الحصن، و جاء بصفيه إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (۲).

فإن كانت صفيه قد سبيت فى حصن النزار، فذلك يعنى: أن عليا (عليه السلام): هو الذى فتح هذا الحصن أيضا، كما فتح حصن القموص، و ذلك يدل على وجود تصرف خطير فى الحقائق التاريخيه، و محاوله تحريف خطيره لها ..

يضاف إلى ذلك: أن هذا النص يفيد: أن رمد عينى على (عليه السلام) الذى هيأ الفرصه لأخذ أبى بكر و عمر و غيرهما الرايه فى حصن القموص، و فرارهما- إن رمد عينيه (عليه السلام) هذا- قد كان بعد فتح حصن النزار، و فى أيام حصار حصن القموص، الذى استمر عشرين ليله، كما سيأتى ..۳.

۱- المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۶۸ و ۶۶۹.
۲- قد ذكرنا مصادر ذلك فى موضع آخر من هذا الكتاب، و راجع: البحار ج ۲۱ ص ۲۲ و عن الخصائص للنسائى ص ۶۳ و فى هامشه عن أعلام النساء ج ۲ ص ۳۳۳ و أسد الغابه ج ۵ ص ۴۹۰ و الدر المنثور ج ۱ ص ۲۶۳.

الباب السادس فتح خيبر

اشاره

الفصل الأول: المنهزمون الفاشلون الفصل الثانى: وقفات لابد منها الفصل الثالث: قتل مرحب .. أحداث و تفاصيل الفصل الرابع: قلع باب خيبر .. أحداث و تفاصيل

الفصل الأول: المنهزمون الفاشلون

اشاره

بدایه:

إننا نستميح القارئ عذرا إذا رأى- فى هذا الفصل بالخصوص- أن ثمه تبدلا فى طريقه العرض و المناقشه، حيث آثرنا: أن نقدم فى البدايه عرضا لطائفه كبيره من النصوص .. ثم ألحقناها ببعض ما اقتضته الحال من مناقشات لبعضها، و توضيحات لبعضها الآخر، بالإضافه إلى ملاحظات، أو استفادات رأينا أن من المفيد الإلماح إليها، و الوقوف عندها، فى نطاق عرض الأحداث التى سجلوها على أنها سيره و تاريخ ..

و سوف نقتصر على أقل القليل من ذلك، حرصا منا على عدم إرهاق القارئ بالجزئيات و التفاصيل، فنقول، و نتوكل على خير مأمول، و أكرم مسؤول:

القموص أعظم حصون خيبر:

قالوا: لقد كان بخيبر أربعه عشر ألف يهودى فى حصونهم، فجعل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يفتحها حصنا حصنا، و كان من أشد حصونهم، و أكثرها رجالا القموص (۱).۷

۱- البحار ج ۲۱ ص ۲۱ عن إعلام الورى ج ۱ ص ۲۰۷.

و قالوا أيضا: لما فتح رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حصون النطاه، و الشق، انهزم من سلم منهم إلى حصون الكتيبه.

و هى: القموص، و الوطيح، و السلالم.

و أعظم حصونها: القموص، و كان حصنا منيعا (۱). بل هو حصن خيبر الأعظم (۲).

قال ابن وهب: قلت لمالك: و ما الكتيبه؟!

قال: من أرض خيبر، و هى أربعون ألف عذق (۳).

حصار القموص:

و قد فتح اللّه هذا الحصن العظيم على يد على (عليه السلام)، بعد أن حاصره المسلمون عشرين ليله (۴).

و ذكر موسى بن عقبه: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حاصره۴.

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۴ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۷۰ و راجع: البدايه و النهايه ج ۴ ص ۲۲۶ و السيره النبويه لابن كثير ج ۳ ص ۳۷۶.
۲- تاريخ الخميس ج ۲ ص ۴۸ و معجم ما استعجم للبكرى الأندلسى ج ۲ ص ۵۲۲.
۳- إمتاع الأسماع ص ۳۱۹ و ۳۲۰ و راجع: سنن أبى داود ج ۲ ص ۳۷ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۶ ص ۳۱۸ و عون المعبود ج ۸ ص ۱۷۵ و نصب الرايه للزيعلى ج ۴ ص ۲۵۳ و عن البدايه و النهايه ج ۴ ص ۲۲۹ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۴۲ و السيره النبويه لابن كثير ج ۳ ص ۳۸۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۵۲.
۴- راجع: السيره الحلبيه ج ۳ ص ۴۱ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۴۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۴.

قریبا من عشرین لیله. و کانت أرضا و خمه.

و قال الواقدی: (و بالکتیبه من الیهود، و من نسائهم، و ذراریهم أکثر من ألفین.

فلما صالح رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أهل الکتیبه أمن الرجال و الذریه، و دفعوا إلیه الأموال: البیضاء و الصفراء، و الحلقه، و الثیاب إلا ثوبا علی إنسان) (۱).

ثم ذکر: أن فلول النطاه و الشق جاءتهم إلی الکتیبه، و الوطیح و سلالم، فتحصنوا معهم فی القموص أشد التحصین مغلقین علیهم لا یبرزون، حتی هم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أن یرمیهم بالمنجنیق (۲).

رعب الیهود:

و یذکر الواقدی أیضا: أن کنانه ابن أبی الحقیق کان رامیا، یرمی بثلاثه أسهم فی ثلاث مائه ذراع، فیدخلها فی هدف شبرا فی شبر. فما هو إلا أن قیل له: هذا رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد أقبل من الشق فی أصحابه، و قد تهیأ أهل القموص، و قاموا علی باب الحصن بالنبل .. فنهض کنانه إلی قوسه، فلم یستطع أن یوترها لشده الرعده التی انتابته ..

ثم ذکروا: أنه أرسل إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لیلتقیه ..

و یکلمه فی الصلح .. فوقع الصلح بینهما کما سیأتی (۳).۰.

۱- المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۶۹ و إمتاع الأسماع ص ۳۱۹.

۲- المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۷۰.

۳- المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۷۰.

و نقول:

لعل هذا النص يريد أن يقول:

إن الصلح كان على بقيه حصون الكتيبه، أما حصن القموص فقد فتحه على (عليه السلام) وحده، كما هو صريح كلمات المؤرخين و رواياتهم.

رايات الفاشلين:

و روى الشيخان، عن سهل بن سعد.

و البخارى، و ابن أبى أسامه، و أبو نعيم، عن سلمه بن الأكوع.

و أبو نعيم، و البيهقى، عن عبد اللّه بن بريده، عن أبيه.

و أبو نعيم، عن ابن عمر، و سعد بن أبى وقاص، و أبى سعيد الخدرى، و عمران بن حصين، و جابر بن عبد اللّه، و أبى ليلى.

و مسلم، و البيهقى، عن أبى هريره.

و أحمد، و أبو يعلى، و البيهقى، عن على (عليه السلام).

قال بريده: كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) تأخذه الشقيقه، فيمكث اليوم و اليومين لا يخرج، فلما نزل خيبر أخذته الشقيقه، فلم يخرج إلى الناس، فأرسل أبا بكر، فأخذ رايه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)- و كانت بيضاء (۱)- ثم نهض فقاتل قتالا شديدا، ثم رجع، و لم يكن فتح. و قد۵۸

۱- الرياض النضره (ط محمد أمين بمصر) ج ۱ ص ۱۸۴- ۱۸۸ و الإرشاد للمفيد (ط مؤسسه آل البيت) ج ۱ ص ۱۲۱ و راجع: شرح الأخبار للقاضى النعمان ج ۱ ص ۱۴۷ و العمده لابن البطريق ص ۱۵۰ عن تفسير الثعالبى، و الطرائف لابن طاووس ص ۵۸ و إحقاق الحق ج ۵ ص ۳۷۳ و مسند أحمد ج ۵ ص ۳۵۸

جهد (و قتل محمود بن مسلمه) (۱).

ثم أرسل عمر، فأخذ رايه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقاتل قتالا شديدا هو أشد من القتال الأول، ثم رجع، و لم يكن فتح.

و فى حديث عن على (عليه السلام) عند البيهقى: أن الغلبه كانت لليهود فى هذين اليومين (۲). انتهى.

و فى نص آخر: أنه (صلى اللّه عليه و آله) أرسل عمر فى اليوم الأول، ثم أرسل أبا بكر فى اليوم الثانى، ثم أرسل عمر فى اليوم الثالث، و لم يكن۸.

۱- راجع: البدايه و النهايه ج ۴ ص ۱۸۵ فما بعدها عن البيهقى، و راجع ما تقدم من مصادر فى الإحاله السابقه. غير أننا ذكرنا فيما تقدم: أن محمود بن مسلمه قد قتل فى حصن ناعم.

۲- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۴ و البدايه و النهايه ج ۴ ص ۱۸۴ فما بعدها و دلائل النبوه ج ۴ ص ۲۰۹ و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۴۱ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۰ و حليه الأولياء ج ۱ ص ۶۲ و معالم التنزيل (ط مصر) ج ۴ ص ۱۵۶ و تذكره الخواص ص ۲۵ و منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ۴ ص ۱۲۸ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۴۸.

فتح (۱).

و فی نص آخر عن بریده: حاصرنا خیبر، فأخذ اللواء أبو بکر، فانصرف و لم یفتح له، ثم أخذه عمر من الغد، فخرج و رجع، و لم یفتح له.

و أصاب الناس یومئذ شده جهد، فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): إنی دافع اللواء الخ .. (۲).

و عند الطبری: فانکشف عمر و أصحابه، فرجعوا إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، یجبّنه أصحابه و یجبّنهم، فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): لأعطین الرایه- اللواء- غدا رجلا یحب اللّه و رسوله، و یحبه اللّه و رسوله.

فلما کان من الغد تطاول لها أبو بکر، و عمر، فدعا علیا (علیه السلام) الخ .. (۳).ره

۱- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۴۸ و راجع: مناقب أهل البیت للشیروانی ص ۱۴۱.
۲- مسند أحمد ج ۵ ص ۳۵۳ و راجع: الخصائص للنسائی (ط التقدم بمصر) ص ۵ و السیره النبویه لابن هشام (المطبعه الخیریه بمصر) ج ۳ ص ۱۷۵ و أسد الغابه ج ۴ ص ۳۳۴ و شرح أصول الکافی ج ۱۲ ص ۴۹۴ و العمده لابن البطریق ص ۱۴۰ و الطرائف لابن طاووس ص ۵۵ و البحار ج ۳۲ ص ۱۳۳ و ج ۳۹ ص ۷ و مجمع الزوائد ج ۷ ص ۱۵۰ و السنن الکبری للنسائی ج ۵ ص ۱۰۹ و تاریخ مدینه دمشق ج ۴۲ ص ۹۲ و ۹۳ و البدایه و النهایه ج ۷ ص ۳۷۳ و نهج الإیمان لابن جبر ص ۳۱۸ و ینابیع الموده للقندوزی الحنفی ج ۱ ص ۱۵۵.
۳- تاریخ الأمم و الملوک ج ۳ ص ۳۰ و منتخب کنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ۴ ص ۱۲۷ و ۱۲۸ و لم یذکروا غیر عمر فی هذا النص، و کذا فی الریاض النضره

و عن أبی لیلی، و عن ابن عباس: بعث أبا بکر فسار بالناس، فانهزم حتی رجع إلیه، و بعث عمر فانهزم بالناس حتی انتهی إلیه، فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): لأعطین الخ .. (۱).

زاد بعضهم قوله: ثم بعث رجلا من الأنصار فقاتل و رجع، و لم یکن فتح (۲).

فأخبر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بذلک فقال: (لأعطین الرایه غدا رجلا یفتح اللّه علیه، لیس بفرار، یحب اللّه و رسوله، یأخذها عنوه).

و فی لفظ: (یفتح اللّه علی یدیه).

قال بریده: فبتنا طیبه أنفسنا أن یفتح غدا، و بات الناس یدوکون لیلتهم أیهم یعطاها.۴.

۱- منتخب کنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ۵ ص ۴۴ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۲۳ و راجع: مناقب ابن شهر آشوب ج ۲ ص ۳۱۸ و البحار ج ۳ ص ۵۲۵ و المستدرک للحاکم ج ۳ ص ۳۷ و عن المصنف لابن أبی شیبه ج ۱ ص ۴۹۷ و ج ۸ ص ۵۲۲ و کنز العمال ج ۱۳ ص ۱۲۱.

۲- راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۷ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۵۴.

فلما أصبح الناس غدوا علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) کلهم یرجو أن یعطاها.

قال أبو هریره: قال عمر: فما أحببت الإماره قط حتی کان یومئذ (۱).

قال بریده: فما منا رجل له من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) منزله إلا و هو یرجو أن یکون ذلک الرجل، حتی تطاولت أنا لها، و رفعت رأسی لمنزله کانت لی منه، و لیس منه (۲).

و فی حدیث سلمه، و جابر: و کان علی تخلف عن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لرمد شدید کان به لا یبصر، فلما سار رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قال: لا، أنا أتخلف عن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)!!

فخرج فلحق برسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فی الطریق، أو بعد وصوله إلی خیبر (۳).

ثم ذکر البخاری و غیره، قوله (صلی اللّه علیه و آله): لأعطین الرایه غدا ..

إلی أن قال: فنحن نرجوها، فقیل: هذا علی، فأعطاه، ففتح علیه (۴).۱.

۱- ستأتی مصادر کثیره لهذا الحدیث إن شاء اللّه تعالی.
۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۴ و منتخب کنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ۴ ص ۱۲۸ و راجع: کنز العمال ج ۱۰ ص ۴۶۳ و البدایه و النهایه لابن کثیر ج ۴ ص ۲۱۲ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۳۵۴ و مصادر أخری کثیره.
۳- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۴۸ و سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۴ و راجع: صحیح البخاری (ط محمد علی صبیح بمصر) ج ۵ ص ۱۷۱ و راجع ص ۲۳.
۴- صحیح البخاری (ط محمد علی صبیح بمصر) ج ۵ ص ۱۷۱.

و فی نص آخر: فإذا نحن بعلی، و ما نرجوه، فقالوا: هذا علی الخ .. (۱).

قال بریده: و جاء علی (علیه السلام) حتی أناخ قریبا، و هو رمد، قد عصب عینیه بشق برد قطری.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): ما لک؟

قال (علیه السلام): رمدت بعدک.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): ادن منی.

فدنا منه، ثم ذکر أنه أعطاه الرایه، فنهض بها معه، و علیه حله أرجوان حمراء، قد أخرج خملها، فأتی خیبر الخ .. (۲).

و فی نص آخر: قال بریده: فلما أصبح رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) صلی الغداه، ثم دعا باللواء، و قام قائما.

قال ابن شهاب: فوعظ الناس، ثم قال: (أین علی)؟

قالوا: یشتکی عینیه.

قال: (فأرسلوا إلیه).

قال سلمه: فجئت به أقوده، قالوا کلهم: فأتی به رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فقال له رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (ما لک)؟.

۱- صحیح البخاری (ط محمد علی صبیح بمصر) ج ۵ ص ۲۳ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۱۸۴ و الخصائص الکبری ج ۱ ص ۲۵۱ و ۲۵۲.

۲- البدایه و النهایه ج ۴ ص ۱۸۵ فما بعدها، و راجع: تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۳۰۱ و خصائص الوحی المبین لابن البطریق ص ۱۵۶ و المناقب للخوارزمی ص ۱۶۸ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۳۵۵ و الکامل فی التاریخ (ط دار صادر) ج ۲ ص ۲۲۰.

قال: رمدت حتی لا أبصر ما قدامی.

قال: (ادن منی).

و فی حدیث علی عند الحاکم: فوضع رأسی عند حجره، ثم بزق فی ألیه یده، فدلک بها عینی.

قالوا: فبرئ، کأن لم یکن به وجع قط، فما وجعهما علی حتی مضی لسبیله، و دعا له، و أعطاه الرایه (۱).یخ

۱- راجع هـذه الکرامه الجلیله فی المصادر التالیه: منتخب کنز العمال (مطبوع مع مسـند أحمد) ج ۴ ص ۱۲۷ و ۱۲۸ و الصواعق المحرقه (ط المیمنیه) ص ۷۴ و حیاه الحیوان (مطبعه الشـرفیه بالقاهره) ج ۱ ص ۲۳۷ و مشـکاه المصابیح (ط دهلی) ص ۵۶۴ و الإصابه ج ۲ ص ۵۰۲ و السنن الکبری للبیهقی ج ۹ ص ۱۰۷ و مناقب الإمام علی لابن المغازلی (ط المکتبه الإسلامیه) ص ۱۷۶ و مصابیح السنه (ط الخیریه بمصـر) ج ۲ ص ۲۰۱ و الإستیعـاب (مع الإصـابه) ج ۳ ص ۳۶۶ و معـالم التنزیل ج ۴ ص ۱۵۶ و الشـفاء (ط مصر) ج ۲ ص ۲۷۲ و جـامع الأصول ج ۹ ص ۴۶۹ و الإکتفـاء للکلاعی ج ۲ ص ۲۵۸ و کفـایه الطالب ص ۱۳۰ و ۱۱۶ و ۱۱۸ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۱۸۴ و ۱۸۵ فما بعدها و ذخائر العقبی (ط مکتبه القدسی) ص ۷۴ و الریاض النضره (ط محمد أمین بمصر) ج ۲ ص ۱۸۸ و ج ۱ ص ۵۰ و صحیح البخاری (ط محمد علی صبیح بمصر) ج ۵ ص ۱۷۱ و صحیح مسلم ج ۵ ص ۱۹۵ و ج ۷ ص ۱۲۰ و مسند أحمد ج ۵ ص ۳۳۳ و ۳۵۳ و ۳۵۸ و الجامع الصحیح للترمذی ج ۵ ص ۶۳۸ و الخصائص للنسائی (مطبعه التقدم بمصر) ص ۴ و ۵ و ۶ و ۷ و السیره النبویه لابن هشام (المطبعه الخیریه بمصر) ج ۳ ص ۱۷۵ و طبقات ابن سعد (مطبعه الثقافه الإسلامیه) ج ۳ ص ۱۵۷ و المعجم الصغیر ص ۱۶۳ و مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۳۸ و ۱۰۸ و ۱۱۶ و راجع ص ۱۲۵ و لباب التأویل ج ۴ ص ۱۵۲ و ۱۵۳ و تاریخ

و ذکروا: أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد أرسل سلمه بن الأکوع إلی علی (علیه السلام)، فجاء یقوده و هو أرمد (۱).

قال سهل: فقال علی: یا رسول اللّه، أقاتلهم حتی یکونوا مثلنا؟

فقال: (أنفذ علی رسلک حتی تنزل بساحتهم. ثم ادعهم إلی الإسلام، و أخبرهم بما یجب علیهم من حق اللّه تعالی، و حق رسوله. فو اللّه، لأن یهدی اللّه بک رجلا واحدا خیر لک من أن یکون لک حمر النعم) (۲). ۴

۱- صحیح مسلم ج ۵ ص ۱۹۵ و مسند أحمد ج ۴ ص ۵۴ و طبقات ابن سعد (مطبعه الثقافه الإسلامیه) ج ۳ ص ۱۵۷ و مناقب آل أبی طالب لابن المغازلی (ط المکتبه الإسلامیه) ص ۱۷۶ و معالم التنزیل ج ۴ ص ۱۵۶ و منتخب کنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ۴ ص ۱۳۰ و حیاه الحیوان (مطبعه الشرفیه بالقاهره) ج ۱ ص ۲۳۷ و الریاض النضره (ط محمد أمین بمصر) ج ۱ ص ۱۸۵- ۱۸۷ و لباب التأویل للخازن ج ۴ ص ۱۵۲ و ۱۵۳.

۲- صحیح البخاری (ط محمد علی صبیح بمصر) ج ۵ ص ۱۷۱ و صحیح مسلم ج ۷ ص ۲۱ و مسند أحمد ج ۵ ص ۳۳۳ و الخصائص للنسائی ص ۶ و حلیه الأولیاء ج ۱ ص ۶۲ و السنن الکبری ج ۹ ص ۱۰۷ و تذکره الخواص ص ۲۴ و أسد الغابه ج ۴ ص ۲۸ و مشکاه المصابیح (ط دهلی) ص ۵۶۴ و البدایه و النهایه ج ۴

و قال أبو هريره: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قال لعلى: (اذهب فقاتلهم حتى يفتح اللّه عليك، و لا تلتفت).

قال: علام أقاتل الناس؟

قال: (قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه، و أن محمدا عبده و رسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم و أموالهم إلا بحقها، و حسابهم على اللّه).

فخرجوا، فخرج بها- و اللّه يأيح- يهرول هروله، و إنّا لخلفه نتبع أثره.

حتى ركزها تحت الحصن.

فاطلع يهودى من رأس الحصن فقال: من أنت؟

قال: على.

أو قال: أنا على بن أبى طالب.

فقال اليهودى: غلبتهم (أو علوتم)، و الذى أنزل التوراه على موسى.

فما رجع حتى فتح اللّه تعالى على يديه (۱).۶.

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۴ و ۱۲۵ و الأنس الجليل (ط الوهبيه) ص ۱۷۹ و راجع: السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۵ و ۳۶ و ۳۷ و السيره النبويه لابن هشام ج ۳ ص ۱۷۵ و حليه الأولياء ج ۱ ص ۶۲ و الإكتفاء للكلاعى (ط مكتبه الخانجى) ج ۲ ص ۲۵۸ و الكامل (ط دار صادر) ج ۲ ص ۲۲۰ و البدايه و النهايه ج ۴ ص ۱۸۴ و ۱۸۵ فما بعدها، و ذخائر العقبى ص ۱۸۴- ۱۸۸ و الخصائص الكبرى ج ۱ ص ۲۵۱ و ۲۵۲ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۴۹ و البحار ج ۲۱ ص ۱۶.

و عن حذیفه: (لما تهیأ علی (علیه السلام) للحمله، قال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله):

(یا علی، و الذی نفسی بیده، إن معک من لا یخذلک. هذا جبریل (علیه السلام) عن یمینک، بیده سیف لو ضرب الجبال لقطعها، فاستبشر بالرضوان و الجنه.

یا علی: إنک سید العرب، و أنا سید ولد آدم).

و فی روایه: أنه (صلی اللّه علیه و آله) ألبسه درعه الحدید (۱)، و شد ذا الفقار فی وسطه، و أعطاه الرایه، و وجّهه إلی الحصن.

فقال علی (علیه السلام): یا رسول اللّه، أقاتلهم حتی یکونوا مثلنا؟

الخ .. (۲). ۹

۱- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۴۹ و راجع: تحف العقول ص ۳۴۶ و عن عون المعبود ج ۸ ص ۱۷۲ و السیره الحلبیه.

۲- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۷ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۴۹ و راجع: شرح اللمعه للشهید الثانی ج ۷ ص ۱۵۲ و زبده البیان للأردبیلی ص ۱۲ و شرح أصول الکافی ج ۶ ص ۱۳۶ و ج ۱۲ ص ۴۹۴ و مناقب أمیر المؤمنین للکوفی ج ۲ ص ۵۰۷ و ۵۰۸ و عن الإحتجاج ج ۱ ص ۱۶۷ و العمده ص ۱۴۲ و ۱۴۶ و ۱۴۸ و ۱۴۹ و ۱۵۷ و الطرائف لابن طاووس ص ۵۶ و عن ذخائر العقبی ص ۷۳ و البحار ج ۲۱ ص ۳ و ج ۳۹ ص ۸ و ۱۲ و کتاب الأربعین للماحوزی ص ۲۸۷ و ۲۸۸ و مناقب أهل البیت ص ۱۳۷ و الغدیر ج ۲ ص ۴۱ و مستدرک سفینه البحار ج ۳ ص ۱۰ و أضواء علی الصحیحین للنجمی ص ۳۴۱ و فضائل الصحابه ص ۱۶۶ و عن مستدرک أحمد ج ۵ ص ۳۳۳ و عن صحیح البخاری ج ۴ ص ۲۰ و ۲۰۷ و ج ۵ ص ۷۷ و عن صحیح مسلم ج ۷ ص ۱۲۲ و السنن الکبری للبیهقی ج ۹

فخرج علی بها، و هو یهرول) (۱).

و فی نص آخر: أرکبه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یوم خیبر، و عممه بیده، و ألبسه ثیابه، و أرکبه بغلته، ثم قال له: (امض یا علی، و جبرئیل عن یمینک، و میکائیل عن یسارک، و عزرائیل أمامک، و إسرافیلی.

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۷ و راجع: الأربعون حدیثا لابن بابویه ص ۵۶ و مناقب آل أبی طالب لابن شهر آشوب ج ۲ ص ۱۲۸ و العمده ص ۱۵۳ و الطرائف لابن طاووس ص ۵۷ و البحار ج ۳۹ ص ۹ و ج ۷۲ ص ۳۳ و بغیه الباحث ص ۲۱۸ و المعجم الکبیر ج ۷ ص ۳۵ و الثقات لابن حبان ج ۲ ص ۱۳ و تاریخ مدینه دمشق ج ۴۲ ص ۸۹ و ۹۰ و الجواهر فی نسب علی و آله للبری ص ۷۰ و البدایه النهایه ج ۴ ص ۱۱۲ و ج ۷ ص ۳۷۳ و عن السیره النبویه لابن هشام ج ۳ ص ۷۹۸ و الجمل للمفید ص ۱۹۶ و مصادر کثیره أخری.

وراءك، و نصر اللّه فوقك، و دعائى خلفك) (۱).

رايتان أم ثلاث؟!

و قد ذكر فى بعض النصوص: أنه (صلى اللّه عليه و آله) أرسل أبا بكر، فرجع منهزما، ثم أرسل عمر، فرجع منهزما أيضا ..

و بعضها اقتصرت على عمر ..

و بعضها ذكر: أنه أرسل عمر مرتين، مره قبل أبى بكر، و مره بعده.

لكن الذى لفت نظرنا هو: إضافه رايه ثالثه لرجل من الأنصار، و أنه رجع منهزما أيضا (۲).

و الظاهر: أن المقصود بذلك هو: سعد بن عباده، بل لقد صرح الواقدى باسمه، و بأنه قد رجع مجروحا (۳).

مع أن الـذى ذكرته الروايـات الكـثيره، هـو: هزيمه أبى بكر و عمر، و ربمـا اقتصـرت بعض الروايـات على ذكر عمر أيضـا. فهل السبب فى هذه الإضافه لسعد، و ربما لابن مسلمه و غيره، هو إخراج هذا الأمر عن دائره قريش، و عن دائره الذين استأثروا بالأمر بعد رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله)، لتشمل الهزيمه زعيم الأنصار، الذى نافسهم فى السقيفه، فأرادوا أن ينيلوه شرف الهزيمه و الفرار الذى باؤوا به؟!۳.

۱- راجع: البحار ج ۲۱ ص ۱۸ و ۱۹ و فى هامشه عن مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۷۸ و عن الإرشاد.
۲- المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۵۳ و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۷.
۳- المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۵۳.

و إلا، فلماذا اختاروا سعد بن عباده دون سواه لهذا الأمر؟!

إرسال عمر مرتين:

و قد لوحظ أيضا: أن بعض النصوص تقول: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) أرسل عمر إلى اليهود مرتين، مره قبل إرسال أبى بكر، و مره بعده ..

و ربما يمكن تفسير ذلک أيضا: بأن عمر كان يدّعى لنفسه الشده و الصلابه، و يظهر ذلک للناس، حتى إنه يأمر النبى (صلى اللّه عليه و آله) بقتل هذا، و بقلع ثنايا ذاک، و يصر على قتل الأسرى فى بدر .. و على القتال فى الحديبيه .. و .. و ..

فكأنه (صلى اللّه عليه و آله) أراد أن يظهر: أن هذا كله لم يكن لأجل شجاعه فيه، بل هو لأمور أخرى ..

و الشاهد على ذلک: هذا الذى جرى فى خيبر، فإن أمكن لعمر أن يتعلل بشى ء فى هزيمته فى اليوم الأول، فبأى شى ء يعتذر أو يتعلل فى اليوم الثانى؟!

ثم إن إرسال أبى بكر، و غيره، قد جاء ليؤكد على: أن هذا السنخ من الناس ليس هو الذى يفتح اللّه تعالى على يده الحصون، و يقرّ بقلع أبوابها العيون ..

بل الذى يقوم بهذه المهمات الجسيمه، و الإنجازات الهائله و العظيمه هو نوع آخر من الناس، مطمئنه نفسه، و راضيه بلقاء اللّه تعالى .. كرار .. غير فرار .. لا- يتمنى الإماره لنفسه، حتى فى ذلک اليوم، بل هو يرى أنه لا أحد أن يستطيع أن يمنع ما يعطيه، فيقول: (اللهم لا مانع لما أعطيت).

أين ابن مسلمه، و الحباب، و الزبير؟!

و يبقى أمامنا سؤال يقول: لماذا لم يعط النبى (صلى اللّه عليه و آله) الرايه فى اليوم الثانى لمحمد بن مسلمه، أو للحباب، أو للزبير؟! الذين ينسبون لهم البطولات العظيمه فى خيبر، حتى ليدّعون أن ابن مسلمه هو الذى قتل مرحبا.

نعم، لماذا صرف النظر عن هؤلاء جميعا؟! و أطلق تعريضه بهم ليشمل وصف الفرار كل واحد منهم، بعد أن حصر وصف الكرار بعلى (عليه السلام) دون سواه؟!

فلماذا لم يحفظ لهم ماء الوجه، لو كانوا قد ثبتوا و لم يهربوا مع الهاربين؟!

و نحن نكاد نطمئن إلى أنهم قد أهملوا ذكر ابن مسلمه مع الفارين بالرايه- كما سيأتى- لأنهم ادخروه لقتل مرحب، بدلا من على (عليه السلام) كما سنرى ..

كتائب اليهود تهاجم الأنصار:

اشاره

و قد ذكر الواقدى، ما جرى بطريقه تشير إلى أمور يحسن لفت النظر إليها، فهو يقول ما ملخصه: إنه (صلى اللّه عليه و آله) دفع لواءه إلى أحد المهاجرين، فرجع و لم يصنع شيئا.

فدفعه إلى آخر: فكذلك.

فدفع لواء الأنصار إلى رجل منهم: فكذلك أيضا.

فحث (صلى اللّه عليه و آله) المسلمين على الجهاد.

و سالت كتائب اليهود، أمامهم الحارث أبو زينب يهدّ الأرض هدا،

فأرجعهم صاحب رايه الأنصار إلى الحصن.

فخرج ياسر [أو أسير] معه عاديته (۱)، و كشف الأنصار حتى انتهى إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى موقفه، فاشتد ذلك على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و بات مهموما.

[و خرج مع ذلک سعد بن عباده].

و كان سعد بن عباده قد جرح، و جعل يستبطئ أصحابه، و جعل صاحب رايه المهاجرين يستبطئ أصحابه، و يقول: أنتم، و أنتم.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): إن اليهود جاءهم الشيطان، فقال لهم: إن محمدا يقاتلكم على أموالكم، نادوهم:

قولوا: لا إله إلا اللّه، ثم قد أحرزتم أموالكم و دماءكم، و حسابكم على اللّه.

فنادوهم بذلک، فنادت اليهود: إنّا لا نفعل. و لا نترک عهد موسى و التوراه بيننا.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): لأعطين الرايه غدا رجلا يحبه اللّه و رسوله، و يحب اللّه و رسوله (۲)، ليس بفرار (۳).

أبشر يا محمد بن مسلمه، غدا إن شاء اللّه يقتل قاتل أخيك، و تولّى عاديه اليهود.۴.

۱- أى معه الجماعه الذين يعدن للحرب.

۲- فى الإمتاع لم يذكر كلمه: (و يحب اللّه و رسوله). فراجع ص ۳۱۴.

۳- المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۵۳ و ۶۵۴ و الإمتاع ص ۳۱۳ و ۳۱۴ و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۴.

و فی نص المقریزی: (ثم خرج مرحب، فحمل علی علی، و ضربه، فاتقاه بالترس، فأطن ترس علی رضی اللّه عنه، فتناول بابا کان عند الحصن، فترس به عن نفسه، فلم یزل فی یده حتی فتح اللّه علیه الحصن.

و بعث رجلا یبشر النبی (صلی اللّه علیه و آله) بفتح حصن مرحب.

و یقال: إن باب الحصن جرب بعد ذلک فلم یحمله أربعون رجلا.

و روی من وجه ضعیف عن جابر: ثم اجتمع علیه سبعون رجلا، فکان جهدهم أن أعادوا الباب الخ ..) (۱).

و نقول:

إن لنا مع هذا النص وقفات، نجملها علی النحو التالی:

ألف: تعمد التعتیم علی الحقائق:

إن أول ما یطالع من یقرأ هذه الروایه، هو تعمد التکتم علی المهاجرین۹.

۱- الإمتاع ص ۳۱۴ و ۳۱۵ و الإرشاد للمفید ج ۱ ص ۳۳۳ و قال فی الهامش: انظر حدیث فتح خیبر فی تاریخ مدینه دمشق ج ۱ ص ۱۷۴ و ۲۴۸ و الثاقب فی المناقب ص ۲۵۷ و مناقب آل أبی طالب ج ۲ ص ۱۲۵ و المستجاد من الإرشاد (المجموعه) للعلامه الحلی ص ۱۲۸ و البحار ج ۲۱ ص ۱ و ج ۴۱ ص ۲۷۹ و الإمام علی للهمدانی ص ۶۱۳ و کشف الخفاء ج ۱ ص ۲۳۲ و ۳۶۶ و مجمع البیان ج ۹ ص ۲۰۲ و المیزان ج ۱۸ ص ۲۹۶ و عن البدایه و النهایه ج ۴ ص ۲۱۶ عن دلائل النبوه للبیهقی ج ۴ ص ۲۱۲ و نهج الإیمان لابن جبر ص ۳۲۳ عن المناقب لابن شهر آشوب ج ۲ ص ۳۲۹ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۳۵۹ و سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۹.

اللذين فرّا أولا، و ذلک بأساليب متعدده، منها:

۱- كتمان اسميهما .. و قد جاء ذلک فى نصوص أخرى أيضا.

مع ملاحظه: أن ثمه إيحاء بالتكتم على اسم الأنصارى الثالث، بالرغم من أن الراوى يتعمد التصريح أخيرا باسم سعد بن عباده الذى جرح، حيث يظهر بوضوح أنه هو المقصود، فإنه جعله فى مصاف المهاجرين اللذين فرا، و لم يصنعا شيئا.

ثم أوغل الراوى فى حشد الأمارات و الدلالات عليه، حين ذكر: أن ذلک الأنصارى جعل يستبطئ أصحابه .. تماما كما جعل المهاجريان يستبطئان أصحابهما ..

۲- إنه غيّر فى التعابير بطريقه لا يفهم القارئ أن هؤلاء قد هربوا، فضلا عن أن يكون الهروب مخزيا ..

بل هو قد أبعد ذهن القارئ عن موضوع الفرار بصوره تامه، و يكاد لا يشير إليه، بل هو يهى ء الأجواء ليفهم الناس عكس الحقيقه، إذ غايه ما يفهم من الكلام، أنهما قد بذلا جهدا، و حاربا و لم يتمكنا من فتح الحصن.

۳- إنه تكتم أيضا على أمر آخر قد صرحت به الروايات، و هو: أن الهارب الأول صار يجبّن أصحابه (أى يتهمهم بأنهم جبناء)، و يجبّنه أصحابه (أى يتهمونه هو بأنه جبان)، فذكر الراوى هنا عوضا عن ذلک عباره: يستبطئ أصحابه و يقول: أنتم، و أنتم ..

ب: لواء الأنصار، أم لواء النبى صلّى اللّه عليه و آله؟!

و يلاحظ أيضا: أن الراوى هنا .. قد نسب اللواء الذى أخذه المهاجرى

الأول، و المهاجری الثانی إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) .. فقال: دفع لواءه إلی أحد المهاجرین ..

و لکنه: نسب اللواء الذی أعطاه للأنصاری إلی الأنصار، لا إلی رسول اللّه، فقال: (فدفع لواء الأنصار إلی رجل منهم).

و هذا یدل: علی أن فرار ذلک الأنصاری إنما کان بلواء الأنصار، لا بلواء الجیش کله .. فهو لواء لفرقه خاصه.

و أما فرار الأولین، و هما من المهاجرین، فقد کان بلواء رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله). و هو لواء الجیش.

فإن کان الراوی یرید إعطاء امتیاز للمهاجریین (و هما أبو بکر و عمر طبعا) علی ذلک الأنصاری (و هو سعد بن عباده المنافس لهما فی یوم السقیفه) .. فإنه یکون قد وقع فی أمر لا یریده، و هو أمر بالغ الخطوره.

حیث أوضح: أنهما قد هربا بلواء رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و من الواضح: أن الهزیمه لحامل لوائه (صلی اللّه علیه و آله)- و هو لواء الجیش کله- تبقی هی الأشر، و الأضر، و الأخطر، و الأمر، علیه (صلی اللّه علیه و آله)، و علی الإسلام و المسلمین، و هی جریمه عظیمه و هائله ..

ج: حفظ ماء وجه الأنصاری:

و یلاحظ: أن الراوی نفسه، الذی یرید أن یکرس الامتیازات للرجلین المهاجریین، بالتأکید علی فرار أحد منافسیهما، و هو ابن عباده، قد أقر لسعد بن عباده بأنه حقق إنجازا- مهما کان متواضعا- عجز ذانک الرجلان عن تحقیقه، حیث ذکر: أنه قد أرجع کتائب الیهود إلی الحصن، و معهم قائدهم

الحارث أبو زينب، الذى كان يهدّ الأرض هدا.

د: أين كان المهاجرون؟!

و السؤال المحير هنا هو: لماذا يتصـدى خصوص ذلك الأنصارى و الأنصار الذين كانوا معه للحارث أبى زينب، و للكتائب التى كانت معه، حتى ردّوهم إلى الحصن. و أين كان المهاجريان اللذان أخذا لواء النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و هربا به؟!! ..

و الأغرب من ذلك: أنه بعد ما عادت كتائب اليهود مع الحارث أبى زينب إلى الحصن بجهد الأنصار فقط، قد عادت لتخرج من جديد بقياده ياسر اليهودى، و تهاجم الأنصار، دون سواهم مره أخرى ..

و لا ندرى لماذا لا تتعرض للمهاجرين فى هذه المره .. أيضا؟!

كما أننا لا ندرى: لماذا لم يعن المهاجرون الأنصار؟!

و لماذا تركوا اليهود يزيلون الأنصار عن مراكزهم، حتى انتهوا إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى موقفه؟!

فإن كانوا لا يحبذون إعانه الأنصار لأمر مّا كان فى نفوسهم عليهم، فهل من المعقول أن يتركوا اليهود يخلصون إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى موقفه؟!

و ماذا سيكون عذرهم لو أن اليهود تمكنوا من إلحاق الأذى به (صلى اللّه عليه و آله)؟! ..

ه: نداء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى اليهود:

و قد ذكرت تلك الروايه المتقدمه أيضا: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) .. قد

أخبر عن مقاله الشيطان لليهود: إن محمدا يقاتلكم على أموالكم ..

و هو نداء شيطانى حقا، من شأنه أن يثير حفيظه أناس يعرف الناس كلهم: أن حبهم للمال يفوق كل حب، و المال هو هاجسهم الأول و الأخير، و يرون: أن فقدهم للمال يوازى فقدهم للحياه.

و قد أمر النبى (صلى اللّه عليه و آله) بنداء يبطل تأثير مقوله الشيطان هذه، و يفقدهم ذريعه كانوا يرون أنها تكفى لتبرير طغيانهم عليه (صلى اللّه عليه و آله).

فإنه (صلى اللّه عليه و آله) أظهر فى ندائه لهم: أن أموالهم، و كذلك دماؤهم ليست هدفا له (صلى اللّه عليه و آله)، رغم كل ما فعلوه معه، من نقض عهود، و من تحريض، و من تآمر، و سعى للإعداد و الاستعداد لحربه، و إنما هدفه هو: أن يعلنوا أنهم ملتزمون بتوحيد اللّه سبحانه ..

مع تقديم تعهد صريح منه (صلى اللّه عليه و آله)، بالاكتفاء منهم بهذا الإعلان، فلا يكون هناك أى بحث عن دخائلهم، و عن مكنونات نفوسهم، و لا يتعرض للكشف عن ضمائرهم، فإن حسابهم على اللّه وحده، و ليس لأحد غيره الحق فى التعرض لشى ء من ذلك.

فنلاحظ: أنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يطلب لنفسه منهم مالا و لا سلطه، و لا سعى لمحاسبتهم على ما بدر منهم، و لا غير ذلك.

و لكن اليهود رفضوا حتى الإعلان عن الالتزام بالوحدانيه، و أكدوا التزامهم بالخط الذى هم عليه، رغم ظهور الحجه، و سطوع البرهان على نبوته (صلى اللّه عليه و آله)، حتى إنهم ليجدونه (صلى اللّه عليه و آله)، مكتوبا عندهم فى التوراه و الإنجيل، و هم يعرفونه (صلى اللّه عليه و آله) كما

يعرفون أبناءهم.

و: الصحابه يفرون حتى عن على عليه السّلام!!

و قـد صـرحت الروايه: بأن الـذين ذهبوا مع على (عليه السـلام) قـد فروا عنه (صـلوات اللّه و سـلامه عليه) أيضا، و تركوه، ليواجه كتائب اليهود وحده، و كانت بقياده الحارث أخى مرحب. فقتله على (عليه السلام) ..

و هرب الذين كانوا مع الحارث إلى الحصن، و أغلقوا عليهم ..

ثم خرج مرحب، فقتله على (عليه السلام) أيضا على الباب، و فتح الباب ..

و الذى يبدو لنا: أن الرواه المغرضين قد حاولوا تلطيف أمر هذا الفرار، فقالوا: إن عليا قد أخذ الرايه و هرول نحو الحصن و فتحه، و قلع بـابه و دخله، قبـل أن يلحق آخر النـاس أولهم، أو قبـل أن يلبس الناس سـلاحهم، أو قبل أن يتم اصـطفاف الخيل، أو نحو ذلك مما سنذكره فيما سيأتى إن شاء اللّه، تحت عنوان: على يفتح خيبر وحده.

تعابير ذات مغزى:

و عن ابن عباس: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال: لأبعثن رجلا لا يخزيه اللّه أبدا، يحب اللّه و رسوله.

قال: فاستشرف لها من استشرف.

قال: أين على (عليه السلام)؟!

قالوا: هو فى الرحل، يطحن.

قال: و ما كان أحدكم ليطحن؟

قال: فجاء و هو أرمد، لا يكاد يبصر.

قال: فنفث فی عینیه، ثم هز الرایه ثلاثا، فأعطاه إیاها، فجاء بصفیه بنت حیی الخ .. (۱).

و نقول:

۱- قد تحدثنا فی موضع آخر من هذا الکتاب عن قوله (صلی اللّه علیه و آله): (لا یخزیه اللّه أبدا). فیمکن الاکتفاء بما ذکرناه هناک ..

۲- لقد کان علی (علیه السلام) یمارس عملیه الطحن، حین تخلف فی الرحل، بسبب الرمد الذی جعله لا یبصر.

فلم یکن (علیه السلام)- حتی و هو فی هذه الحاله الصعبه- فارغا، ینتظر خدمه الآخرین له .. بل یؤدی وظیفه تفید هذا الجیش المقاتل لأعداء۵.

۱- مسند أحمد ج ۱ ص ۳۳۱ و الخصائص للنسائی (ط التقدم بمصر) ص ۸ و فی (طبعه أخری) ص ۶۳ و المستدرک للحاکم ج ۳ ص ۱۳۲ و کفایه الطالب (ط مکتبه الغری) ص ۱۱۶ و راجع: العمده لابن البطریق ص ۸۵ و ۲۳۸ و ذخائر العقبی ص ۸۷ و حلیه الأبرار ج ۲ ص و البحار ج ۳۸ ص ۲۴۱ و ج ۴۰ ص ۵۰ و خلاصه عبقات الأنوار ج ۷ ص ۱۱۲ و ۲۹۲ و المراجعات ص ۱۹۶ و الغدیر ج ۱ ص ۵۰ و ج ۳ ص ۱۹۵ و مواقف الشیعه ج ۳ ص ۳۹۳ و عن مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۱۹ و کتاب السنه لابن عاصم ص ۵۸۹ و السنن الکبری ج ۵ ص ۱۱۳ و عن خصائص الوحی المبین لابن البطریق ص ۱۱۸ و تاریخ مدینه دمشق ج ۴۲ ص ۹۸ و ۹۹ و ۱۰۱ و ج ۴۶ ص ۱۵۰ و سیر أعلام النبلاء ج ۳ ص ۶۸ و عن الإصابه لابن حجر ج ۴ ص ۴۶۷ و عن البدایه و النهایه ج ۷ ص ۳۷۴ و المناقب للخوارزمی ص ۱۲۵.

اللّه تعالی، وجد نفسه قادرا علی أدائها ..

و قد ترکه الناس یمارس هذا العمل، و سارعوا إلی الحضور عند رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، علی أمل أن یفوزوا بشرف حمل الرایه حین علموا: بأن ثمه أوسمه هامه، تؤهلهم لتبوء مناصب، و تحلهم فی مراتب کانوا یحلمون بها، و منها: أن حاملها سوف یفتح اللّه علی یدیه.

نعم، لقد سارعوا إلی مجلس رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و استشرفوا للرایه، و طلبوها، رغم الفرار الذی کان قد صدر منهم عن قریب.

فهل کانوا ذاهلین عن أن اللّه تعالی إنما یفتح علی یدی من کان کرارا غیر فرار؟!.

و من کان اللّه و رسوله أحب إلیه حتی من نفسه؟!.

و من کان باذلا نفسه فی کل ما یرضی اللّه و رسوله، حتی صار حبیبا لهما؟!

و من لا یعتبر إعطاء الرایه له مکسبا دنیویا، بل هو یعتبره عطاء إلهیا یعبر عنه بقوله: اللهم لا مانع لما أعطیت؟! (۱).

و من لا یخالف ما یأمره به رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، حتی فیما قد یراه الکثیر من الناس شکلیا، أو أمرا عادیا؟!

حتی إنه حینما قال له: اذهب و لا تلتفت، مشی قلیلا و وقف و لم یلتفت، و سأل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): علام أقاتلهم؟! أو علام أقاتل الناس؟!ب.

۱- قد ذکرنا مصادر هذه الکلمه فی موضع آخر من هذا الکتاب.

و من الواضح: أن الالتزام بأوامر النبی (صلی اللّه علیه و آله) و تنفیذها حرفیا، هو الأمر الذی یجب الالتزام به، و لا یجوز التخلف عنه، و هو الذی یدخل السرور علی قلبه (صلی اللّه علیه و آله).

۳- و لأجل ترکهم إیاه یمارس ذلک العمل، و إسراعهم إلی ما یرون الحصول علیه مکسبا و امتیازا دنیویا، جاء اللوم لهم من قبل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لیؤکد علی لزوم معرفه أقدار الرجال، و إعطاء کل ذی حق حقه ..

و الأهم من ذلک: أن یوکل کل عمل للشخص المناسب له، فلا یوکل أمر الطحن، أو استقاء الماء لقاده الجیش، و لعلماء الأمه و ربانییها؛ لأن ذلک معناه:

هدر الطاقات، و تعطیل القدرات، خصوصا إذا حصل ذلک فی الأوقات العصیبه، و الظروف الحساسه، و المصیریه.

۴- و عن النصوص التی تتعمد کتمان أسماء الفارین نعود فنقول:

لماذا یتعمدون تجهیل الناس بهذا الأمر؟!

ألا یعتبر ذلک: من مفردات الخیانه للأمه، و من التدلیس علی الناس؟! و هو تدلیس شدید الإضرار بالأمه، عظیم الأثر علی الدین، و لا نرید أن نقول أکثر من ذلک.

أقاتلهم حتی یکونوا مثلنا؟!

و حول قول علی (علیه السلام) للنبی (صلی اللّه علیه و آله): علام أقاتلهم؟ نقول:

۱- لعل سؤال علی (علیه السلام) عن غایه القتال قد فاجأ الکثیرین من

الصحابه الذين كانوا حول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و الذين قد يكون أكثرهم إنما يقاتل من أجل الغنائم، أو المناصب، أو الشهره، أو حبا بالأماره؛ أو لأجل أن يفرضوا الإسلام عليهم بالقوه و القهر، أو نحو ذلك ..

فأراد على (عليه السلام) أن يعرف الجميع: أنه لا بد أن يكون كل عمل يقوم به الإنسان هادفا.

ثم أن يكون الهدف فى مستوى العمل نفسه، من حيث خطورته، و من حيث حساسيه آثاره.

۲- و من جهه أخرى نلاحظ: أنه لم يقل: أقاتلهم حتى يكونوا مسلمين، بل قال: حتى يكونوا مثلنا ..

و لعل السبب فى ذلك: أنه (عليه السلام) لو استعمل كلمه (المسلمين) لجاء الجواب بنعم، أو بلا ..

و لكنه حين قال: حتى يكونوا مثلنا .. احتاج إلى توضيح مستوى المثليه المطلوبه، و أن المطلوب أولا: هو الدرجه التى توجب حقن دمائهم .. أما سائر المراتب و الدرجات، فإنما تحصل بالسعى الدؤوب من قبل الأفراد أنفسهم، كل بحسب حاله، و قدراته، و طبيعه قناعاته ..

و الذى تحقن به دماؤهم، هو شهاده أن لا إله إلا اللّه، و أن محمدا رسول اللّه.

عرّفهم ما يجب عليهم:

و من الأهميه بمكان الوقوف عند قوله (صلى اللّه عليه و آله) لعلى (عليه السلام)، حين قال له: علام أقاتلهم؟!: (عرّفهم ما يجب عليهم من حق اللّه تعالى، و حق رسوله). و ذلك بالتزامن مع دعوتهم إلى الإسلام الأمر الذى

يدل على أن دعوتهم إلى الإسلام لا يقصد بها إكراههم عليه، و فرض قبوله عليهم بلا مناقشه .. بل هى دعوه تستند إلى الإقناع، و تعتمد على إقامه الحجه، و التوعيه، و التعريف بما يجب و ما لا يجب.

حق اللّه و حق رسوله:

ثم إن قول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (عرفهم ما يجب عليهم من حق اللّه و رسوله)، قد تضمن طلبه (صلى اللّه عليه و آله) فى بادئ الأمر تعريفهم بحق اللّه تعالى عليهم، و هو توحيده، و عبادته، و طاعته. و لا يطلب تعريفهم بأوامر اللّه، و نواهيه لهم، فإن هذا يأتى فى مرحله لا حقه، حيث لا بد لهم من السعى إلى الحصول على هذا الأمر ..

كما أنه لم يطلب تعريفهم بشى ء يعود نفعه إليه (عليه السلام) كشخص، و لا يريد منهم شيئا لنفسه، بل يطلب (صلى اللّه عليه و آله) منه (عليه السلام) أن يعرفهم بحق من تكون له صفه الرسوليه و النبوه، و هو القبول منه، و عنه، و توقيره و نصرته، و الشهاده و الاعتراف له بذلك ..

لأن يهدى اللّه بك نسمه:

ثم هو يعقب ذلك بالتوجيه الكريم و العظيم، حيث يقول له: لأن يهدى اللّه بك رجلا خير لك من حمر النعم ..

ليفهم الجميع: أن مسؤوليتهم هى هدايه الناس .. و أن هذا هو الخير العظيم الذى يجب أن تنصرف إليه الهمم، و تعقد عليه العزائم، فلا يكون همهم الحصول على الأموال و الجوارى، و المناصب، و لا فتح الحصون، و قتل الرجال.

بل يكون كل همهم منصرفا إلى فتح القلوب أولا، حتى إذا أصبحت الحصون

أقفالا على تلك القلوب، فلا بد حينئذ من دكّها و تحطيمها، و إزاله تلك الأقفال عنها.

و قد ورد أيضا أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال: لأن يهدى اللّه بك نسمه (أو رجلا) خير لك مما طلعت عليه الشمس (۱)، و هذه الكلمه و تلك تعطى الانطباع عن حقيقه القيمه التى للإنسان بنظر الإسلام، حتى إن نسمه واحده سواء كانت رجلا أم أنثى، صغيره كانت أم كبيره، إذا هديت بك، فهى خير من كل ما طلعت عليه الشمس ..۸.

۱- راجع: البحار (ط كمبانى) ج ۶ ص ۴۴۰ و (ط جديد) ج ۳۲ ص ۴۴۸ و ج ۹۷ ص ۳۴ و ج ۱۰۱ ص ۳۶۴ و ج ۱ ص ۲۱۶ و ج ۱۹ ص ۱۶۷ و ج ۲۱ ص ۳۶۱ و مختلف الشيعه ج ۴ ص ۳۹۴ و منتهى المطلب للحلى ج ۲ ص ۹۰۴ و تذكره الفقهاء للحلى ج ۱ ص ۴۰۹ و ج ۹ ص ۴۴ و كشف اللثام ج ۲ ص ۱۹۶ و ۲۷۶ و رياض المسائل ج ۱ ص ۴۸۶ و ج ۷ ص ۴۹۳ و جواهر الكلام ج ۲۱ ص ۵۲ و المبسوط للسرخسى ج ۱۰ ص ۳۱ و الكافى ج ۵ ص ۲۸ و ۳۶ و تهذيب الأحكام ج ۶ ص ۱۴۱ و الوسائل (ط دار الإسلاميه) ج ۱۱ ص ۳۰ و مستدرك الوسائل ج ۱۱ ص ۳۰ و ج ۱۲ ص ۲۴۱ و ج ۱۷ ص ۲۱۰ و مصباح الشريعه ص ۱۹۹ و النوادر للراوندى ص ۱۴۰ و الإقبال لابن طاووس ج ۲ ص ۵۸ و اليقين لابن طاووس ص ۱۴ و مستدرك سفينه البحار ج ۲ ص ۳۵۳ و ج ۱۰ ص ۵۰۲ و نهج السعاده ج ۲ ص ۱۵۸ و ج ۵ ص ۲۱۴ و درر الأخبار ص ۱۷۸ و المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۵۶۸ و مجمع الزوائد ج ۵ ص ۳۳۴ و المعجم الكبير ج ۱ ص ۳۱۵ و ۳۳۲ و شرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۱۴ و الجامع الصغير ج ۲ ص ۴۰۱ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۱۵۶ و ج ۱۳ ص ۱۰۷ و السير الكبير ج ۱ ص ۷۸ و الثقات لابن حبان ج ۲ ص ۱۲۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۲۳۸.

و هذا معناه: أن كل قتال شرعه الإسلام، إنما شرعه وفق هذه النظره و من خلالها، إذ لا مجال للتناقض و الاختلاف فی دین اللّه سبحانه و تعالی، فهذا التشریع إنما کان بهدف حفظ البشریه، و من أجل إزاحه مصادر الخطر عنها، و استئصال جراثیم سرطانیه، لا مجال للحیاه معها.

الیهود، و کلمه التوحید:

و قد قال (صلی اللّه علیه و آله) لعلی (علیه السلام): قاتلهم حتی یشهدوا أن لا إله إلا اللّه، و هذا یشیر إلی أن توحید الیهود مشوب بالشرک أو بغیره من المعانی التی تنافیه، و تخرجه عن حقیقته، مثل اعتقادهم بأن عزیرا ابن اللّه، و اعتقادهم بالتجسیم الإلهی، و نسبه أمور مشینه إلی الذات المقدسه، مثل أن یده- سبحانه- مغلوله، و کذلک نسبه الظلم، و العجز إلیه تبارک و تعالی، و غیر ذلک.

التدرج فی الاعتقادات، و فی الأحکام:

و قد جعل النبی (صلی اللّه علیه و آله) میزان حفظ الأموال، و حقن الدماء .. شهاده أن لا إله إلا اللّه، و أن محمدا رسول اللّه، کما اتضح من جواب النبی (صلی اللّه علیه و آله) لعلی (علیه السلام) ..

و ذلک: لأن للاعتقادات مراتب، و لکل مرتبه منها آثارها .. فالاعتراف بوجود اللّه سبحانه، و بأن له رسلا و کتبا، و شرائع- کما هو الحال فی أهل الکتاب- أقل قبحا من الإلحاد، و من الشرک.

و لذلک کانت لهؤلاء أحکام تختلف عن أحکام أولئک، فیجوز مثلا التزویج بالکتابیه متعه، و لا یجوز تزویجهم مطلقا، و یصح أیضا اعتبارهم من أهل الذمه، و یمنع التعرض لهم فی ممارساتهم الدینیه، وفق حدود و قیود

معینه. و یمکن الدخول فی عهد معهم، و ما إلی ذلک.

فـإذا دخلوا فی الإسـلام، و شـهدوا أن لاـ إله إلاـ اللّه، و أن محمـدا رسول اللّه، فـإنه یضـاف إلی ذلک: أنه یوجب بمجرده حقن دمائهم، و یمنع من التعرض لأموالهم، و لا حاجه فی ذلک إلی عقد و عهد، و لا یصح اعتبارهم أهل ذمه ..

و یجوز أیضا: التزوج و التزویج منهم، و یحکم بحلیه ذبائحهم، و بطهارتهم، و هم یرثون و یورثون الخ ..

فإذا اعتنقوا مذهب الحق: فإن ذلک یرتب أحکاما أخری لهم و علیهم.

فتحرم غیبتهم، و تجب حقوق الأـخوه الإیمانیه لهم، و تترتب علیهم أیضا أحکام أهل المـذهب، فلا یقبل منهم التصـرف الموافق للمـذاهب الأـخری، فلاـ یمضـی علیهم الطلاـق بالثلاث، و یحکم ببطلانه، و لا یقبل طلاقهم من غیر شـهود، فإذا صاروا من أهل العداله، صحت الصلاه خلفهم، و قبلت شهادتهم، و ما إلی ذلک.

ثم إن الواحـد منهم یتـدرج فی مراتب الفضـل و الکمـال، فیکون عالمـا، و یکون عابـدا تقیـا، و قـد یصل إلی أن یکون ولیا من الأولیاء.

و من البشـر من یصـطفیهم تعالی للإمامه و للنبوه، و إن للنبوه مراتب أیضا تختلف و تتفاوت، فیکون النبی (صلی اللّه علیه و آله) من أولی العزم، أو من غیرهم، أو تکـون له مرتبه النبـوه الخـاتمه، الـتی هی المرتبه العظمی و المنزله الأسـمی .. و للإمـامه أیضـا مراتب، و أعظمها مقام الإمامه للنبوه الخاتمه، فإنها أعظم من مقام الإمامه بدون هذه الخصوصیه.

و علی کل حال: فإن اللّه یزید فی المقام، و یوجب الحقوق، و یجعل الأحکام التی تناسب هذه الخصوصیه أو تلک ..

الفصل الثاني:

وقفات لا بد منها

هل قاتل المهزومون فی خیبر؟!

زعمت بعض النصوص المتقدمه: أن أبا بکر و عمر قد قاتلا قتالا شدیدا، و قد جهدا فلم یفتح لهما ..

و نحن لیس فقط نشک فی صحه ذلک، بل نرجح: أنهما قد هزما قبل مباشره القتال، أو أنهما باشراه مع ظهور الخوف و الجبن، فانهزما بسرعه قبل إنجاز أی شی ء مؤثر، أو صالح لأن یوصف بأنه قتال ..

و نستند فی ذلک إلی ما یلی:

أولا: أشارت بعض النصوص، و بعضها کاد أن یصرح: بأن عمر قد رجع قبل أن یصل إلی ساحه الحرب ..

فقد ورد: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) دعا أبا بکر فی الیوم الأول، و قال: خذ الرایه.

فأخذها فی جمع من المهاجرین، فاجتهد فلم یغن شیئا. فعاد یؤنب القوم الذین اتبعوه و یؤنبونه ..

فلما کان من الغد تعرض لها عمر، فسار بها غیر بعید، ثم رجع یجبّن أصحابه و یجبّنونه.

فقال (صلی اللّه علیه و آله): لیست هذه الرایه لمن حملها، جیؤونی بعلی.

فقيل: إنه أرمد.

فقال: أرونيه، ترونى رجلا يحب اللّه و رسوله، و يحبه اللّه و رسوله (١).

و قد ورد فى حديث بريده أيضا قوله: (فأخذ اللواء أبو بكر، فانصرف و لم يفتح له، ثم أخذها عمر من الغد، فخرج و رجع و لم يفتح له ..).

و فى حديث ابن أبى ليلى، و ابن عباس: بعث أبا بكر، فسار بالناس؛ فانهزم حتى رجع إليه، و بعث عمر، فانهزم بالناس حتى انتهى إليه.

و فى نص آخر: دفع (صلى اللّه عليه و آله) اللواء لرجل من المهاجرين، فرجع و لم يصنع شيئا. فدفعه إلى آخر من المهاجرين فرجع و لم يصنع شيئا.

و كل ذلك قد تقدم مع طائفه من مصادره ..

ثانيا: إن النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله) قد غضب و استاء مما حصل، و صرح بما قد يشعر: بأن هذا الفعل مقصود من المهاجرين و الأنصار، حيث قال: هكذا تفعل المهاجرون و الأنصار؟!- حتى قالها ثلاثا- لأعطين .. (٢).

و قالوا أيضا: فغضب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و قال: (ما بال أقوام يرجعون منهزمين، يجبنون أصحابهم؟!

أما و اللّه لأعطين الخ ..) (٣).

و ذكر نص آخر: انهزام أبى بكر و عمر و قال: حتى ساء رسول اللّه٩.

١- البحار ج ٢١ ص ١٥ و الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٢۶ و راجع: مدينه المعاجز ج ١ ص ١٧۴.
٢- البحار ج ٢١ ص ١٢ عن الإحتجاج ج ٢ ص ۶۴.
٣- البحار ج ٢١ ص ٢٨ عن الخرايج و الجرايح ج ١ ص ١۵٩.

(صلی اللّه علیه و آله) ذلک، فقال: لأعطین الرایه الخ .. (۱).

فهذا الغضب و الاستیاء من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یدل علی:

أن هزیمتهم لم یکن لها ما یبررها أصلا.

بل إن قوله ثلاث مرات: هکذا تفعل المهاجرون و الأنصار، یشیر إلی أسف بالغ، و حسره قویه، قد انتابته من فعلهم هذا، حیث یدل ذلک علی أن ما یجری لیس بسبب قوه الیهود، بل هو نتیجه تخاذل، و جبن من أصحابه، و لهذا الجبن و الخور دلالته السلبیه ..

و مما یؤکد ذلک کله: أن نفس المهاجرین و الأنصار کانوا یتبادلون الاتهامات حول ما یجری، الأمر الذی یدل علی قناعتهم بأن مسؤولیه ما حصل تقع علی عاتقهم أنفسهم.

ثالثا: لو صح قولهم: إنهما قاتلا قتالا شدیدا، و جهدا، لم یصح تعریض النبی (صلی اللّه علیه و آله) بهما و بمن معهما، و إظهار الإزراء علیهما، و فضحهما علی رؤوس الأشهاد. بل کان اللازم تقدیر جهودهما، و جهادهما، و إغداق الأوسمه علیهما، فهذا الاستیاء، و ذلک التعریض و التأنیب، و إظهار الأسی و الغضب یدل دلاله واضحه علی أنهما قد ارتکبا بفرارهما أمرا عظیما، و أن هذا الفرار کان علی درجه کبیره من القباحه و الشناعه، جعلتهما یستحقان ذلک کله ..

و بات من الضروری عقوبتهما بهذه الطریقه المؤلمه، التی تخلد اسمیهما فی سجل لا یحب أحد أن یکون له اسم فیه، و هو سجل الفرارین فی۷.

۱- البحار ج ۲۱ ص ۲۱ عن إعلام الوری ج ۱ ص ۲۰۷.

الحروب، ثم هو يصف عليـا (عليه السـلام) بأوصاف، و يمنحه أوسـمه تسـتبطن التعريض بهما، من حيث إنهما لا يسـتحقان شـيئا منها ..

بل هی تظهر أنهما يحملان نقيضها، و هو الأمر القبيح الذی لا يصح الانطواء عليه بأی حال.

و الأوصاف هی التاليه:

۱– يحب اللّه و رسوله:

فهو (صـلی اللّه عليه و آله) قد وصف عليا (عليه السلام) بأنه يحب اللّه و رسوله، مشيرا بذلک– فيما يظهر– إلی أن غيره لم يكن كـذلک، فـإن ادّعی ذلـک لنفسه، فأمثـال هـذه الـدعاوی تكون سـاقطه عن الاعتبار، لأن شواهـد الامتحان فی ساحات الجهاد و النزال، تكذبها.

و لو أن أيـا منهمـا كـان صادقا فيما يـدّعيه لنفسه لفعل نفس ما فعله علی (عليه السـلام)، و لـم يؤثر حفظ نفسه، و النجاه بها، و لو بارتكاب الفرار من الزحف، الذی هو من المحرمات العظيمه، مع علمه بما يترتب علی هذا الفرار من سـلبيات تتمثل باشتداد ميل الأعداء إلی الحرب، و تؤدی إلی هزيمه روحيه للأولياء فی ساحات الطعن و الضرب.

و يتأكـد ضـعف المسـتوی من خلال ما جری بين رسول اللّه (صـلی اللّه عليه و آله) و بين عمر بن الخطاب، فقـد قال عمر: لأنت أحب إلی من كل شی ء إلا من نفسی.

فقال النبی (صلی اللّه عليه و آله): و الذی نفسی بيده، لا يؤمن أحدكم حتی أكون أحب إليه من نفسه.

فقال عمر: فأنت الآن- و اللّه- أحب إلى من نفسى.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): الآن يا عمر؟! (۱).

و لا بد أن نتذكر هنا الآيه الشريفه التى تقول:

قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ وَ إِخْوانُكُمْ وَ أَزْواجُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ وَ أَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَ تِجارَهٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَ مَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ جِهادٍ فِى سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ (۲)

۲- يحبه اللّه و رسوله:

اشاره

و إذا كان على (عليه السلام) يحب اللّه و رسوله، فإن ذلك يستتبع القيام بما يمليه هذا الحب من الالتزام، و الوفاء، و التضحيه فى سبيل اللّه و رسوله ..

الأمر الذى ينشأ عنه حب اللّه و رسوله له (عليه السلام) أيضا ..

فكان من الطبيعى أن يأتى الوسام الآخر، و هو: أنه (عليه السلام) يحبه اللّه و رسوله، و هو وسام عظيم، خصوصا مع ما يتضمنه هذا الوصف من التعريض بالذين هربوا، ليدل فرارهم على: أنهم لم يكونوا كذلك،ه.

۱- مسند أحمد ج ۴ ص ۳۳۶ و صحيح البخارى (ط محمد على صبيح بمصر) ج ۸ ص ۱۶۱ و عمده القارى ج ۱ ص ۱۴۴ و المعجم الأوسط ج ۱ ص ۱۰۳ و كنز العمال ج ۱۲ ص ۶۰۰ و تفسير القرآن العظيم ج ۲ ص ۳۵۶ و ج ۳ ص ۴۷۶ و تاريخ دمشق ج ۱۹ ص ۸۷ و فتح البارى ج ۱ ص ۵۶ و راجع: المستدرك للحاكم النيسابورى ج ۳ ص ۴۵۶ و الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ۲ ص ۱۹.

۲- الآيه ۲۴ من سوره التوبه.

فالمعیار لکسب رضا اللّه تعالی، و نیل محبته و محبه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)؛ هو العمل الصالح، و الجهاد، و التضحیه، و لا تکفی الدعاوی العریضه، و العجیج، و الضجیج فی الرخاء، ثم الهرب فی ساحات الجهاد، و الحاجه إلی التضحیه و الفداء ..

التزویر الرخیص .. تصرف و حذف:

و فی بعض الروایات جاءت العباره هکذا: فقال (صلی اللّه علیه و آله) لأعطین الرایه غدا رجلا یحبه اللّه و رسوله، أو قال: یحب اللّه و رسوله (۱).

و بعضها اکتفی بذکر الفقره الثانیه و هی قوله (صلی اللّه علیه و آله):

یحب اللّه و رسوله (۲).۲.

۱- صحیح البخاری (ط محمد علی صبیح) ج ۵ ص ۱۷۱ و ۲۳ و الخصائص للنسائی (طبعه التقدم بمصر) ص ۷.

۲- منتخب کنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ۴ ص ۱۳۰ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۲۳ و الإصابه ج ۲ ص ۵۰۲ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۱۸۴ و راجع: الریاض النضره (ط محمد أمین بمصر) ج ۲ ص ۱۸۸ و الخصائص الکبری ج ۱ ص ۲۵۲ و ۲۵۳ و مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۱۰۸ و جامع الأصول ج ۹ ص ۴۷۲ و الإکتفاء (ط مکتبه الخانجی) ج ۲ ص ۲۵۸ و تذکره الخواص ص ۲۵ و سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۴ و مسند أحمد ج ۱ ص ۳۳۱ و ج ۲ ص ۳۸۴ و ج ۴ ص ۵۴ و لسان العرب ج ۱۴ ص ۳۵۲ و مسند الطیالسی ص ۳۲۰ و سنن ابن ماجه (ط مکتبه التازیه بمصر) ج ۱ ص ۵۶ و السیره النبویه لابن هشام (ط المکتبه الخیریه بمصر) ج ۳ ص ۱۷۵ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۷ و الخصائص للنسائی (ط مکتبه التقدم بمصر) ص ۳۲ و ۴ و ۸ و ۷ و حلیه الأولیاء ج ۴ ص ۳۵۶ و ج ۱ ص ۶۲.

و بعضها اقتصر على الفقره الأولى (۱). و هى قوله: يحب اللّه و رسوله.

و نقول:

إن هؤلاء ما فتئوا يسعون إلى الانتقاص من على (عليه السلام)، و إخفاء فضائله بكل حيله و وسيله، و قد بدأت هذه السياسات منذ الصدر الأول، فقد أخفى أعداؤه (عليه السلام) فضائله حسدا، و أخفاها محبوه و أولياؤه خوفا، و ظهر من بين هذين ما ملأ الخافقين ..

و علينا فى مثل هذه الموارد التى تغيظ حساد على (عليه السلام) و مناوئيه، أن نتوقع ظهور حسيكه النفاق، و أن يتجلى الحقد الأعمى بصوره يصعب التستر عليها .. و هكذا كان، فإنهم حاولوا حتى إنكار قتله (عليه السلام) لمرحب، و نسبوه لمحمد بن مسلمه كما سيأتى بيانه إن شاء اللّه ..

و نسبوا قتل سائر الفرسان إلى أبى دجانه تاره، و إلى الزبير أخرى ..

و لكن اللّه يأبى إلا أن يتم نوره، و لو كره الشانئون و الحاقدون .. فإن فضائل على (عليه السلام) و كراماته قد ظهرت فى أصح الكتب عند شيعته، و عند غيرهم أيضا، و أسفر الصبح لذى عينين.

أقوال النبى صلّى اللّه عليه و آله فى المصادر و المراجع:

و فى جميع الأحوال نقول:

قد ذكرت الروايات: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قال فى خيبر بعد فرار المهاجرين و الأنصار:۳.

۱- المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۵۳.

لأعطین الرایه غدا رجلا یحب اللّه و رسوله، و یحبه اللّه و رسوله (۱).۸۸

۱- تاریخ بغداد ج ۸ ص ۵ و مسند أحمد ج ۱ ص ۹۹ و ۱۸۵ و ج ۵ ص ۳۳۳ و ۳۵۳ و ۳۵۸ و صحیح البخاری (ط محمد علی صبیح بمصر) ج ۵ ص ۱۷۱ و تاریخ البخاری ج ۱ ق ۲ ص ۱۱۵ و ج ۴ ص ۱۱۵ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۱۸۴ فما بعدها، و صحیح مسلم ج ۷ ص ۱۲۱ و ۱۲۰ و ج ۵ ص ۱۹۵ و تـذکره الخواص ص ۲۴ و ۲۵ و الکامل فی التاریـخ (ط دار صادر) ج ۲ ص ۲۱۹ و ۲۲۰ و أسـد الغابه ج ۴ ص ۲۵ و ۲۸ و ذخائر العقبی (ط مکتبه القدسـی) ص ۷۴ و سـنن ابن ماجه (ط مکتبه التازیه بمصر) ج ۱ ص ۵۶ و الجامع الصحیح للترمذی ج ۵ ص ۶۳۸ و الخصائص للنسائی (ط مکتبه التقدم بمصر) ص ۴ و ۵ و ۳۲ و ۶ و ۷ و ۸ و منتخب کنز العمال ج ۵ ص ۴۴ و ۴۸ و ج ۴ ص ۱۳۰ و ۱۲۷ و ۱۲۸ و الصواعق المحرقه (ط المکتبه المیمنیه بمصر) ص ۷۴ و المنـاقب المرتضـویه (ط بمـبی) ص ۱۵۸ و مـدارج النبوه للـدهلوی ص ۳۲۳ و مجمـع الزوائـد ج ۹ ص ۱۲۳ و حیاه الحیوان (مطبعه الشرفیه) ج ۱ ص ۲۳۷ و مشـکاه المصابیح (ط دهلی) ص ۵۶۴ و الإصابه ج ۲ ص ۵۰۲ و الفصول المهمه لابن الصباغ ص ۱۹ و الخصـائص الکبری ج ۱ ص ۲۵۱ و تاریخ الخلفاء (مطبعه السـعاده بمصـر) ص ۱۶۸ و نور الأبصـار ص ۸۱ و إسـعاف الراغبین (بهـامش نور الأبصار) ص ۱۶۹ و تـاج العروس ج ۷ ص ۱۳۳ و ینـابیع الموده (ط بمـبی) ص ۴۱ و الطبقات الکبری لابن سـعد (مطبعه الثقافه الإسلامیه) ج ۳ ص ۱۵۶ و ۱۵۷ و مشارق الأنوار للصـغانی (ط مکتبه الأستانه) ج ۲ ص ۲۹۲ و کفـایه الطالب (ط الغری) ص ۱۳۰ و حلیه الأولیـاء ج ۱ ص ۶۲ و العقد الفرید (ط مکتبه الجمالیه بمصـر) ج ۳ ص ۹۴ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۳ ص ۳۰ و مناقب الإمام علی لابن المغازلی (ط المکتبه الإسـلامیه) ص ۱۷۶ و مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۳۸ و ۱۳۲ و ۴۳۷ و الشـفاء (ط مصر) ج ۱ ص ۲۷۲ و الریاض النضـره (ط محمد أمین بمصر) ج ۱ ص ۱۸۴- ۱۸۸ و ج ۲ ص ۱۸۸

لیس بفرار (۱)

أو کرار غیر فرار (۲).

لا یرجع حتی یفتح اللّه علیه (۳).۰.

۱- مسند أحمد ج ۱ ص ۱۳۳ و الخصائص للنسائی (ط مکتبه التقدم بمصر) ص ۵ و السیره النبویه لابن هشام (ط مکتبه الخیریه بمصر) ج ۳ ص ۱۷۵ و حلیه الأولیاء ج ۱ ص ۶۲ و الإستیعاب (مع الإصابه) ج ۳ ص ۳۶۶ و کفایه الطالب (ط الغری) ص ۱۳۰ و منتخب کنز العمال (بهامش المسند) ج ۵ ص ۴۸ و ج ۴ ص ۱۲۷ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۱۸۴ و ۱۸۵ فما بعدها، و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۵۳ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۲۳ و البحار ج ۲۱ ص ۲۰ عن الخصال ج ۲ ص ۱۲۰ و ۱۲۴.

۲- مسند أحمد ج ۵ ص ۳۵۳ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۴۸ و البحار ج ۲۱ ص ۲۸ و ۲۱ عن الخرایج و الجرایح و عن إعلام الوری ص ۱۰۷ و منتخب کنز العمال (بهامش المسند) ج ۵ ص ۴۸ و المناقب المرتضویه (ط بمبی) ص ۱۵۸ و معارج النبوه ص ۲۱۹ و الریاض النضره (ط محمد أمین بمصر) ج ۱ ص ۱۸۵ و ۱۸۷.

۳- المعجم الصغیر (ط دهلی) ص ۱۶۳ و مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۳۸ و المغازی ج ۲ ص ۶۵۳ و البحار ج ۲۱ ص ۲۸ و ۲۱ و ۲۰ عن الخرایج و الجرایح و عن إعلام الوری ص ۱۰۷ و عن الخصال ج ۲ ص ۱۲۰.

يفتح اللّه على يديه (۱).

أو قال: لا يولى الدبر، يفتح اللّه عليه (۲).

فاستشرف لها الناس، فبعث عليا (۳).۳.

۱- تاريخ الخميس ج ۲ ص ۴۸ و مصادر أخرى.
۲- المستدرک للحاکم ج ۳ ص ۳۸ و المعجم الصغير (ط دهلى) ص ۱۶۳ و تاريخ بغداد ج ۸ ص ۵ و السنن الکبرى ج ۹ ص ۱۰۷ و الإستيعاب (مع الإصابه) ج ۳ ص ۳۶۶ و کفايه الطالب (ط الغرى) ص ۱۳۰ و تذکره الخواص ص ۲۴ و منتخب کنز العمال (بهامش المسند) ج ۵ ص ۴۸ و ج ۴ ص ۱۳۰ و الصواعق المحرقه (ط المکتبه الميمنيه بمصر) ص ۷۴ و مشکاه المصابيح (ط دهلى) ص ۵۶۴ و الإصابه ج ۲ ص ۵۰۲ و البدايه و النهايه ج ۴ ص ۱۸۴ و ۱۸۵ فما بعدها و ذخائر العقبى (ط مکتبه القدسى) ص ۴ و لباب التأويل ج ۴ ص ۱۸۲ و ۱۸۳ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۲۳ و معارج النبوه ص ۲۱۹ و الخصائص الکبرى ج ۱ ص ۲۵۱ و ۲۵۲ و تاريخ الخلفاء (ط مکتبه السعاده بمصر) ص ۱۶۸ و نور الأبصار ص ۸۱ و إسعاف الراغبين بهامشه ص ۱۶۹ و تاج العروس ج ۷ ص ۱۳۳ و ينابيع الموده (ط بمبى) ص ۴۱.
۳- مسند أحمد ج ۱ ص ۱۳۳ و راجع: تاريخ البخارى (ط حيدر آباد الدکن) ج ۱ ق ۲ ص ۱۱۵ و صحيح مسلم ج ۷ ص ۱۲۰ و سنن ابن ماجه (ط المکتبه التازيه بمصر) ج ۱ ص ۵۶ و الجامع الصحيح ج ۵ ص ۶۳۸ و الخصائص للنسائى (ط مکتبه التقدم بمصر) ص ۴ و المستدرک للحاکم ج ۳ ص ۴۳۷ و منتخب کنز العمال (بهامش المسند) ج ۴ ص ۱۲۷ و البدايه و النهايه ج ۴ ص ۱۸۴ و ۱۸۵ فما بعدها و راجع: الرياض النضره (ط محمد أمين بمصر) ج ۱ ص ۱۸۴- ۱۸۸ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۲۳.

أو فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يعطاها (۱).

و فی الیوم التالی غدا الناس علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) كلهم يرجو أن يعطاها (۲).

و عند الراوندی: فتطاول جمیع المهاجرین و الأنصار، فقالوا: أما علی فهو لا یبصر شیئا، لا سهلا و لا جبلا (۳).ح.

۱- صحیح البخاری (ط محمد علی صبیح بمصر) ج ۵ ص ۱۷۱ و صحیح مسلم ج ۷ ص ۱۲۱ و مسند أحمد ج ۵ ص ۳۳۳ و تاج العروس ج ۷ ص ۱۳۳ و ینابیع الموده (ط بمبی) ص ۴۱ فما بعدها و دلائل النبوه للبیهقی ج ۴ ص ۲۰۵ و حلیه الأولیاء ج ۱ ص ۶۲ و السنن الكبری ج ۹ ص ۱۰۷ و جامع الأصول ج ۹ ص ۴۷۲ و تذكره الخواص ص ۲۴ و أسد الغابه ج ۴ ص ۲۲ و الصواعق المحرقه (ط المیمنیه بمصر) ص ۷۴ و الفصول المهمه لابن الصباغ ص ۱۹ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۱۸۴ و سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۴ و مسند الطیالسی ص ۳۲۰ و الخصائص الكبری ج ۱ ص ۲۵۱ و ۲۵۲ و ذخائر العقبی (ط مكتبه القدسی) ص ۷۴ و الریاض النضره (ط محمد أمین بمصر) ج ۱ ص ۱۸۴- ۱۸۸ و تاریخ الخلفاء (ط مكتبه السعاده بمصر) ص ۱۶۸ و إسعاف الراغبین (بهامش نور الأبصار) ۱۶۹ و نور الأبصار ص ۸۱.

۲- صحیح البخاری (ط محمد علی صبیح بمصر) ج ۵ ص ۱۷۱ و صحیح مسلم ج ۷ ص ۱۲۱ و مسند أحمد ج ۵ ص ۳۳۳ و مشكاه المصابیح (ط دهلی) ص ۵۶۴ و الإصابه ج ۲ ص ۵۰۲ و ذخائر العقبی (ط مكتبه القدسی) ص ۷۴ و الخصائص للنسائی ص ۶ و مصابیح السنه (ط مكتبه الخیریه بمصر) ج ۲ ص ۲۰۱ و تذكره الخواص ص ۲۴ و الصواعق المحرقه (ط المكتبه المیمنیه بمصر) ص ۷۴.

۳- البحار ج ۲۱ عن الخرایج و الجرایح.

و عند الطبری: فتطاولت لها قریش و رجال، کل واحد منهم یرجو أن یکون هو صاحب ذلک (۱).

و فی نص آخر: تطاول لها أبو بکر و عمر (۲).

ابن الصباغ ینقل عن صحیح مسلم:

قال ابن الصباغ: (و فی صحیح مسلم: قال عمر بن الخطاب: فما أحببت الإماره إلا یومئذ، فتساورت لها، و حرصت علیها حتی أبدیت وجهی، و تصدیت لذلک لیتذکرنی ..

ثم قال: قالوا: و إنما کانت محبه عمر لما دلت علیه من محبته اللّه و رسوله، و محبتهما له، و الفتح) (۳).

و نقول:

إن سائر الروایات قد اقتصرت علی القول: بأن عمر قال: ما أحببت۹.

۱- تاریخ الأمم و الملوک ج ۳ ص ۳۰ و السنن الکبری للبیهقی ج ۹ ص ۱۰۷ و الکامل فی التاریخ (ط دار صادر) ج ۲ ص ۲۱۹ و راجع: منتخب کنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ۴ ص ۱۲۸ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۱۸۵ فما بعدها و الریاض النضره (ط محمد أمین بمصر) ج ۱ ص ۱۸۴- ۱۸۸ و الخصائص الکبری ج ۱ ص ۲۵۱ و ۲۵۲ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۴۸.

۲- راجع: منتخب کنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ۴ ص ۱۲۸ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۴۸.

۳- الفصول المهمه لابن الصباغ ص ۳۸ و کتاب الأربعین للماحوزی ص ۱۸۱ و ۱۸۹.

الإماره إلا يومئذ.

قال: فتساورت لها، رجاء أن أدعى لها (۱).

فدعا عليا فأعطاه إياها، و قال: امش، و لا تلتفت.

فصرخ: يا رسول اللّه، على ماذا أقاتل الناس؟!

قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه، و أن محمدا رسول اللّه.

فإذا فعلوا ذلک فقد منعوا منک دماءهم و مالهم إلا بحقها، و حسابهم على اللّه (۲).۲۰

۱- صحیح مسلم (ط محمد علی صبیح) ج ۷ ص ۱۲۱ و مسند الطیالسی ص ۳۲۰ و التاج الجامع للأصول ج ۳ ص ۳۲۶ و مسند أحمد ج ۲ ص ۳۸۴ و عن صحیح البخاری ج ۷ ص ۵۴۴ (۴۲۰۹ و ۴۲۱۰) و الخصائص الکبری ج ۱ ص ۲۵۱ و ۲۵۲ و خصائص علی بن أبی طالب للنسائی ص ۷ و الطبقات لابن سعد (ط دار الثقافه الإسلامیه مصر) ج ۳ ص ۱۵۶ و معارج النبوه ص ۲۱۹ و راجع: سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۴ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۴ ص ۲۰۵ و جامع الأصول ج ۹ ص ۴۷۲ و تذکره الخواص ص ۲۴ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۱۸۴ و ۱۸۵ و ذخائر العقبی (ط مکتبه القدسی) ص ۷۴ و ۷۵ و الریاض النضره (ط محمد أمین بمصر) ج ۱ ص ۱۸۴- ۱۸۸ و النهایه لابن الأثیر ج ۲ ص ۴۲۰ و ینابیع الموده ج ۱ ص ۱۵۴ و البحار ج ۳۹ ص ۱۲ و ۱۳ و شرح صحیح مسلم للنووی ج ۱۵ ص ۱۷۶ و الدیباج علی مسلم ج ۵ ص ۳۸۷ و ریاض الصالحین للنووی ص ۱۰۸ و الجوهره فی نسب علی بن أبی طالب و ولده ص ۶۸ و شرح أصول الکافی للمازندرانی ج ۶ ص ۱۳۶ و ج ۱۲ ص ۴۹۴ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۴۸.

۲- صحیح مسلم (ط محمد علی صبیح) ج ۷ ص ۱۲۱ و مسند الطیالسی ص ۳۲۰

فهل کانت لدی ابن الصباغ نسخه من صحیح مسلم تختلف عن النسخه التی وصلت إلینا ..

أم أن أحدا قد کتب فی هامش نسخته توضیحا لکلام عمر، فظنه ابن الصباغ جزءا من الروایه، فأدرجه فیها ..

أو أن ابن الصباغ نفسه قد شرح کلمه عمر بالنحو المتقدم، لکن نساخ کلامه قد أسقطوا (کلمه).

أی أن کل ذلک محتمل و یؤید هذا الاحتمال الأخیر: أن الماحوزی نقل کلام ابن الصباغ بإضافه ما یدل علی أنه بصدد توضیح کلام عمر فراجع (۱).

۳- کرار غیر فرار:

و إذا أردنا العوده إلی شرح کلمات رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لعلی فی خیبر، فإننا نقول:

إنه (صلی اللّه علیه و آله) لا یکتفی بالإشاره إلی فرار هؤلاء الناس، بل هو یتحدث عن أنهم کثیرو الفرار، حتی کأن هذا الأمر قد أصبح عاده لهم، فی حین أن علیا (علیه السلام) لیس بفرار، بل هو کثیر الکر، حتی أصبح۹.

۱- کتاب الأربعین للماحوزی ص ۱۸۱ و ۱۸۹.

ذلک عاده له أیضا ..

۴- لا یولی الدبر:

ثم أکد ذلک بقوله: لا یولی الدبر، مستفیدا من تعبیر یؤکد شعور السامع بالنفره من عملهم هذا.

۵- لا یرجع حتی یفتح اللّه علیه:

ثم یزید (صلی اللّه علیه و آله) فی توضیح ما یرمی إلیه، بقوله: لا یرجع .. أی کما رجع أولئک، حتی یفتح اللّه سبحانه علیه، لأن الفتح کرامه إلهیه، و لطف ربانی، یختص اللّه به من هو أهل للکرامه، و مستحق للطف ..

و هو ذلک الـذی یحب اللّه و رسوله، و یحبه اللّه و رسوله، فإنه (صـلی اللّه علیه و آله) قـد مهد تلک المقدمات لینتهی إلی هذه النتیجه، بصوره عفویه و طبیعیه.

فکأنها من القضایا التی تکون قیاساتها معها ..

۶- لا یخزیه اللّه أبدا:

و ورد فی بعض النصوص قوله (صـلی اللّه علیه و آله): لأبعثن رجلا لا یخزیه اللّه أبـدا، أی إنه (صـلی اللّه علیه و آله) قـد تقـدم خطوه أخری فی سیاق الإعلاـن عن قبـح الفرار الـذی حصل، لیـدلنا ذلک علی أنه لا یمکن المرور عن هـذا الأمر مرور الکرام، لشـده خطورته، و عمیق تأثیره، مما یعنی بقاء تبعاته و آثاره تلاحق الـذین صـدر منهم ذلک، و تلقی بکلاکلها علی سـمعتهم، و علی موقعهم. و ذلک حین ألمح علی سبیل التعریض الذی هو

أبلغ من التصريح إلى أن الفرار من موجبات الذل، و المهانه، و الخزى، الذى هو أشر أنواع السقوط.

و لتلاحظ: كلمه أبـدا أيضا فى كلامه (صـلى اللّه عليه و آله)، فإنها قـد جاءت لتفيـد المزيـد من التأكيد على براءه و نزاهه ذلك المبعوث من هذا الأمر الشنيع.

حتى أنت يا عمر؟!:

و قد روى: أن عمر لما سمع النبى (صلى اللّه عليه و آله) يقول: لأعطين الرايه غدا رجلا يحب اللّه و رسوله، و يحبه اللّه و رسوله، كرارا غير فرار، قال: ما أحببت الإماره إلا ذلك اليوم (۱).ن.

۱- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۵ و راجع: شرح أصول الكافى ج ۶ ص ۱۳۶ و ۱۳۷ و ۴۹۴ و مناقب أمير المؤمنين ج ۲ ص ۵۰۳ و أمالى الطوسى ص ۳۸۰ و العمده ص ۱۴۴ و ۱۴۹ و الطرائف لابن طاووس ص ۵۹ و البحار ج ۲۱ ص ۲۷ و ج ۳۹ ص ۱۰ و ۱۲ و كتـاب الأـربعين للماحوزى ص ۲۹۰ و مقـام الإمام على للعسـكرى ص ۳۰ و ۴۲ و مسـتدرك سـفينه البحار ج ۸ ص ۲۲۹ و أضواء على الصحيحين ص ۴۳۲ و عن صحيح مسلم ج ۷ ص ۱۲۱ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۴۷ و ۳۶۵ و السنن الكبرى للنسائى ج ۵ ص ۱۱ و ۱۸۰ و عن خصائص أمير المؤمنين للنسائى ص ۵۷ و رياض الصالحين للنووى ص ۱۰۸ و عن تفسير ابن كثير ج ۱ ص ۳۷۷ و تاريخ مدينه دمشق ج ۲۵ ص ۴۵۹ و ج ۴۲ ص ۸۳ و ۸۴ و عن الإصابه ج ۴ ص ۴۶۶ و عن البدايه و النهايه لابن كثير ج ۷ ص ۳۷۲ و عن السـيره النبويه لابن هشام ج ۲ ص ۴۲۲ و عن عيون الأـثر ج ۱ ص ۲۹۱ و نشأه التشيع ص ۱۲۰ و عن التاج الجامع للأصول ج ۳ ص ۳۳۱ و رواه الشيخان.

و نقول:

۱- الظاهر هو: أنه قد ذكر ذلك عن نفسه ليقول للناس: إنه لم يكن من طلاب الدنيا فما جرى بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إنما كان لأجل الحفاظ على الإسلام، و على أهله ..

۲- إن عمر قد فهم من الأوصاف التى أوردها النبى (صلى اللّه عليه و آله): أنه يقصد ترشيح صاحب تلك الأوصاف لما هو أعظم من قياده الجيش و من أخذ الرايه يوم خيبر.

فهو يريد أن يقول:

إن الذى يفتح اللّه على يديه، و يحب اللّه و رسوله، هو الذى يصلح لحمل الأمانه من بعده، و هو سيد العرب كما تقدم.

أما من عداه فليس له الحق؛ لأنه لا يؤمن على ذلك.

فكأن عمر أراد أن يظهر: أن هذه الميزات كانت موجوده فيه، و لذلك رشح نفسه للإماره، و صار يتعرض لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

۳- إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان قد منح أبا بكر و عمر، كلا على حده فرصه للفوز بالفتح، و تحقيق النصر العظيم، فضيعاها. و رجعا منهزمين.

بل ورد: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد منح الفرصه لعمر مرتين، فما معنى تجدد حب الإماره لدى عمر، بعد أن أعلن النبى (صلى اللّه عليه و آله): أنه سيعطى الرايه رجلا يحب اللّه و رسوله، و يحبه اللّه و رسوله؟!

فقد يقال: إن ذلك جاء بدافع الحسد المذموم ..

و قد يقال: إن هذا الأمر قد جاء نتيجه الإحساس بأنه بعد فراره هو

و صاحبه قد أصبحا فی موضع التهمه، و أن علیه أن یستعید شیئا من ماء الوجه، مع علمه بمقصود النبی (صلی اللّه علیه و آله)، فعرض نفسه لذلک، و طلب الرایه لنفسه، مع یقینه بأنه لن یختاره، هو و لا غیره من الفارین، فإن المؤمن لا یلدغ من جحر مرتین، و لا یصح، و لا یفید تجریب المجرب، إلا من السفیه، و غیر المتوازن. و حاشا رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أن یکون کذلک.

۴- إن المفروض: أن یکون نفس کلام النبی (صلی اللّه علیه و آله) مانعا لعمر، و لغیره ممن هم مثله من التصدی للرایه، و لا یجوز لهم بمقتضاه أن یطلبوها من جدید، إذ إن الکرار غیر الفرار، هو ذلک الذی کان من عادته الکر، دون الفر، و قد ظهر عملیا أنه لیس کذلک، فما معنی صدور هذا التمنی منه، و ما معنی أن یتطاول لها؟. و ما معنی رجاءه أن یدعی لها؟

ثم أن یبادر إلی طلبها؟!

۵- إن عمر یقول: إنه لم یتمن الإماره إلا یومئذ، مع أنه هو نفسه یقر و یقسم علی أنه قد تمنی هذا الأمر مره أخری، و ذلک عند ما جاء وفد ثقیف إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فقال لهم النبی (صلی اللّه علیه و آله):

لتسلمن، أو لأبعثن إلیکم رجلا منی، و فی روایه: مثل نفسی، فلیضربن أعناقکم، و لیسبین ذراریکم، و لیأخذن أموالکم (۱).ین

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۵ و راجع: الطرائف لابن طاووس ص ۶۵ و البحار ج ۳۸ ص ۳۲۵ و ج ۴۰ ص ۸۰ و المناقب للخوارزمی ص ۱۳۶ و نهج الإیمان لابن جبر ص ۴۸۱ و العدد القویه للحلی ص ۲۵۰ و جواهر المطالب لابن الدمشقی ج ۱ ص ۶۰ و فی الهامش روی الحدیث فی أواسط ترجمه أمیر المؤمنین

قال عمر: فو اللّه، ما تمنيت الإماره إلا يومئذ، و جعلت أنصب صدرى له، رجاء أن يقول: هو هذا.

فالتفت (صلى اللّه عليه و آله) إلى على (عليه السلام)، و قال: هو هذا، هو هذا.

فعمر يقول هنا: ما تمنيت الإماره إلا يومئذ.

و فى غزوه خيبر يقول: ما تمنيت الإماره، إلا ذلك اليوم .. فأيهما هو الصحيح؟! ..

أم أنه قد تمنى الإماره فى كلا الموردين؟!

هذا كله .. عدا عن السؤال الذى يطرح نفسه، و هو: أنه حين هاجم بيت الزهراء (عليها السلام)، بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و اعتدى عليها بالضرب، و تسبب فى إسقاط جنينها المحسن، و فى استشهادها (عليها السلام)، ألم يكن ذلك منه حبا بالإماره، و طلبا لها، و إزهاقا لأرواح أقدس الخلق من أجلها؟!

و كيف نفسر قول أمير المؤمنين (عليه السلام) له حينئذ: احلب حلبا لك شطره؟! (۱).۸۸

۱- راجع: الإحتجاج ج ۱ ص ۹۶ و الصراط المستقيم ج ۲ ص ۲۲۵ و ج ۳ ص ۱۱ و ۱۱۱ و كتاب الأربعين للشيرازى ص ۱۷۳ و البحار ج ۲۸ ص ۲۸۵ و ۳۸۸

و قوله (علیه السلام) عنه، و عن أبی بکر: لشد ما تشطرا ضرعیها؟! (۱).

و غیر ذلک ..

مقارنه ذات مغزی:

و علینـا أن نتأمـل کثیرا فی موقف عمر الآـنف الـذکر، حیث تمنی الإمـاره فی خیبر تاره، و فی ثقیف أخری .. و بین موقف أمیر المؤمنین (علیه السـلام)، فإنه لما بلغه ما قاله النبی (صـلی اللّه علیه و آله)، عن الـذی سوف یعطیه الرایه، قال: (اللهم لا معطی لما منعت، و لا مانع لما أعطیت ..) (۲).۴.

۱- نهج البلاغه (الخطبه الشقشـقیه) ج ۱ ص ۳۳ و رسائل المرتضـی ج ۲ ص ۱۰۹ و الإحتجاج ج ۱ ص ۲۸۴ و کتاب الأربعین للشیرازی ص ۱۶۷ و حلیه الأبرار ج ۲ ص ۲۹۰ و مناقب أهل البیت للشیروانی ص ۴۵۷ و النص و الإجتهاد ص ۲۵ و الغدیر ج ۷ ص ۸۱ و ج ۱۰ ص ۲۵ و المعیار و الموازنه لابن الإسـکافی ص ۴۶ و شـرح النهج للمعتزلی ج ۱ ص ۱۶۲ و ۱۷۰ و الدرجات الرفیعه ص ۳۴ و بیت الأحزان ص ۸۹ و حیاه الإمام الحسین للقرشی ج ۱ ص ۲۸۲ و شرح شافیه ابن الحاجب للأستر آبادی ج ۱ ص ۷۸.

۲- البحار ج ۲۱ ص ۲۱ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۴۸ و إعلام الوری ج ۱ ص ۲۰۷ و قصص الأنبیاء للراوندی ص ۳۴۴.

فهو (علیه السلام) یعتبر: أن ذلک کرامه إلهیه، یختص اللّه تعالی بها من یشاء.

أما بالنسبه لتمنیات عمر، فنقول:

ألف: إن کان یقصد بأنه أحب الإماره، طمعا منه فی ملاقاه العدو، فیرد علیه:

أولا: إن النبی (صلی اللّه علیه و آله) کان قبل ذلک قد نهی عن لقاء العدو، و قال: لا تتمنوا لقاء العدو (۱). فما معنی أن یخالف عمر هذا النهی۴.

۱- قد تقدم الکلام حول هذه الفقره فی فصل سابق و راجع: المعجم الصغیر (ط دهلی) ص ۱۶۳ و المستدرک علی الصحیحین ج ۳ ص ۳۸ و تنویر الحوالک ص ۶۴۴ و المحلی لابن حزم ج ۷ ص ۲۹۳ و فقه السنه للسید سابق ج ۲ ص ۶۴۸ و مکاتیب الرسول ج ۱ ص ۴۴۰ و سنن الدارمی ج ۲ ص ۲۱۶ و عن صحیح البخاری ج ۴ ص ۹ و عن صحیح مسلم ج ۵ ص ۱۴۳ و عن سنن أبی داود ج ۱ ص ۵۹۲ و المستدرک للحاکم ج ۲ ص ۷۸ و السنن الکبری للبیهقی ج ۹ ص ۷۶ و شرح مسلم للنووی ج ۱۲ ص ۴۵ و ج ۱۴ ص ۲۰۷ و عن فتح الباری ج ۱۰ ص ۱۶۰ و المصنف للصنعانی ج ۵ ص ۲۴۸ و ۲۴۹ و ۲۵۰ و السنن الکبری للنسائی ج ۵ ص ۱۸۹ و مسند أبی یعلی الموصلی ج ۲ ص ۱۵۱ و مسند ابن أبی أوفی ص ۱۱۷ و الکافی فی علم الروایه للخطیب البغدادی ص ۳۷۳ و الأذکار النوویه ص ۲۰۹ و ۲۱۰ و ریاض الصالحین للنووی ص ۸۶ و ۵۳۴ و ۵۴۰ و الجامع الصغیر ج ۲ ص ۷۲۹ و کنز العمال ج ۴ ص ۲۹۱ و ۳۶۱ و فیض القدیر ج ۶ ص ۵۰۴ و کشف الخفاء ج ۲ ص ۳۴۹ و ۳۵۹ و إرواء الغلیل ج ۵ ص ۷ و تفسیر الثوری ص ۱۱۹ و عن تفسیر القرآن العظیم ج ۱ ص ۴۱۷ و ج ۲ ص ۳۲۸ و الجامع لأحکام القرآن ج ۳ ص ۲۳۳ و ۲۴۵ و عن الدر المنثور ج ۳ ص ۱۸۹ و تفسیر الثعالبی ج ۱ ص ۴۸۹ و سیر أعلام النبلاء ج ۶ ص ۷ و سبل الهدی و الرشاد ج ۴ ص ۳۸۳ و ج ۵ ص ۱۲۰ و ج ۹ ص ۱۱۴.

من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؟!

ثانيا: إنه قد جرب حظه مرتين، و مع هذا العدو بالذات، و لم يتغير شى ء بين الأمس و اليوم.

ب: و إن كان قد تمنى و تطاول إلى الحصول على الإماره، لما دلت عليه من محبه اللّه و رسوله، و حصول الفتح، فهو أعجب، و أعجب. فإن كل الناس يعرفون- و عمر بن الخطاب منهم-: أن فى جهاد العدو رضا اللّه و رسوله.

و أن محبه اللّه و رسوله لا تنال إلا بالعمل الصالح، و الطاعه و الانقياد فى الحرب و السلم، و السراء و الضراء، و هو عارف بنفسه إن كان قد أطاع اللّه و رسوله، و لبى نداء الواجب فى جهاد العدو أم أنه لم يقم بذلك. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ۱۷ ۲۷۲ سعادتهم برمد على عليه السلام: ..... ص : ۲۷۲ لقد أظهرت النصوص المختلفه: أن قريشا و المتأثرين بمنهجها، و التابعين لها، كانوا سعداء بابتعاد على (عليه السلام) عن الساحه، و لعلهم ظنوا: أن كل الدور سيكون لهم، و أن الانتصارات و الإنجازات ستحقق على أيديهم، و أن جميع الأوسمه، ستكون من نصيبهم ..

و هذا أول الغيث، فإنه (صلى اللّه عليه و آله) يعلن عن و سام جديد و هو: أنه سيعطى الرايه رجلا يحب اللّه و رسوله و يحبه اللّه و رسوله، كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح اللّه عليه ..

و فى جميع الأحوال نقول:

إنه بعد أن قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): لأعطين الرايه غدا الخ .. غدت قريش يقول بعضهم لبعض:

(أما على فقد كفيتموه، فإنه أرمد لا يبصر موضع قدمه) (۱).

غير أن عليا (عليه السلام) لما سمع مقاله رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قال: (اللهم لا معطى لما منعت، و لا مانع لما أعطيت).

و ربما يكون قد دار فى خلدهم: أن هذه الأوسمه تعطى جزافا، و أن وجود على (عليه السلام) بينهم كان هو العائق لهم عن نيلها .. و أن فرارهم السابق لا يضر، فلعل الجيش الذى سوف يقودونه سيجد الفرصه لتحقيق النصر أو لعل بعضهم قد ظن أن هذا الفتح- الذى وعدهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)- سيكون سهلا؛ لأنه وعد تضمن الإشاره إلى التدخل الإلهى الذى يأتى بالفتح، فلا تعب و لا نصب، بل هى معجزه يظهرها اللّه تعالى، و ينتهى الأمر .. و هم أهل لأن يظهر اللّه سبحانه المعجزات لمصلحتهم و من أجلهم ..

و هذا سوف يعوضهم عن النكسه التى منى بها أحباؤهم، الذين هربوا بالرايه أكثر من مره فى هذه الحرب.

و لعل فيهم أيضا من احتمل أن يكون لغضب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) تأثير على روحيات المقاتلين، الذين سوف يهاجمون الحصن بقوه و اندفاع، يوفر على حاملى الرايه جهدا، و يحقق لهم نصرا على أيدى غيرهم، و يظهر لهم فضلا يكون لهم بمثابه الغنيمه البارده التى يحلم بها الضعفاء، و الفرارون عاده ..٧.

۱- مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۳۱۹ و البحار ج ۲۱ ص ۲۱ عن ابن جرير و أبى إسحاق، و إعلام الورى ج ۱ ص ۲۰۷.

يضـاف إلى ذلـك: أن نفس هـذا التصـدى، و اسـتعراض العضـلات، ربمـا يسـهم فى تبرئه القاده الـذين فروا، و كان أصـحابهم يجبنونهم، و يجعل التهمه بالجبن و الفرار موجهه لغيرهم، أكثر مما هى موجهه إليهم.

و الأهم من ذلك كله: أن أى رجل يأخـذ الرايه لسوف يكون له كل الفضل على الذين هربوا حتى لو كان هو واحدا منهم، و لا سيما بعد غضب الرسول (صلى اللّه عليه و آله)، و استيائه، و بعد ما قاله فى حقهم تصريحا تاره، و تلويحا أخرى.

كلهم يرجو أن يغطاها:

و لا نـدرى كيف يرجو أولئك الذين فروا بالرايه، مره بعد أخرى و ربما أكثر من ثلاث مرات، أن يعطيهم رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله) الرايه مره رابعه، أو خامسه؟!

فهل هم يحسبون أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا يملك موازين صحيحه؟

أم يظنون أنه شديد النسيان إلى هذا الحد؟

أم أنه يخضع لتأثيرات الهوى، و الميول، و العصبيات؟!

أم أنهم هم أنفسهم قد خولطوا فى عقولهم؟!

أم أنهم يظنون أن الرسول سوف يخصهم بمعجزه إلهيه، يستطيع هو أن يختار لها من أحب؟!

ثم إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، هو الذى يقول: لا يلدغ المؤمن

من جحر مرتین (۱)، فکیف یتوقع منه أبوبکر و عمر أن یعطیهما الرایه، و هما۱.

۱- راجع: مجمع الزوائد ج ۸ ص ۹۰ و مسند ابن راهویه ج ۱ ص ۳۹۵ و الأدب المفرد ص ۲۷۲ و منتخب مسند عبد بن حمید ص ۲۴۰ و الدیباج علی مسلم ج ۶ ص ۲۹۹ و عن فتح الباری ج ۱۰ ص ۴۳۹ و ۴۴۰ و صحیح ابن حبان ج ۲ ص ۴۳۸ و المعجم الکبیر ج ۲ ص ۲۲۲ و ج ۱۷ ص ۲۰ و المعجم الأوسط ج ۷ ص ۳۴ و ۸۳ و ج ۱ ص ۳۱ و مسند الشامیین ج ۱ ص ۱۶۱ و معرفه علوم الحدیث ص ۲۵۰ و مسند الشهاب ج ۲ ص ۳۴ و ریاض الصالحین ص ۷۱۱ و عن الجامع الصغیر ج ۲ ص ۷۵۸ و عن کنز العمال ج ۱ ص ۱۴۷ و ۱۶۶ و فیض القدیر ج ۶ ص ۵۸۸ و الفتوح لابن أعثم ج ۳ ص ۵۷ و سبل السلام للعسقلانی ج ۴ ص ۵۵ و مشکاه الأنوار للطبرسی ص ۵۵۱ و الصراط المستقیم ج ۱ ص ۱۱۴ و عن بحار الأنوار ج ۱۱۰ ص ۱۰ و عن مسند أحمد ج ۲ ص ۱۱۵ و سنن الدارمی ج ۲ ص ۳۱۹ و عن البخاری ج ۷ ص ۱۰۳ و عن مسلم ج ۸ ص ۲۲۷ و عن سنن أبی داود ج ۲ ص ۴۴۸ و سنن ابن ماجه ج ۲ ص ۱۳۱۸ و السنن الکبری للبیهقی ج ۶ ص ۳۲۰ و شرح النووی علی صحیح مسلم ج ۱۸ ص ۱۱۴ و سبل الهدی و الرشاد ج ۲ ص ۹۷ و قصص الأنبیاء للجزائری ص ۲۰۷ و کشف الخفاء ج ۲ ص ۱۸۵ و ۳۷۴ و ۳۷۵ و الأحکام لابن حزم ج ۷ ص ۹۶۸ و الضعفاء الکبیر للعقیلی ج ۱ ص ۷۴ و المجروحون لابن حبان ج ۱ ص ۴۰ و الکامل لابن عدی ج ۳ ص ۳۳۱ و ۴۴۴ و ج ۴ ص ۶۵ و العلل للدارقطنی ج ۹ ص ۱۰۹ و ۱۱۱ و تاریخ بغداد ج ۵ ص ۴۲۷ و تاریخ مدینه دمشق ج ۵۵ ص ۳۷۲ و سیر أعلام النبلاء ج ۵ ص ۳۴۰ و ۳۴۲ و الذریعه ج ۲۵ ص ۵۱ و تاریخ جرجان ص ۳۱۴ و البدایه و النهایه ج ۳ ص ۳۸۱ و ج ۴ ص ۵۳ و تنزیه الأنبیاء ص ۱۱۰ و نهج الإیمان لابن جبر ص ۵۴ و ۶۱۸ و الشفاء لعیاض ج ۱ ص ۸۰ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۲ ص ۴۸۶ و ج ۳ ص ۹۲ و عن عیون الأثر ج ۱ ص ۴۰۱.

لا يكادان يلتقطان أنفاسهما من عناء الهروب، الذى يريد النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن يعالج سلبياته و آثاره؟.

و كيف يتطاولان لها، و هما السبب فى اتخاذ النبى (صلى اللّه عليه و آله) هذا القرار الحاسم، و هو أن يعطى الرايه لكرار غير فرار؟!.

حتى قريش:

و الأغرب من ذلك أن يصرح المؤرخون: بأن قريشا هى التى تطاولت لهذا الأمر، و رجا كل واحد منهم أن يكون هو صاحب الرايه، فما هو المبرر لهذا الطموح القبائلى القرشى؟!

و متى كانت قريش- بما هى قبيله- مهتمه بأمر الجهاد و التضحيه و العطاء؟! فإننا لا ننكر: أن بعض أفرادها قد جاهد و ضحى، و لكنهم لم يكونوا أفضل من غيرهم فى ذلك ..

أم يظنون: أن يغلب الحس العشائرى على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فيخص عشيرته بالامتيازات، و لو لم تكن مستحقه لها؟!

لماذا الإعلان المسبق؟!

و قد لوحظ هنا أيضا: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد وعد الناس بأن يعطى الرايه فى اليوم التالى لرجل ذكره لهم بوصفه دون اسمه ..

مع أنه كان يمكنه (صلى اللّه عليه و آله): أن يسكت فى ذلك اليوم، ثم يطلب فى اليوم التالى حضور على (عليه السلام)، فيعطيه الرايه، و يمكن أن يطلق عليه تلك الأوصاف فى ساعه إرساله (عليه السلام) للقتال ..

و لكنه (صلى اللّه عليه و آله) أراد للناس أن يفكروا فى هذا الأمر، و أن

يطبقوه على هـذا تاره، و على ذاك أخرى .. و أن يتمناها الفرارون، و أن تشـرئب إليها الأعناق، فى الوقت الـذى كان لا يمر فى خيال الجميع أو فى و همهم حتى احتمال أن يكون المقصود هو على (عليه السـلام) لأن الجميع يعرفون أنه (عليه السـلام) يعانى من الرمد ما يعانى .. و لذلك لم يعطه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) الرايه فى أيام رمده، حتى أظهر اللّه تعالى ضعف و خور أولئك القوم، و عرف الناس حقيقتهم، و أنهم لم يكونوا أهلا لما يؤملونه، و ليسوا فى المواضع التى يضعون أنفسهم فيها.

و قـد اسـتقرت كلمـات النبى (صـلى اللّه عليه و آله)- فى وصف صـاحب الرايه- فى أنفسـهم، و طبقوهـا على الكثيرين منهم، و اسـتمرت الاحتمالاـت و المقارنات بين الأوصاف و بين ما ظهر من صـفات المـدّعين للمقامات طيله تلك الليله .. حتى تبين لهم فى اليوم التالى خطؤهم جميعا فى حساباتهم، و أن أحدا من الناس الذين فكروا فيهم لا يملك تلك الصفات.

و لو أنه (صـلى اللّه عليه و آله) أجّـل إطلاق كلماته تلك لليوم التالى فلربما لا يفكر أحـد بتلك الصـفات، و لا يقوم بأيه مقارنه تطبيقيه، بـل قـد يظن الكثيرون أنهـا مجرد مدائـح طـارئه، و أوسـمه يطلقهـا الرئيس على القاده عاده، لتشـجيع فرسانهم، و شـحذ عزائمهم، و قد لا تكون فضفاضه على أصحابها فى مجال التطبيق.

التدخل الإلهى:

و قـد أظهرت النصوص المتقدمه: أنه حين ظهر إحجام هؤلاء الناس عن القيام بواجبهم الشـرعى فى دفع العدو، تدخل اللّه تعالى لحفظ دينه

بصوره إعجازيه، و ذلک بشفاء علی (علیه السلام) من دون أن یؤثر ذلک علی خیار و اختیار أعدائه تعالی، أی أنه تعالی لم یحل بینهم و بین ما یریدون، و لم یشل حرکتهم، و لم یمنعهم من ممارسه حقهم الطبیعی، فلیس لهم أن یشعروا بأنهم قد ظلموا فی ذلک ..

کما أنه لم یقهر المسلمین و لا علیا (علیه السلام) علی التصدی للحرب، بل اکتفی بإزاله الموانع من طریق علی (علیه السلام) بشفاء عینیه، و أفسح المجال له لکی یختار، بعد أن أساء الآخرون الاختیار، فاختاروا الحیاه الدنیا، و أنفسهم، و أظهروا: أن أنفسهم أحب إلیهم من اللّه و رسوله ..

النبی صلّی اللّه علیه و آله یصنع المعجزه:

و شفاء عینی علی (علیه السلام) و إن کان معجزه صنعها رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لهم، و لکنها لم تکن المعجزه التی یتوقف علیها إقناع الناس بالنبوه. لأن معجزه النبوه هی القرآن الکریم.

و قد کان الناس مقتنعین بنبوته (صلی اللّه علیه و آله)، بالاستناد إلیها، أو إلی غیرها من موجبات ذلک ..

کما أن هذا الشفاء لم یأت ابتداء من اللّه تعالی لیظهر سبحانه فضل النبی (صلی اللّه علیه و آله)، أو علی (علیه السلام). بل هو أمر تعمد رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) نفسه أن یفعله. و قد اختاره، و قصد إلی إیجاده بعد أن لم یکن، مما یعنی: أنه (صلی اللّه علیه و آله) عارف به، و مختار له، واثق بالنتیجه قبل حصولها .. و عارف بأنه یملک القدره علی فعله، من خلال ما خوله اللّه تعالی إیاه ..

و هـذا يشـير إلى: أنه (صـلى اللّه عليه و آله) يملك قدرات تمكّنه من التأثير التكوينى فى أمور واقعيه و ماديه خارجيه، من دون استخدام الوسائل المعتاده. بل من خلال هذه القدرات التى يملكها، و أن القضيه ليست مجرد دعاء، قد استجابه اللّه تعالى له.

و هذا يفسـر ما روى من أنه (صـلى اللّه عليه و آله) قد تفل فى عينى على (عليه السلام)، و بزق فى إليه يده، فدلك بها عينيه، أو نحو ذلك.

و لاـ بـد من التوقف و التأمل فى حقيقه أنه (صـلى اللّه عليه و آله) لم يكتف بالـدعاء و الطلب إلى اللّه تعالى أن يشـفيه، بل قرن ذلك بممارسه عمليه تؤكد:

أنه يريد أن ينجز عملا يقع تحت قدرته و باختياره.

متى رمدت عينا على عليه السّلام؟

و أما حديث: أن عليا (عليه السـلام) قد تخلف عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و بقى فى المدينه، فلما سار (صلى اللّه عليه و آله) إلى خيبر، قال على: لا، أنا أتخلف؟!

فلحق برسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله). فلا يصح؛ و ذلك لما يلى:

أولا: إذا كان على (عليه السـلام) يعانى من رمد فى عينيه، حتى إنه لم يكن يبصـر، فإنه كان غير قادر على السير إلا بقائد يقوده، و مدبر يدبره، فإلى من أوكلت هذه المهمه يا ترى فى كل هذه المده الطويله؟! فإن كان قائده هو سلمه بن الأكوع.

فإن الروايه قد صرحت: بأنه جاء به يقوده إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فى قضيه قتل مرحب فقط ..

فكيف جاء من المدينه؟! و كيف كان ينتقل من حصن إلى حصن، و من مكان إلى مكان لقضاء حوائجه؟!

و بعد .. فإن تخلف على (عليه السلام) فى المدينه لا بد أن يكون بإذن من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) .. كما أن مسيره لا بد أن يكون بإذن منه، فهل استأذن (عليه السلام) فى الخروج من المدينه؟ أم أنه فعل ذلك من عند نفسه؟ و إذا كان قد خرج بإذنه (صلى اللّه عليه و آله) و بعلمه، فلماذا لم يخرجه معه، فإن حاله لم يختلف؟ و إن كان قد أذن له بالخروج، فكيف أذن له و هو بهذه الحاله؟ و كيف؟ و كيف؟

ثانيا: إنهم يقولون: إن سبب رمد عينى على (عليه السلام) هو دخان الحصن الخيبرى نفسه، و ليس شيئا آخر عرض له فى المدينه، فراجع (۱). فإذا صح هذا، فلا يكون ثمه مبرر لبقائه فى المدينه، كما زعموا.

ثالثا: صرحت الروايات المتقدمه: بأن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد أعطى اللواء فى غزوه خيبر إلى على بن أبى طالب (عليه السلام) (۲).

و قد أعطاه إياه فى أول حصن ورد عليه، و باشر معه القتال فيه، و هو حصن ناعم، و قد هاجم هو نفسه ذلك الحصن بالذات، فقتل معه (عليه السلام) (۳) عبد يهودى اسمه ياسر، و كان قد أسلم آنئذ.۹.

۱- راجع: مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۲۳ و المسترشد للطبرى ص ۲۹۹ و راجع: كنز العمال ج ۱۰ ص ۹۲.
۲- راجع: دلائل النبوه للبيهقى ج ۴ ص ۴۸ و المطالب العاليه ح ۴۲۰۲ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۴۰۷ و ج ۲ ص ۶۴۹ و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۵.
۳- راجع على سبيل المثال: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۴۹.

فکیف یعطیه اللواء، و هو لا یبصر طریقه؟!

رابعا: قال المفید: (کانت الرایه یومئذ لأمیر المؤمنین (علیه السلام)، فلحقه رمد أعجزه عن الحرب) (۱).

أی إن هذا الرمد قد عرض له بعد أن تسلم الرایه ..

خامسا: إن الروایه نفسها تدل علی أن رمد عینی علی (علیه السلام) قد کان طارئا فی تلک الفتره، و أنه لم یدم برهه، بحیث یصل خبر ذلک إلی النبی (صلی اللّه علیه و آله).

فقد ذکرت الروایه: أنه فی یوم قتل مرحب: أصبح رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فصلی الغداه، ثم دعا باللواء، و وعظ الناس، فقال: أین علی؟

قالوا: یشتکی عینیه.

قال: فأرسلوا إلیه ..

فلما جی ء به قال له النبی (صلی اللّه علیه و آله): ما لک؟!

قال: رمدت، حتی لا أبصر ما قدامی.

فظاهر السیاق یعطی: أن الناس کانوا یرون: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لم یکن علی علم بأمر الرمد، فأخبروه به.

و سؤال النبی (صلی اللّه علیه و آله) لعلی (علیه السلام): ما لک؟

و جواب علی (علیه السلام) له یقطع کل عذر، و یزیل کل شبهه فی ذلک.

و لو کان علی (علیه السلام) غائبا عن ساحه القتال کل هذه الأیام، لعلم بذلک رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، لا سیما و أنه هو الذی یعتمده.

۱- راجع: الإرشاد ج ۱ ص ۱۲۶.

علیه فی حروبه، و هو القریب منه، و الذی یواصل الاتصال به، و التفقد له، و هو حامل لوائه، و قائد جیوشه ..

علی علیه السّلام فاجأهم:

و فی البخاری و غیره: أن علیا (علیه السلام) رمدت عیناه فی المدینه، فلما خرج رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لحق به، فوصل فی لحظه إعطاء الرایه.

ففاجأ حضور علی (علیه السلام) الناس، لأنهم کانوا لا یرجون حضوره، حتی إنهم حین رأوه قالوا بعفویه: هذا علی.

و نقول:

قد ذکرنا فیما تقدم: أن رمد عینی علی (علیه السلام) إنما حصل فی أواخر أیام الحصار، بل لقد صرحت بعض الروایات: أن الرمد إنما أصابه بسبب دخان الحصن ..

و أما الحدیث الدال علی أنهم فوجئوا بحضور علی (علیه السلام)، فقد یکون بعضه صحیحا إذا کان أکثر الناس لم یلتفتوا، أو لم یسمعوا کلام النبی (صلی اللّه علیه و آله)، حین سأل عن علی (علیه السلام)، فتصدی عمار بن یاسر، أو سلمه بن الأکوع لإخباره أو إحضاره. فلما جاء به فوجئوا بحضوره.

أما إن کان المقصود: أنهم کانوا یعتقدون أن رمده قد منعه من الخروج مع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من المدینه إلی خیبر، ثم لحق به ..

فقد تقدم: أنه لم یفارق رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) منذ خروجه من المدینه، حسبما أوضحناه.

لباس علی علیه السلام فی الحر و البرد:

و رووا عن علی (علیه السلام) أنه قال: إن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بعث إلیّ و أنا أرمد العین یوم خیبر، فقلت: یا رسول اللّه، إنی أرمد!!

فتفل فی عینی، فقال: اللهم أذهب عنه الحر و البرد، فما وجدت حرا و لا بردا منذ یومئذ.

و ذکروا: أنه (علیه السلام) کان یلبس فی الحر الشدید القباء المحشو الثخین. و یلبس فی البرد الشدید الثوبین الخفیفین (۱).

و نقول:

أولا: قد ذکروا: أن رجلا دخل علی علی (علیه السلام) و هو یرعد۵.

۱- مسند أحمد ج ۱ ص ۹۹ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۶ و سنن ابن ماجه (ط المکتبه التازیه بمصر) ج ۱ ص ۵۶ و الخصائص للنسائی (ط مکتبه التقدم بمصر) ص ۵ و العقد الفرید (ط مکتبه الجمالیه بمصر) ج ۳ ص ۹۴ و کفایه الطالب (ط الغری) ص ۱۳۰ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۴۹ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۲۲ و تذکره الخواص ص ۲۵ و الریاض النضره (ط محمد أمین بمصر) ج ۲ ص ۱۸۸ و الخصائص الکبری ج ۱ ص ۲۵۲ و ۲۵۳ و البحار ج ۲۱ ص ۴ و ۲۰ و ۲۹ عن الخرایج و الجرایح، و عن الخصال ج ۲ و عن دلائل النبوه للبیهقی و المیزان (تفسیر) ج ۱۸ ص ۲۹۶ و تاریخ مدینه دمشق ج ۴۲ ص ۱۰۶ و سبل الهدی و الرشاد ج ۱۰ ص ۲۱۴ و کنز العمال (ط مؤسسه الرساله) ج ۱۳ ص ۱۲۱ عن ابن جریر، و البزار، و أحمد، و ابن أبی شیبه، و الطیالسی، و المستدرک، و البیهقی، و غیرهم و المصنف لابن أبی شیبه ج ۷ ص ۴۹۷ و مناقب أمیر المؤمنین ج ۲ ص ۸۸ و ۸۹ و مجمع البیان (ط سنه ۱۴۲۱ ه) ج ۹ ص ۱۵۵.

تحت سمل قطیفه، (أی قطیفه خلقه) فقال: یا أمیر المؤمنین، إن اللّه جعل لک فی هذا المال نصیبا، و أنت تصنع بنفسک هکذا.

فقال: لا أرزؤکم من مالکم شیئا، و إنها لقطیفتی التی خرجت بها من المدینه (۱).

قال الحلبی: (قد یقال: لا مخالفه، لأنه یجوز أن تکون رعدته رضی اللّه عنه لیست من البرد، خلاف ما ظنه السائل، لجواز أن تکون لحمی أصابته فی ذلک الوقت) (۲).

و یرد علیه:

أن هذا تأویل بارد، و رأی کاسد، بل فاسد؛ فإن ظاهر الکلام: أن رعدته قد کانت بسبب رقه ما یلبسه، و هو قطیفه خلقه (أی بالیه)، و أنه لو استفاد من نصیبه من المال، و لبس ما یدفع هذا البرد لم یکن ملوما. فما یجری له کان هو السبب فیه، و هو الذی أورده علی نفسه .. و قد أصر (علیه السلام) علی عدم المساس بالمال الذی تحت یده.۶.

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۶ و حلیه الأبرار ج ۲ ص ۲۴۶ و تاریخ مدینه دمشق ج ۴۲ ص ۴۷۷ و عن ینابیع الموده ج ۲ ص ۱۹۵ و البحار ج ۴۰ ص ۳۳۴ و التذکره الحمدونیه (ط بیروت) ص ۶۹ و مختصر حیاه الصحابه (ط دار الإیمان) ص ۲۵۳ و الأموال (ط دار الکتب العلمیه) ص ۲۸۴ و قمع الحرص بالزهد و القناعه ص ۷۹ و صفه الصفوه (ط حیدر آباد الدکن) ج ۱ ص ۱۲۲ و حلیه الأولیاء ج ۱ ص ۸۲ و إحقاق الحق (الملحقات) ج ۸ ص ۲۹۵ و جواهر المطالب لابن الدمشقی ج ۱ ص ۲۸۴ و کشف الغمه للأربلی ج ۱ ص ۱۷۳.

۲- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۶.

و لعلهم أرادوا فی جمله ما أرادوه من هذا الحدیث: أن یشککوا الناس بزهده (علیه السلام) فی ملبسه، و أن یقولوا لهم: إن ذلک بسبب عدم شعوره بحر و لا برد.

ثانیا: إننا لا نجد أی ارتباط بین شکوی علی (علیه السلام) من الرمد، و بین الدعاء المنسوب للنبی (صلی اللّه علیه و آله) و هو: اللهم أذهب عنه الحر و البرد. فإنه (علیه السلام) لم یکن یشکو من حر و لا برد.

بل کانت شکواه من رمد عینیه، فهل هذا إلا من قبیل أن تقول لإنسان: إنی عطشان، فیقول لک: نم علی السریر؟!

ثالثا: حتی لو کان قد دعا له بإذهاب البرد و الحر عنه .. فإنه لا یجب استمرار أثر ذلک حتی الممات، بل یکفی أن لا یشعر بالبرد و الحر فی ذلک الیوم، أو فی أیام خیبر مثلا.

و یدل علی ذلک: أنهم قد رووا عن بلال، قوله: أذّنت فی غداه بارده فخرج رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فلم یر فی المسجد أحدا، فقال: أین الناس یا بلال؟!

قال: منعهم البرد.

فقال: اللهم أذهب عنهم البرد.

قال بلال: فرأیتهم یتروحون (۱).۵.

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۱۰ ص ۲۱۴ عن البیهقی، و أبی نعیم، و الطبرانی و جمع الزوائد للهیثمی ج ۱ ص ۳۱۸ و الکامل لابن عدی ج ۱ ص ۳۴۶ و الموضوعات لابن الجوزی ج ۲ ص ۹۳ و أسد الغابه ج ۱ ص ۲۰۹ و میزان الإعتدال ج ۱ ص ۲۸۹ و لسان المیزان لابن حجر ج ۱ ص ۴۸۲ و البدایه و النهایه ج ۶ ص ۱۸۵.

فلماذا لم يستمر ذهاب البرد عنهم إلى أن خرجوا من الدنيا؟ كما يزعمونه بالنسبه لعلى (عليه السلام)؟!

أم أن هذه هى القصه الواقعيه، و قد استفيد منها فى قصه خيبر، لحاجه فى أنفسهم؟!

ص: ۲۸۸

الفصل الثالث:

قتل مرحب .. أحداث و تفاصيل

علوتم و الذی أنزل التوراه:

و عن قول الیهودی لما سمع باسم علی (علیه السلام): علوتم، و الذی أنزل التوراه علی موسی، نقول:

إن أبا نعیم قال: (فیه دلاله علی أن فتح علی لحصنهم مقدم فی کتبهم، بتوجیه من اللّه وجهه إلیهم، و یکون فتح اللّه تعالی علی یدیه).

و هی التفاته جلیله من أبی نعیم، و یؤیدها:

أولا: ما روی من أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد قال لعلی (علیه السلام):

خذ الرایه، و امض بها فجبرئیل معک، و النصر أمامک، و الرعب مبثوث فی قلوب القوم ..

و اعلم یا علی، أنهم یجدون فی کتابهم: أن الذی یدمر علیهم اسمه (إیلیا)، فإذا لقیتهم فقل: أنا علی.

فإنهم یخذلون إن شاء اللّه تعالی الخ .. (۱).

ثانیا: إن مرحبا نفسه قد هرب لما سمع باسم علی (علیه السلام)، و کانت ظئره قد أخبرته: بأن اسم قاتله حیدره.۳.

۱- البحار ج ۲۱ ص ۱۵ عن الإرشاد للمفید ج ۱ ص ۱۲۶ و راجع: کتاب الأربعین للماحوزی ص ۲۹۵ و کشف الغمه للإربلی ج ۱ ص ۲۱۳.

و قد زعموا: أنها قالت له ذلک: لأنها کانت تتعاطی الکهانه.

و الجواب: إن کونها تتعاطی الکهانه لا یعطیها القدره علی معرفه الغیب الإلهی، فإنه تعالی وحده عالِمُ الْغَیْبِ فَلا یُظْهِرُ عَلی غَیْبِهِ أَحَداً، إِلَّا مَنِ ارْتَضی مِنْ رَسُولٍ .. (۱).

و یشهد لذلک: أننا وجدنا فی جمله الأقوال حول تسمیه علی (علیه السلام) بحیدره: أن اسمه فی الکتب المتقدمه أسد، و الأسد هو الحیدره ..

و سیأتی بعض الحدیث عن ذلک، تحت عنوان: (من سمی علیا (علیه السلام) بحیدره) إن شاء اللّه تعالی.

و لعل هناک من یرید اعتبار قول الیهودی: علوتم (أو غلبتم) و الذی أنزل التوراه علی موسی، قد جاء علی سبیل التفؤل بالاسم ..

و نحن و إن کنا لا نصر علی بطلان هذا الاحتمال، باعتبار أن الذین یشتد تعلقهم بالدنیا یتشبثون و لو بالطحلب، و یخافون حتی من هبوب الریاح، و یتشاءمون و یتفاءلون بالخیالات و الأشباح ..

غیر أننا نقول:

إنه مع وجود الشواهد و المؤیدات لما ذکره أبو نعیم، لا یبقی مجال لترجیح الاحتمال الآخر ..

و نزید هنا: أن ما أکد لهم صحه ما ورد فی کتبهم، هو ما تناهی إلی مسامعهم من مواقف علی (علیه السلام) التی تظهر أنه أهل لما أهّله اللّه تعالی له، کما دلت علیه معالی أموره فی المواقع المختلفه فی الحرب، و فین.

۱- الآیتان ۲۶ و ۲۷ من سوره الجن.

السلم على حد سواء، و من ذلک مبیته (علیه السلام) علی فراش النبی (صلی اللّه علیه و آله) لیله الهجره، و جهاده فی بدر، و أحد، و الخندق، و قریظه، و النضیر، و .. و .. الخ ..

قتل علی علیه السّلام مرحبا و الفرسان الثمانیه:

قالوا: ثم خرج أهل الحصن إلی ساحه القتال .. أما رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فإنه لما أصبح أرسل إلی علی (علیه السلام) و هو أرمد، فتفل فی عینیه. قال علی (علیه السلام): فما رمدت حتی الساعه. و دعا له، و من معه من أصحابه بالنصر.

فکان أول من خرج إلیهم الحارث أبو زینب، أخو مرحب فی عادیه (أی ممن یعدون للقتال علی أرجلهم)- قال الحلبی: و کان معروفا بالشجاعه- فانکشف المسلمون، و ثبت علی (علیه السلام)، فاضطربا ضربات، فقتله علی (علیه السلام).

و رجع أصحاب الحارث إلی الحصن، و أغلقوا علیهم، و رجع المسلمون إلی موضعهم ..

و خرج مرحب و هو یقول:

قد علمت خیبر أنی مرحب الخ ...

فحمل علیه علی (علیه السلام) فقطّره (أی ألقاه علی أحد قطریه، أی جانبیه) علی الباب، و فتح الباب، و کان للحصن بابان (۱).۴.

۱- المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۵۳ و ۶۵۴ و راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۴.

و رجع أصحاب الحارث إلى الحصن، و برز عامر، و كان رجلا جسيما طويلا، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حين برز و طلع عامر: (أترونه خمسه أذرع)؟ و هو يدعو إلى البراز.

فخرج إليه على بن أبى طالب (عليه السلام)، فضربه ضربات، كل ذلك لا يصنع شيئا، حتى ضرب ساقيه فبرك، ثم ذفّف عليه، و أخذ سلاحه.

قال ابن إسحاق: ثم برز ياسر و هو يقول:

قد علمت خيبر أنى ياسرشاكى السلاح بطل مغاور

إذا الليوث أقبلت تبادرو أحجمت عن صوله المساور

إن حسامى فيه موت حاضر

قال محمد بن عمر: و كان من أشدائهم، و كان معه حربه يحوس الناس بها حوسا.

فبرز له على بن أبى طالب، فقال له الزبير بن العوام: أقسمت إلا خليت بينى و بينه، ففعل.

فقالت صفيه لما خرج إليه الزبير: يا رسول اللّه، يقتل ابنى؟

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (بل ابنك يقتله، إن شاء اللّه)، فخرج إليه الزبير و هو يقول:

قد علمت خيبر أنى زبارقرم لقرم غير نكس فرار

ابن حماه المجد، ابن الأخيارياسر لا يغررك جمع الكفار

فجمعهم مثل السراب الختار

ثم التقيا فقتله الزبير.

قال ابن إسحاق: و ذكر أن عليا هو الذى قتل ياسرا.

قال محمد بن عمر: و قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) للزبير لما قتل ياسرا: فداك عم و خال.

ثم قال: (لكل نبى حوارى، و حوارى الزبير و ابن عمتى) (۱).

و فى حديث سلمه بن الأكوع عند مسلم، و البيهقى: أن مرحبا خرج و هو يخطر بسيفه.

و فى حـديث ابن بريده، عن أبيه: خرج مرحب و عليه مغفر معصـفر يمانى، و حجر قد ثقبه مثل البيضه على رأسه، و هو يرتجز و يقول:

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

إذا الليوث أقبلت تلهب

قال سلمه: فبرز له عامر (أى عامر بن الأكوع) و هو يقول:

قد علمت خيبر أنى عامرشاكى السلاح بطل مغامر قال: فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب فى ترس عامر، فذهب عامر يسفل له، و كان سيفه فيه قصر، فرجع سيفه على نفسه، فقطع أكحله، و فى روايه: أصاب عين ركبته، و كانت فيها نفسه.

قال بريده: فبرز مرحب و هو يقول:

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

إذا الليوث أقبلت تلهب و أحجمت عن صوله المغلب ۱.

۱- راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۵۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۵ و ۱۲۶ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۵۱.

فبرز له علی بن أبی طالب (علیه السلام)، و علیه جبه أرجوان حمراء قد أخرج خملها، و هو یقول:

أنا الذی سمتنی أمی حیدرهکلیث غابات کریه المنظره

أوفیهم بالصاع کیل السندره

فضرب مرحبا ففلق رأسه، و کان الفتح (۱).

و فی نص آخر: أن علیا (علیه السلام) أجاب مرحبا بقوله:

أنا الذی سمتنی أمی حیدرهکلیث غابات کریه المنظره

عبل الذراعین شدید القصورهأضرب بالسیف وجوه الکفره

ضرب غلام ماجد حزوّرهأکیلکم بالسیف کیل السندره (۲) و فی حدیث بریده، فاختلفا ضربتین، فبدره علی (علیه السلام) بضربه (بذی الفقار) فقدّ الحجر، و المغفر، و رأسه، و وقع فی الأضراس، و أخذ المدینه.

و فی نص آخر: سمع أهل العسکر صوت ضربته. و قام الناس مع علی۶.

۱- صحیح مسلم ج ۵ ص ۱۹۵ و مسند أحمد ج ۵ ص ۳۳۳ و ۳۵۱ و المستدرک للحاکم ج ۳ ص ۳۸ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۳ ص ۳۰ و مناقب علی بن أبی طالب لابن المغازلی (ط المکتبه الإسلامیه بطهران) ص ۱۷۶ و لباب التأویل ج ۴ ص ۱۸۲ و ۱۸۳ و الریاض النضره (ط محمد أمین بمصر) ج ۱ ص ۱۸۵ و ۱۸۷ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۱۸۵ فما بعدها و معالم التنزیل (ط مصر) ج ۴ ص ۱۵۶ و حیاه الحیوان ج ۱ ص ۲۳۷ و طبقات ابن سعد (مطبعه الثقافه الإسلامیه) ج ۳ ص ۱۵۷ و ینابیع الموده (ط بمبی) ص ۴۱ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۵۷.

۲- تذکره الخواص ص ۲۶.

حتی أخذ المدینه (۱).

و فی نص آخر: ضربه علی هامته حتی عض السیف منها بأضراسه، و سمع أهل العسکر صوت ضربته.

قال: و ما تتام آخر الناس مع علی (علیه السلام) حتی فتح لأولهم (۲).

و فی نص آخر: (فخرج یهرول هروله، فو اللّه ما بلغت أخراهم حتی دخل الحصن.

قال جابر: فأعجلنا أن نلبس أسلحتنا.

و صاح سعد: اربع یلحق بک الناس.

فأقبل حتی رکزها قریبا من الحصن الخ ..) (۳).ی.

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۶ و ۱۲۵ و راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۲ و ۳۷ و ۳۸ و مسند أحمد ج ۵ ص ۳۵۸ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۳ ص ۳۰ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۱۸۵ فما بعدها، و لباب التأویل ج ۴ ص ۱۸۲ و ۱۸۳ و معارج النبوه ص ۲۱۹ و الإصابه ج ۲ ص ۵۰۲ و الکامل فی التاریخ ج ۲ ص ۲۲۰ و المستدرک للحاکم ج ۳ ص ۴۳۷ و معالم التنزیل ج ۴ ص ۱۵۶ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۵۰ و راجع بعض ما تقدم فی: إمتاع الأسماع ص ۳۱۵ و ۳۱۶.

۲- مسند أحمد ج ۵ ص ۳۵۸ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۳ ص ۳۰ و المستدرک للحاکم ج ۳ ص ۴۳۷ و راجع: العمده لابن البطریق ص ۱۴۱ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۵ و السنن الکبری ج ۵ ص ۱۱۰ و ۱۷۸ و تاریخ مدینه دمشق ج ۴۲ ص ۹۵ و عن الإصابه ج ۴ ص ۴۶۶ و عن تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۳۰۰ و فضائل الصحابه لابن حنبل ج ۲ ص ۶۰۴.

۳- البحار ج ۲۱ ص ۲۲ عن إعلام الوری ج ۱ ص ۲۰۸ و فی هامشه قال: انظر الإرشاد للمفید ج ۱ ص ۱۲۵ و الخرائج و الجرائح ج ۱ ص ۱۵۹ و ۲۴۹ و المغازی للواقدی.

و فی بعض النصوص: (أن مرحبا لما رأی أن أخاه قد قتل خرج سریعا من الحصن فی سلاحه، أی و قد کان لبس درعین، و تقلد بسیفین، و اعتم بعمامتین، و لبس فوقهما مغفرا، و حجرا قد ثقبه قدر البیضه، و معه رمح لسانه ثلاثه أسنان، و ذکر أن یاسرا خرج بعد مرحب) (۱).

و لم یکن بخیبر أشجع من مرحب و لم یقدر أحد من أهل الإسلام أن یقاومه فی الحرب (۲).

و زعموا: أن محمد بن مسلمه قتل أسیرا أیضا (۳).

و عن علی (علیه السلام) قال: لما قتلت مرحبا، جئت برأسه إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) (۴).

قال الدیار بکری: قیل هذا- أی قتل علی مرحبا- هو الصحیح، و ما نظمه بعض الشعراء یؤیده، و هو:

علی حمی الإسلام من قتل مرحب غداه اعتلاه بالحسام المضخم و فی روایه قتله محمد بن مسلمه (۵).ا.

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۷ و ۳۸ و راجع: تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۵۰.
۲- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۵۰.
۳- إمتاع الأسماع ص ۳۱۵.
۴- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۷ و مسند أحمد ج ۱ ص ۱۱۱ و تذکره الخواص ص ۲۶ و عن البدایه و النهایه ج ۴ ص ۱۸۵ فما بعدها، و مجمع الزوائد للهیثمی ج ۶ ص ۱۵۲ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۳۵۷.
۵- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۵۰ و راجع: مناقب آل أبی طالب ج ۱ ص ۵ عن جماعه من السفاف و المعاندین ادّعوا: أن مرحبا قتله محمد بن مسلمه، و ادّعوا، و ادّعوا.

و سیأتی الکلام حول ذلک، و أنه مکذوب و مختلق.

و لنا مع هذه النصوص و قفات عدیده، نکتفی منها بما یلی:

قطع رأس مرحب لماذا؟!

بالنسبه لما روی من أن علیا (علیه السلام) قد قطع رأس مرحب، و جاء به إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، نقول:

أولا: هو أمر لم نعهده منه (علیه السلام) فی مختلف مواقفه الجهادیه ..

و ثانیا: إننا لا نری مبررا لتصرف کهذا. فإن النبی (صلی اللّه علیه و آله) و کذلک علی (علیه السلام) لم یکونا ممن یرغب فی التشفی من الأشخاص، لا فی حیاه أولئک الأشخاص، و لا بعد مماتهم، بل کانا یریدان دفع الفساد، و إقامه الدین.

ثالثا: إنه إذا کان (علیه السلام) قد شق رأس مرحب و جسده نصفین حتی بلغ السرج (1)، کما ذکرته بعض الروایات؛ فإن قطع الرأس فی هذه الحال یصبح بمثابه جمع أشلاء، و حمل قطع ذات منظر مثیر، و هو أمر لا یلیق فعله بالإنسان العادی، فکیف بأنبل الناس، و أشرفهم، و أکرمهم؟!

صفیه تتدخل لمصلحه ولدها:

و أما قصه الزبیر، و أن أمه قد خافت علیه، حین برز لذلک الیهودی.

فنحن نشک فی صحتها. و ذلک لما یلی:

أولا: إنهم یقولون: إن هذه القضیه قد حصلت فی بنی قریظه، حیث۹.

۱- معارج النبوه ص ۳۲۳ و ۲۱۹.

برز أحد الأعداء، فقال النبی (صلّی اللّه علیه و آله) للزبیر: قم یا زبیر.

فقالت أمه صفیه: واحدی یا رسول اللّه.

فقال (صلی اللّه علیه و آله) أیهما علا صاحبه قتله، فعلاه الزبیر فقتله.

فنفله رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) سلبه و قال: السلب للقاتل (۱).

ثم نجد الحلبی یشکک فی هذه القضیه أیضا، فیقول: فلیتأمل، فإنی لم أقف فی کلام أحد علی أن بنی قریظه وقعت منهم مقاتله بالمبارزه (۲)

فأی ذلک هو الصحیح؟!.

ثانیا: قولهم: إنه (صلی اللّه علیه و آله) قد قال للزبیر حین قتل یاسرا:

فداک عم، و خال .. یثیر أمامنا سؤالا- عن السبب فی اختیار تفدیته بالعم و الخال، دون الأب و الأم کما هو المعتاد، و من هو العم المقصود بالتفدیه؟! فهل أراد أن یفدیه بعمه المشرک أبی لهب، أو بعمه الآخر أبی طالب، الذی یزعمون أنه مات مشرکا أیضا؟! مع أن دعواهم الثانیه فی أبی طالب محض افتراء و بهتان، کما أثبتناه فی کتابنا: (ظلامه أبی طالب علیه السلام).

و من هو الخال الذی یقصدونه؟ و هل کان مسلما أم مشرکا؟!

و لماذا ترک (صلی اللّه علیه و آله) تفدیه الزبیر بأبویه، مع أنهم یزعمون أنه کان قد فداه بهما فی أحد، و فی بنی قریظه (۳).۳.

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۸ عن الزمخشری و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۵۰۴.

۲- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۸ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۵۰۵.

۳- المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۱۱۲ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۱۷ و راجع ص ۳۲۷ و ۳۲۸ کلاهما عن الشیخین. و قال الترمذی: حدیث حسن. و التاریخ الکبیر للبخاری ج ۶ ص ۱۳.

قال ابن عبد البر: ثبت عن الزبير أنه قال: جمع لی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أبویه مرتین: یوم أحد، و یوم بنی قریظه.

فقال: ارم فداک أبی و أمی (۱).

و رغم: أنهم یقولون هذا، فإنهم ینکرونه فی موضع آخر فیقولون أیضا:

إنه (صلی اللّه علیه و آله) لم یجمع أبویه لأحد إلا لسعد بن أبی وقاص (۲).

ثالثا: زعموا: أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد قال للزبیر حین قتل یاسرا:

(لکل نبی حواری، و حواری الزبیر و ابن عمتی).

مع أنهم یقولون: إن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قال له ذلک، حین جاءه بخبر بنی قریظه (۳).

فأیهما هو الصحیح؟ و إن کنا نعتقد بعدم صحه أی منهما أیضا.

فقد ذکرنا فی غزوه بنی قریظه: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) إنما استخبر عن أمر بنی قریظه بواسطه سعد بن معاذ، و سعد بن عباده، فلم۷.

۱- السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۱۷ و ۲۲۹.
۲- السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۲۹ و شرح مسلم للنووی ج ۱۵ ص ۱۸۴.
۳- المغازی ج ۲ ص ۴۵۷ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۲۲۷ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۱۷.

یکن هناک حاجه لإرسال الزبیر.

رابعا: صرحت بعض الروایات: بأن الزبیر کان أیضا قد طلب الرایه یوم خیبر، و أنه کان قد فرّ بها، و أنه (صلی اللّه علیه و آله) لم یعطه إیاها بل قال (صلی اللّه علیه و آله): و الذی کرم اللّه وجه محمد لأعطین الرایه رجلا لا یفر، هاک یا علی (۱).

و سیأتی بعض الحدیث عن ذلک إن شاء اللّه تعالی ..

الزبیر حواری رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

و أما الحدیث الذی یقول: لکل نبی حواری، و إن حواریی الزبیر، و ابن عمتی ..

فلا نشکک: فی أنه مکذوب علی الرسول (صلی اللّه علیه و آله) ..

و یکفی أن نذکر شاهدا علی ذلک:

أولاـ روی الکشی بسنده عن أسباط بن سالم، عن الإمام الکاظم (علیه السلام) أنه قال: إذا کان یوم القیامه نادی مناد: أین حواریّ محمد بن عبد اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، الذین لم ینقضوا العهد، و مضوا علیه؟!ت.

۱- مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۲۴ و راجع: شرح الأخبار ج ۱ ص ۳۲۱ و العمده ص ۱۴۰ و ۱۴۳ و فضائل الصحابه ج ۲ ص ۶۱۷ ح ۱۰۵۴ و ص ۵۸۳ ح ۹۸۷ و ذخائر العقبی ص ۷۳ عن مسند أحمد ج ۳ ص ۱۶ و مسند أبی یعلی ج ۲ ص ۵۰۰ و تاریخ مدینه دمشق ج ۴۲ ص ۱۰۴ و ۱۰۵ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۲۱۲ و نهج الإیمان لابن جبر ص ۳۱۷ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۳۵۲ و ینابیع الموده ص ۱۶۴ و مصادر أخری تقدمت.

فيقوم سلمان، و المقداد، و أبو ذر.

ثم ينادى مناد: أين حواريّ على بن أبى طالب (عليه السلام) الخ ..؟ (۱).

ثانيا: ما معنى و ما فائده قوله فى الحديث المزعوم: و ابن عمتى؟! فهل لم يكن الناس يعلمون: أن الزبير كان ابن عمه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؟!

و ما فائده كونه كذلك، إذا كان سوف يخالف أمره (صلى اللّه عليه و آله)، و يخرج على أخيه و وصيه، و ابن عمه على بن أبى طالب (عليه السلام)؟!. و سيخرج زوجته (صلى اللّه عليه و آله) من خدرها، و يسير بها فى البلاد لتعينه على حرب على (عليه السلام) ..

لقد كان ابن نوح أقرب إلى نوح من أى إنسان آخر، و لكن ذلك لم ينفعه، حين آثر الكفر على الإيمان و الخيانه على الأمانه ..

و لقد كان أبو لهب أقرب الناس إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من الزبير، و لكن ذلك لم ينفعه أيضا، حين اختار أن يحارب اللّه و رسوله ..٨.

۱- سفينه البحار ج ۲ ص ۱۹۴ عن رجال الكشى، و البحار ج ۳۴ ص ۲۷۵ و ج ۲۲ ص ۳۴۲ و الإختصاص (ط النجف) ص ۵۵ و روضه الواعظين (ط سنه ۱۳۸۶ ه) ص ۲۸۲ و راجع: شجره طوبى ج ۱ ص ۷۸ و مستدرک سفينه البحار ج ۲ ص ۴۶۵ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۲۱۰ و إختيار معرفه الرجال ج ۱ ص ۴۱ و جامع الرواه للأردبيلى ج ۱ ص ۱۱۰ و ۵۴۵ و الدرجات الرفيعه ص ۴۳۲ و طرائف المقال ج ۲ ص ۳۴۰ و ۵۹۳ و معجم رجال الحديث ج ۴ ص ۱۵۶ و ج ۹ ص ۱۹۷ و ج ۲۰ ص ۱۰۹ و تهذيب المقال ج ۴ ص ۲۰۰ و الشيعه فى أحاديث الفريقين ص ۵۱۸.

بل إن قرابته هـذه سوف تزيـد من عذابه فی نار جهنم، لأنه یکون بها أشد إساءه إلی الرسول (صـلی اللّه علیه و آله)، و إلی دین اللّه تعالی، حیث ستکون سببا فی صدود الناس عنه (صلی اللّه علیه و آله) و عن الدین الذی جاء به.

کما أن هذه القرابه القریبه آکد فی إقامه الحجه علیه، بسبب شده قربه من الرسول (صلی اللّه علیه و آله)، و اطّلاعه علی أحواله، و علی صدقه و صحه ما جاء به ..

ثالثـا: من أین لنـا، و کیف یمکن إثبات أن لکل نبی حواریا؟ فإن القرآن قـد صـرح: بأن عیسـی (علیه السـلام) هو الـذی کان له حواریون، کما أن الروایات تقول: إن للنبی الأعظم (صلی اللّه علیه و آله) أیضا حواریین ..

و لم نجد مثل ذلک لسائر الأنبیاء (علیهم السلام)، سواء أکانوا من أولی العزم، أم من غیرهم.

رابعا: بماذا استحق الزبیر أن یکون حواری رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) دون سائر الصحابه، ممن کانوا أقرب إلیه (صلی اللّه علیه و آله) منه بمراتب؟!

خامسا: روی هشام بن زید، عن أنس، قال: سألت النبی (صلی اللّه علیه و آله): من حواریک یا رسول اللّه؟!

فقال: الأئمه بعدی اثنی عشر، من صلب علی و فاطمه (علیهما السلام).

و هم حواریی، و أنصار دینی (۱).۹.

۱- البحار ج ۳۶ ص ۲۷۱ و مناقب آل أبی طالب ج ۱ ص ۲۱۳ و راجع: کفایه الأثر ص ۶۹.

و فی نص آخر: عن أبی المفضل، عن رجاء بن یحیی العبر تائی الکاتب، عن محمد بن خلاد الباهلی، عن معاذ بن معاذ، عن ابن عون، عن هشام بن زید، عن أنس بن مالک، قال:

سألت رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) عن حواریّ عیسی (علیه السلام)، فقال: کانوا من صفوته و خیرته، و کانوا اثنی عشر، مجردین، مکمشین فی نصره اللّه و رسوله، لا زهو فیهم، و لا ضعف، و لا شک، کانوا ینصرونه علی بصیره و نفاذ، و جدّ و عناء.

قلت: فمن حواریک یا رسول اللّه؟

فقال: الأئمه من بعدی اثنا عشر، من صلب علی و فاطمه، هم حواریی، و أنصار دینی علیهم من اللّه التحیه و السلام (۱).

لماذا تعظیم الزبیر؟!

من الواضح: أن سیاسه هؤلاء تقضی بتعظیم کل من ناوأ علی بن أبی طالب (علیه السلام) و حاربه، فمن الطبیعی إذا أن نجدهم یهتمون بمنح الزبیر الأوسمه و أن ینحلوه الکثیر من البطولات التی لا یستحقها، بل من الطبیعی أن یختلسوا مواقف أمیر المؤمنین (علیه السلام) و یمنحوها لأعدائه الذین أحبوهم لبغضهم علیا (علیه السلام)، و الزبیر- کما هو معلوم- قاد جیشا و حارب علیا (علیه السلام) و تسبب بقتل الألوف من المسلمین و المؤمنین، و لکن الدائره قد دارت علیه حتی قتل و هو منهزم کما دلت علیه.

۱- البحار ج ۳۶ ص ۳۰۹ و کفایه الأثر ص ۱۰.

النصوص الكثيره.

و أما بشارته (علیه السلام) لابن جرموز- قاتل الزبیر- بالنار، فإنما هی إخبار بالغیب عما سیؤول إلیه أمر ابن جرموز من المروق من الدین، و صیرورته خارجیا، و لیس لأجل أن الزبیر قد تاب و انصرف عن الحرب.

و لو کان لأجل ذلک لکان أقاده به، و لما طلّ دمه.

و إنما قلنا: إنه قتل و هو منهزم، استنادا إلی نصوص کثیره، نذکر منها ما یلی:

۱- إنه حینما ذکّر علی (علیه السلام) الزبیر بقول رسول (صلی اللّه علیه و آله) له: (أما إنک ستحاربه، و أنت ظالم له).

رجع الزبیر إلی صفوفه، و اتهمه ولده عبد اللّه بالجبن و قال له:

ما أراک إلا جبنت عن سیوف بنی عبد المطلب، إنها لسیوف حداد، تحملها فتیه أنجاد.

فقال الزبیر: و یلک، أتهیجنی علی حربه؟! أما إنی قد حلفت ألا أحاربه.

قال: کفّر عن یمینک، لا تتحدث نساء قریش أنک جبنت، و ما کنت جبانا.

فقال الزبیر: غلامی مکحول حر کفاره عن یمینی.

ثم أنصل سنان رمحه، و حمل علی عسکر علی (علیه السلام) برمح لا سنان له.

فقال علی (علیه السلام): أفرجوا له، فإنه محرج.

ثم عاد إلی أصحابه، ثم حمل ثانیه، ثم ثالثه.

ثم قال لابنه: أجبنا- و یلک- تری؟!

فقال: لقد أعذرت (۱).

۲- و قد قال همام الثقفی:

أیعتق مکحولا و یعصی نبیه لقد تاه عن قصد الهدی ثم عوق

أینوی بهذا الصدق و البر و التقی سیعلم یوما من یبر و یصدق (۲) ۳- و قد قال النجاشی الشاعر، فی رثائه لعمرو بن محصن الأنصاری:

و نحن ترکنا عند مختلف القناأخاکم عبید اللّه لحما ملحّبا

بصفین لما ارفض عنه رجالکم و وجه ابن عتاب ترکناه ملغبا

و طلحه من بعد الزبیر، و لم ندع لضبه فی الهیجا عریفا و منکبا (۳) ۴- و روی البلاذری: أن ابن الزبیر لما جبّن أباه و عیّره، قال له: حلفت ألا أقاتله.

قال: فکفر عن یمینک.

فأعتق غلاما له یقال له: سرجس. و قام فی الصف بینهم (۴).۴.

۱- شرح النهج للمعتزلی (تحقیق محمد أبو الفضل إبراهیم) ج ۱ ص ۲۳۴ و راجع: تلخیص الشافی ج ۴ ص ۱۵۰ و ۱۴۱ و ۱۴۲ و ۱۴۳ و الفصول المختاره ص ۱۰۶ و تاریخ الأمم و الملوک (ط دار المعارف بمصر) ج ۴ ص ۵۰۲ و الکامل فی التاریخ ج ۳ ص ۲۴۰ و ۲۶۱ و تذکره الخواص ص ۷۱ و البحار ج ۳۲ ص ۲۰۵.
۲- البحار ج ۳۲ ص ۲۰۵.
۳- شرح النهج للمعتزلی (ط سنه ۱۹۶۴ م) ج ۲ ص ۸۱۹.
۴- تلخیص الشافی ج ۴ ص ۱۴۳ و شرح النهج للمعتزلی ج ۲ ص ۱۶۷ و تاریخ الأمم و الملوک (ط دار المعارف بمصر) ج ۴ ص ۵۰۹ و أنساب الأشراف (بتحقیق المحمودی) ج ۲ ص ۲۵۴.

۵- و قال عبد الرحمن بن سليمان:

لم أر كاليوم أخا إخوان أعجب من مكفر الأيمان

بالعتق فى معصيه الرحمن

۶- و قال رجل من شعرائهم:

يعتق مكحولا لصون دينه كفاره للّه عن يمينه

و النكث قد لاح على جبينه (۱)

۷- و كتب (عليه السلام) إلى أهل الكوفه يخبرهم بالفتح، و يقول:

(فقتل طلحه و الزبير. و قد تقدمت إليهما بالمعذره، و أبلغت إليهما بالنصيحه، و استشهدت عليهما صلحاء الأمه، فما أطاعا المرشدين، و لا أجابا الناصحين الخ ..) (۲).

۸- و عن سليم فى حديث قال: و نشب القتال، فقتل طلحه، و انهزم الزبير (۳).

۹- و عن الحسن قال: إن عليا (عليه السلام) لما هزم طلحه و الزبير أقبل الناس مهزومين فمروا بامرأه حامل الخ .. (۴).

۱۰- و ذكر الحاكم: أن عليا (عليه السلام) نادى فى الناس: أن لا۴.

۱- تلخيص الشافى ج ۴ ص ۱۴۲ و تاريخ الأمم و الملوك (ط دار المعارف بمصر) ج ۴ ص ۵۰۲ و تذكره الخواص ص ۷۱.

۲- تلخيص الشافى ج ۴ ص ۱۳۶.

۳- البحار ج ۳۲ ص ۲۱۷.

۴- البحار ج ۳۲ ص ۲۱۴.

ترموا أحدا بسهم و لا تطعنوا برمح، و لا تضربوا بسيف، و لا تطلبوا القوم .. إلى أن قال:

ثم الزبير قال لأساوره كانوا معه: ارموهم برشق. و كأنه أراد أن ينشب القتال.

فلما نظر أصحابه إلى الانتشاب لم ينتظروا، و حملوا.

فهزمهم اللّه، و رمى مروان طلحه الخ .. (۱).

و هذا يدل: على أن الوقعه الفاصله قد حصلت بفعل الزبير نفسه و حضوره، و أن الهزيمه وقعت عليه و على أصحابه.

۱۱- و ذكر الطبرى: أنه (لما انهزم الناس فى صدر النهار نادى الزبير:

أنا الزبير، هلموا إلىّ أيها الناس، و معه مولى له ينادى: أعن حوارى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) تنهزمون؟!.

و انصرف الزبير نحو وادى السباع) (۲).

۱۲- و ذكروا أيضا: أن كعب بن سور أقبل إلى عائشه، فقال: أدركى، فقد أبى القوم إلا القتال، فركبت، و ألبسوا هودجها الأدراع، ثم بعثوا جملها، فلما برزت من البيوت وقفت و اقتتل الناس، و قاتل الزبير، فحمل عليه عمار بن ياسر، فجعل يحوزه بالرمح و الزبير كاف عنه، و يقول:

أتقتلنى، يا أبا اليقظان؟

فيقول: لا، يا أبا عبد اللّه.۲.

۱- مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۳۷۱.
۲- تاريخ الأمم و الملوك (ط دار المعارف بمصر) ج ۴ ص ۵۱۲.

و إنما كف عنه الزبير لقول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): تقتل عمارا الفئه الباغيه. و لو لا ذلك لقتله.

و بينما عائشه واقفه إذ سمعت ضجه شديده .. فقالت: ما هذا؟

قالوا: ضجه العسكر.

قالت: بخير أو بشر؟

قالوا: بشر.

فما فجأها إلا الهزيمه.

فمضى الزبير من سننه فى وجهه، فسلك وادى السباع، و جاء طلحه سهم غرب الخ .. (۱).

أضاف ابن الأثير قوله عن الزبير: و إنما فارق المعركه، لأنه قاتل تعذيرا لما ذكر على (عليه السلام) (۲).

۱۳- و نص آخر يقول: (لما انهزم الناس يوم الجمل عن طلحه و الزبير، مضى الزبير حتى مرّ بمعسكر الأحنف الخ ..) (۳).

۱۴- و عن محمد بن إبراهيم قال: (هرب الزبير على فرس له، يدعى بذى الخمار، حتى وقع بسفوان، فمر بعبد اللّه بن سعيد المجاشعى الخ ..) (۴).

۱۵- و فى نص آخر: (هرب الزبير إلى المدينه، حتى أتى وادى السباع،۷.

۱- راجع: الكامل فى التاريخ ج ۳ ص ۲۴۳ و راجع ص ۲۶۲ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۴ ص ۵۰۷.

۲- الكامل ج ۳ ص ۲۴۳.

۳- تاريخ الأمم و الملوك ج ۴ ص ۵۳۴.

۴- الجمل ص ۳۸۷.

فرفع الأحنف صوته الخ ..) (۱).

۱۶- و عن أبی مخنف و غیره: مضی الزبیر حین هزم الناس یرید المدینه، حتی مر بالأحنف أو قریبا منه الخ .. (۲).

۱۷- و لعل ما ذکره البلاذری إذا ضممناه إلی ما تقدم یصلح بیانا لحقیقه ما جری.

فقد روی عن قتاده، قال: لما اقتتلوا یوم الجمل کانت الدبره علی أصحاب الجمل، فأفضی علی إلی الناحیه التی فیها الزبیر، فلما واجهه قال له: یا أبا عبد اللّه، أتقاتلنی بعد بیعتی و بعد ما سمعت من رسول اللّه فی قتالک لی ظالما؟!

فاستحیا و انسل علی فرسه منصرفا إلی المدینه، فلما صار بسفوان لقیه رجل من مجاشع یقال له: النعر بن زمام، فقال له: أجرنی.

قال النعر: أنت فی جواری یا حواری رسول اللّه.

فقال الأحنف: وا عجبا!! الزبیر لفّ بین غارین (أی جیشین) من المسلمین، ثم قد نجا بنفسه الخ .. (۳).

فالمراد بانصراف الزبیر هو انصراف الهزیمه، لا انصراف التوبه کما هو ظاهر هذا النص إذ لو کان قد انصرف عن القتال علی سبیل التوبه، لما احتاج إلی من یجیره.۸.

۱- الجمل ص ۳۹۰.
۲- أنساب الأشراف (بتحقیق المحمودی) ج ۲ ص ۲۵۴.
۳- المصدر السابق ج ۲ ص ۲۵۸.

و قد صرحت سائر النصوص التی ذکرناها آنفا بهذه الهزیمه.

صیغه أخری لما جری فی خیبر:

قد تقدم: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله)، قال لعلی (علیه السلام) قاتلهم حتی یشهدوا أن لا إله إلا اللّه، و أن محمدا عبده و رسوله ..

و لکن نصا آخر ذکر تفصیلا لهذه الوصیه یحتاج إلی الکثیر من الدراسه و التأمل، فإنه (صلی اللّه علیه و آله) حین دفع إلیه الرایه قال له:

(سر فی المسلمین إلی باب الحصن، و ادعهم إلی إحدی ثلاث خصال:

إما أن یدخلوا فی الإسلام، و لهم ما للمسلمین، و علیهم ما علیهم، و أموالهم لهم ..

و إما أن یذعنوا للجزیه و الصلح، و لهم الذمه، و أموالهم لهم.

و إما الحرب.

فإن اختاروا الحرب فحاربهم.

فأخذها و سار بها و المسلمون خلفه، حتی وافی باب الحصن، فاستقبله حماه الیهود، و فی أولهم مرحب یهدر کما یهدر البعیر.

فدعاهم إلی الإسلام فأبوا، ثم دعاهم إلی الذمه فأبوا، فحمل علیهم أمیر المؤمنین (علیه السلام) فانهزموا بین یدیه و دخلوا الحصن و ردوا بابه، و کان الباب حجرا منقورا فی صخر، و الباب من الحجر فی ذلک الصخر المنقور کأنه حجر رحی، و فی وسطه ثقب لطیف، فرمی أمیر المؤمنین (علیه السلام) بقوسه من یده الیسری، و جعل یده الیسری فی ذلک الثقب الذی فی وسط الحجر دون الیمنی، لأن السیف کان فی یده الیمنی، ثم جذبه إلیه

فانهار الصخر المنقور، و صار الباب فی یده الیسری.

فحملت علیه الیهود، فجعل ذلک ترسا له، و حمل علیهم فضرب مرحبا فقتله، و انهزم الیهود من بین یدیه؛ فرمی عند ذلک الحجر بیده الیسری إلی خلفه، فمر الحجر الذی هو الباب علی رؤس الناس من المسلمین إلی أن وقع فی آخر العسکر.

قال المسلمون: فذرعنا المسافه التی مضی فیها الباب فکانت أربعین ذراعا، ثم اجتمعنا علی الباب لنرفعه من الأرض و کنا أربعین رجلا حتی تهیأ لنا أن نرفعه قلیلا من الأرض) (۱).

و نقول:

إننا نذکر القارئ بالأمور التالیه:

۱- إن من ینقض العهود، و یخون المواثیق إنما یعامله الناس بحزم و بقسوه، و لا یعطونه عاده أی خیار، و لا یمنحونه أیه فرصه للاختیار، أما إذا تکررت تلک الخیانات، و ظهر تصمیمه علی ممارسه العدوان فی أیه فرصه تسنح له، فلا یترددون فی سحقه، و تدمیره، و اقتلاعه من جذوره ..

و لکن نبینا الأعظم (صلی اللّه علیه و آله)، لم یعامل الیهود بهذه الروحیه، بل عاملهم بالعفو و بالتسامح، و بالسعی لمجرد إبطال کیدهم، و دفع شرهم. رغم تکرر خیاناتهم له، و إصرارهم علی نقض العهود، و إعلانهم الحرب علیه.۸.

۱- البحار ج ۲۱ ص ۲۹ و الخرایج و الجرایح ج ۱ ص ۱۶۱ و راجع: إحقاق الحق ج ۵ ص ۳۶۸.

فها هو يقـدم لهم خيارات تمنحهم الحياه، و تعفيهم من العقوبه، بل إن بعض تلك الخيارات يمنحهم حصانه، و حقوقا، تساويهم مع سائر من هم معه (صلى اللّه عليه و آله) ..

إنه يقول لهم: إن أسلموا حقنوا دماءهم، و احرزوا أموالهم، و لهم ما للمسلمين، و عليهم ما عليهم.

و إن لم يفعلوا ذلـك .. فـإنه أيضـا لاـ ينظر إليهم نظره العـدو و المحـارب، بـل هو يعطيهم فرصه أخرى للعيش بأمن و سـلام، و تكون أموالهم لهم، و لهم ذمه المسلمين.

۲- إن اقتلاع باب خيبر كان كافيا لإقناع اليهود بعدم جدوى الحرب، و بأن رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله)، و وصيه، و أولياءه مؤيدون من اللّه ..

و كان كافيا لأن تستسلم قلوبهم لنداء الضمير و الوجدان، و يعلنوا إيمانهم و إسلامهم.

و لكن ذلك لم يكن، بل عكسه هو الذى كان، فقد حملوا على على (عليه السلام) مره أخرى ..

فحمل عليهم و هزمهم ..

۳- ثـم رمى ذلـك البـاب من يـده إلى مسافـات بعيـده، فكـان ذلـك يكفى رادعـا آخر لهم عن غيهم، و دافعـا لهم ليثوبـوا إلى رشدهم، و ليعلنوا إيمانهم.

و لكن ذلك لم يحصل أيضا.

۴- و الأغرب من كل هذا و ذاك: أن النبى (صـلى اللّه عليه و آله) لم يغيّر طريقه تعامله معهم، بل بقى يعتمد سـياسه الصـفح، و الرفق و التخفيف.

فهو بعد كل هذا العناد، و التحدى و الإصرار على مواصله الحرب، لم ينتقم

منهم، و لم يواجههم بما يستحقونه، بل قبل بأن يعملوا له فى الأرض، و أن يعطوه نصف ما يحصل منها .. مع أنهم لا يستحقون البقاء على قيد الحياه، فضلا عن أن يكون (صلى اللّه عليه و آله) هو الذى يهى ء لهم الفرصه للحصول على ما يعتاشون به، و يلبى لهم حاجاتهم.

من سمى عليا عليه السّلام بحيدره؟!

قد تقدم: أن عليا (عليه السلام) قال فى مواجهه مرحب:

أنا الذى سمتنى أمى حيدرهكليث غابات كريه ...

و قال ثابت بن قاسم: فى تسميه على (عليه السلام) بحيدره، ثلاثه أقوال:

أحدها: أن اسمه فى الكتب المتقدمه أسد، و الأسد هو الحيدره.

الثانى: أن أمه فاطمه بنت أسد (رضى اللّه عنها) حين ولدته، كان أبوه غائبا، فسمته باسم أبيها. فقدم أبوه فسماه عليا.

الثالث: أنه كان لقب فى صغره بحيدره، لأن (الحيدره) الممتلئ لحما مع عظم بطن. و كذلک كان على (۱).

و ذكر ذلک الحلبى أيضا و لكنه لم يشر إلى أن اسمه فى الكتب المتقدمه۲.

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۶۳ و قال: (و ذكره الشيخ كمال الدين الدميرى (ره) فى شرح المنهاج) و راجع: حياه الحيوان (ط المكتبه الشرفيه بالقاهره) ج ۱ ص ۲۳۷ و لسان العرب (ط سنه ۱۴۱۶ ه) ج ۳ ص ۸۴ و ۸۵ و مجمع البحرين ج ۳ ص ۲۶۱ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۵۰ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱ ص ۱۲.

أسد، فراجع (۱).

ثم قال: (و يقال: إن ذلک کان کشفا من علی کرم اللّه وجهه، بحيث إن اللّه أطلع عليا علی رؤيا کان مرحب قد رآها فی تلک الليله فی المنام: أن أسدا افترسه، فذکّره علی کرم اللّه وجهه بذلک. ليخيفه، و يضعف نفسه) (۲).

و نقول:

أولا: لو صح قولهم: إن لکلمه حيدره عده معان، فلما ذا يختارون منها ما يوهم الناس بأمور غير محببه؟! حتی لقد قالوا: الحيدره: الممتلئ لحما مع عظم بطن، و کذلک کان علی (عليه السلام). أی أنه قد لقب ب (الحيدره) لعظم بطنه ..

مع أنهم يقولون: إن أمه هی التی سمته بذلک حين ولدته، فهل کان عظيم البطن من حين ولادته؟!

و إذا کان قد صرح هو نفسه: بأن أمه قد سمته بحيدره و کان ذلک منذ ولادته، فما معنی قولهم: لقّب بذلک منذ صغره؟!

فإن اللقب غير الاسم .. و الاسم يوضع للمولود من حين يولد، و لحوق اللقب فی الصغر قد يتأخر لمده سنوات.

ثانيا: ما معنی قولهم: کان لقّب فی سفره ب (الحيدره)؟ ألا ينافی هذا قول علی (عليه السلام) نفسه:

أنا الذی سمتنی أمی حيدرهکليث غابات کريه ... ۸.

۱- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۸.

۲- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۸.

ثالثا: لماذا لا يذكرون ما قاله ابن الأعرابی: الحیدره فی الأسد مثل الملک فی الناس، و ما قاله أبو العباس: یعنی لغلظ عنقه، و قوه ساعدیه؟!

رابعا: قد ذکر ابن بری: أن أم علی لم تسم علیا (علیه السلام) حیدره، بل سمته أسدا (۱).

لکنه (علیه السلام) لم یتمکن من ذکر الأسد لأجل القافیه، فعبر بمعناه و هو: (حیدره)، فرد علیه ابن منظور بقوله:

(و هذا العذر من ابن بری لا یتم له، إلا إن کان الرجز أکثر من هذه الأبیات، و لم یکن أیضا ابتدأ بقوله: (أنا الذی سمتنی أمی حیدره)، و إلا فإذا کان هذا البیت ابتداء الرجز، و کان کثیرا أو قلیلا، کان رضی اللّه عنه مخیرا فی إطلاق القوافی علی أی حرف شاء، مما یستقیم الوزن له به.

کقوله: (أنا الذی سمتنی أمی الأسد)، أو (أسدا)، و له فی هذه القافیه مجال واسع، فنطقه بهذا الاسم علی هذه القافیه من غیر قافیه تقدمت، یجب اتباعها، و لا ضروره صرفته إلیها، مما یدل علی أنه سمی حیدره) (۲).

الصحیح فی هذه القضیه:

و الصحیح هو: ما رواه المفید عن الحسین بن علی بن محمد التمار، عن علی بن ماهان، عن عمه، عن محمد بن عمر، عن ثور بن یزید، عن مکحول، قال:

لما کان یوم خیبر خرج رجل یقال له: مرحب. و کان طویل القامه،۵.

۱- لسان العرب (ط سنه ۱۴۱۶ ه.) ج ۳ ص ۸۴.

۲- المصدر السابق ج ۳ ص ۸۴ و ۸۵.

عظيم الهامه، و كانت اليهود تقدمه لشجاعته و يساره.

قال: فخرج ذلک اليوم إلى أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فما واقفه قرن إلا ـ قال: أنا مرحب. ثم حمل عليه، فلم يثبت له.

قال: و كانت له ظئر، و كانت كاهنه، تعجب بشبابه، و عظم خلقه.

و كانت تقول له: قاتل كل من قاتلک، و غالب كل من غالبک، إلا من تسمّى عليک ب (حيدره)، فإنک إن وقفت له هلكت.

قال: فلما كثر مناوشته، و جزع الناس بمقاومته، شكوا ذلک إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و سألوه أن يخرج إليه عليا (عليه السلام)، فدعا النبى (صلى اللّه عليه و آله) عليا (عليه السلام)، و قال له: (يا على، اكفنى مرحبا).

فخرج إليه أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلما بصر به مرحب يسرع إليه فلم يره يعبأ به، أنكر ذلک، و أحجم عنه، ثم أقدم و هو يقول:

أنا الذى سمتنى أمى مرحبا....

فأقبل على (عليه السلام) و هو يقول:

أنا الذى سمتنى أمى حيدرهكليث غابات كريه ....

فلما سمعها منه مرحب هرب و لم يقف، خوفا مما حذرته منه ظئره، فتمثل له إبليس فى صوره حبر من أحبار اليهود، فقال: إلى أين يا مرحب؟

فقال: قد تسمى علىّ هذا القرن بحيدره!!

فقال له إبليس: فما حيدره؟

فقال: إن فلانه ظئرى كانت تحذرنى من مبارزه رجل اسمه حيدره، و تقول: إنه قاتلک.

فقال له إبليس: شوها لک، لو لم يكن حيدره إلا هذا وحده لما كان

مثلک یرجع عن مثله، تأخذ بقول النساء، و هن یخطئن أکثر مما یصبن؟! و حیدره فی الدنیا کثیر، فارجع فلعلک تقتله، فإن قتلته سدت قومک، و أنا فی ظهرک أستصرخ الیهود لک، فرده، فو اللّه ما کان إلا کفواق ناقه حتی ضربه علی ضربه سقط منها لوجهه، و انهزم الیهود یقولون: قتل مرحب، قتل مرحب (۱).

إشارات و دلالات:

اشاره

و قد تضمن هذا الحدیث أمورا هامه تحسن الإشاره إلیها. و الدلاله علیها، و هی التالیه:

ألف: سر زعامه مرحب:

قد ذکر الحدیث: أن سبب تقدیم الیهود لمرحب أمران:

أحدهما: شجاعته.

و الثانی: یساره.

نعم .. و هذا هو المتوقع من الیهود الذین لا یفکرون إلا بالمال، و بالدنیا، و الذین یسعون فی الأرض فسادا، و یثیرون الفتن بین الناس، و کل همهم هو الهیمنه علی الآخرین، و إذلالهم، و قهرهم، فإن ذلک هو ما ینسجم مع نظرتهم الاستعلائیه إلی کل من هو غیر إسرائیلی، لأنهم- بزعمهم- شعب اللّه المختار، و قد خلق اللّه تعالی غیرهم من أجل خدمتهم، و قد۸.

۱- البحار ج ۲۱ ص ۹ عن الأمالی للمفید، و أمالی الطوسی ص ۴ و مدینه المعاجز ج ۱ ص ۱۷۸.

تحدثنا عن جانب من آرائهم هذه فی کتابنا: سلمان الفارسی فی مواجهه التحدی.

إن تقدم مرحب بینهم لم یکن لأجل عقله، و دینه، و مزایاه الأخلاقیه، و الإنسانیه، بل لأنهم یحتاجون إلی فروسیته و شجاعته، و قوته، و یحتاجون إلی ماله و دنیاه أیضا.

ب: اکفنی مرحبا:

و بعد، فما أروع کلمه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (یا علی، اکفنی مرحبا)، فإنه تحدث بصیغه المتکلم وحده (اکفنی)، ربما لکی یشیر: إلی أنه (صلی اللّه علیه و آله) هو المقصود الحقیقی لمرحب، و أن همه الیهود منصرفه إلی النیل من شخص رسول للّه (صلی اللّه علیه و آله)، و أن لا مشکله لمرحب مع أحد من الناس إلا معه (صلی اللّه علیه و آله) ..

أما سائر من حضر فلا یقیم مرحب لهم وزنا، و هو قادر علی استیعاب کل حرکتهم ضده، و لیشیر (صلی اللّه علیه و آله) فی کلامه هذا: إلی أن الذی یکفیه و یدفعه عنه هو خصوص علی (علیه السلام) دون سواه.

ج: الناس یریدون علیا علیه السّلام:

و صرحت الروایه الآنفه الذکر أیضا: بأن الناس حین جزعوا و عجزوا عن مقاومه مرحب التجأوا إلی النبی (صلی اللّه علیه و آله)، و سألوه أن یخرج إلیه علیا (علیه السلام). مع علمهم بشده مرضه (علیه السلام)، و ذلک یدل علی أنهم کانوا یعرفون طرفا من جهاد علی (علیه السلام)، و إقدامه و تضحیاته فی سبیل اللّه تعالی، و یعرفون أنه لا یتعرض له أحد إلا

هلک، و أن مرضه لا یقصر به عن بلوغ غایاته ..

فإن صحت هذه الروایه التی نحن بصدد الحدیث عنها، فهی لا تنافی روایات إرسال غیر علی (علیه السلام) بالرایه قبله، لجواز أن یکون الناس قد طلبوا من النبی (صلی اللّه علیه و آله) إرسال علی (علیه السلام) بعد فشل الذین کان قد أرسلهم قبل ذلک ..

بل قد یکون طلبهم هذا قبل إرسال الآخرین أیضا، لکن النبی الأعظم (صلی اللّه علیه و آله) قد آثر أن لا یرسل علیا (علیه السلام) من أول یوم لمصالح رآها ..

و لعل بعضها قد اتضح فی ثنایا هذا الکتاب.

بل قد یکون قسم من المسلمین، طلبوا من النبی (صلی اللّه علیه و آله) أن یخرج علیا (علیه السلام) لمرحب، مع عدم علمهم بحالته الصحیه، فوافق ذلک ما کان النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد عقد العزم علیه، فأعطاه الرایه، و أمره بأن یکفیه مرحبا.

ثم تعجب العارفون برمد عینی علی (علیه السلام)، حین رأوه (علیه السلام) قد حضر بینهم.

و بذلک یتضح: أنه لا تناقض و لا اختلاف فیما بین هذه الروایه و روایه إعطاء الرایه لعلی (علیه السلام)، خصوصا تلک التی صرحت بأنهم قد فوجئوا بعلی (علیه السلام).

د: تمثل أبلیس:

و قد یستغرب البعض أن یتمثل إبلیس بصوره بعض أحبار الیهود ..

و لکن الحقیقه هی: أنه لا ـ غرابه فی ذلک، فإن الآیات قد صرحت بأن إبلیس کان من الجن .. و الجن کما دلت علیه الروایات یقدرون علی التمثل، تماما کما یقدر الملائکه علی ذلک.

و قد دلت الآیات و الروایات علی تمثل الملائکه، قال تعالی: فَأَرْسَلْنا إِلَیْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِیًّا (۱).

و کان جبرئیل یتمثل بصوره دحیه الکلبی- علی حد زعمهم-.

و قد ذکر اللّه تعالی: أن إبلیس کان من الجن، فقال: إِلَّا إِبْلِیسَ کانَ مِنَ الْجِنِ (۲).

و أشارت الروایات: إلی أن الجن أیضا یتمثلون بصوره البشر، و یدل علی ذلک: ما ورد من أن إبلیس قد تمثل لقریش حینما تآمروا علی قتل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و أشار علیهم باختیار عشره من الرجال- کل واحد من قبیله- و یبیّتوا رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و یضربوه بأسیافهم لیضیع دمه فی القبائل ..

فقبلوا مشورته، و حاولوا تنفیذها فی لیله الهجره، حیث بات علی (علیه السلام) فی فراش الرسول (صلی اللّه علیه و آله)، فنجی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بسبب ذلک (۳).

و قد روی عن الحارث الأعور قال: بینا أمیر المؤمنین (علیه السلام)۲.

۱- الآیه ۱۷ من سوره مریم.

۲- الآیه ۵۰ من سوره الکهف.

۳- تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۶۸ و البدایه و النهایه ج ۳ ص ۱۷۵ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۳۲۱ و ۳۲۲.

يخطب على المنبر يوم الجمعه، إذ أقبل أفعى من باب الفيل ..

إلى أن تقول الروايه:

إن عليا (عليه السلام) أخبرهم: أن هذا الأفعى هو من الجن قال:

(فأتانى فى ذلک، و تمثل فى هذا المثال، يريكم فضلى الخ ..) (۱).

فلاحظ قوله: (و تمثل فى هذا المثال).

و فى روايه أخرى: أن هاتفا كلّم النبى، فقال (صلى اللّه عليه و آله)، له:

(اظهر رحمک اللّه فى صورتک.

قال سلمان: فظهر لنا شيخ أذب، أشعر، قد لبس وجهه شعر غليظ الخ ..) (۲).

و فى حديث آخر: أنه (صلى اللّه عليه و آله) كان جالسا بالأبطح، و عنده جماعه من أصحابه .. (إذ نظرنا إلى زوبعه قد ارتفعت فأثارت الغبار، و ما زالت تدنو و الغبار يعلو إلى أن وقفت بحذاء النبى (صلى اللّه عليه و آله)، ثم برز منها شخص كان فيها، ثم قال: يا رسول اللّه ..

إلى أن تقول الروايه:

فقال له النبى (صلى اللّه عليه و آله): فاكشف لنا عن وجهک حتى نراک على هيئتک التى أنت عليها.

قال: فكشف لنا عن صورته، فنظرنا فإذا الشخص عليه شعر كثير،۳.

۱- الثاقب فى المناقب ج ۲ ص ۲۴۸ و مدينه المعاجز ج ۱ ص ۱۴۱.

۲- مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب ج ۲ ص ۳۰۸ و مدينه المعاجز ج ۱ ص ۱۴۴ و ۱۴۵ و الأنوار العلويه ص ۱۳۳ و حليه الأبرار ج ۱ ص ۲۶۸ و ج ۲ ص ۹۵ و البحار ج ۳۹ ص ۱۸۳.

فإذا رأسه طويل العينين، عيناه فی طول رأسه، صغير الحدقتين الخ ..) (۱).

و عن الإمام الصادق (عليه السلام): إن إبليس لعنه اللّه قد طلب من ربه أن: (لا يولد لهم- أی لبنی آدم- ولد إلا ولد لی اثنان، و أراهم، و لا يرونی، و أتصور لهم فی كل صوره شئت) (۲).

و فی حديث آخر: أن رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) كان جالسا، و عنده جنی يسأله عن قضايا مشكله، فأقبل أمير المؤمنين، فتصاغر الجنی حتی صار كالعصفور الخ .. (۳).

يضاف إلی ما تقدم حديث يقول: إن جنيه من أهل نجران تمثلت فی مثال أم كلثوم (۴) فراجع.

و أمثال ذلک كثير لا مجال لاستقصائه .. و هو يدل علی ما ذكرناه من۴.

۱- مدينه المعاجز ج ۱ ص ۱۴۸ و ۱۴۹ و حليه الأبرار ج ۱ ص ۲۷۰ و ج ۲ ص ۹۱۸ و عيون المعجزات ص ۴۳ و البحار ج ۱۸ ص ۸۶ و ج ۳۹ ص ۱۶۹ و ج ۶۰ ص ۹۱ و نوادر المعجزات للطبری ص ۵۳ و الإحتجاج للطبرسی ج ۱ ص ۱۶۹ و اليقين لابن طاووس ص ۲۶۱ و حليه الأبرار ج ۲ ص ۹۸.

۲- تفسير الميزان ج ۸ ص ۶۱ عن تفسير القمی.

۳- مشارق أنوار اليقين ص ۸۵ و مدينه المعاجز ج ۱ ص ۱۴۲ عنه، و حليه الأبرار ج ۲ ص ۱۵ و مجمع النورين ص ۱۹۰.

۴- البحار ج ۴۲ ص ۸۸ و الخرائج و الجرائح ج ۲ ص ۸۲۵ و ۸۲۶ و مرآه العقول ج ۲۱ ص ۱۹۸ و راجع: المجدی فی أنساب الطالبيين ص ۱۷ و ۱۸ و مدينه المعاجز ج ۳ ص ۲۰۲ و الصراط المستقيم ج ۳ ص ۱۳۰ و سفينه البحار (ط سنه ۱۴۱۴ ه) ج ۱ ص ۶۸۴.

قدره الجن- و إبليس منهم- على الظهور بأيه صوره أرادوا ..

شكوک حول مقتل عامر:

روی الشیخان، و البیهقی، عن سلمه بن الأکوع، قال: لما تصاف القوم یوم خیبر، و کان سیف عامر فیه قصر، فتناول به ساق یهودی لیضربه، فرجع ذباب سیفه، فأصاب عین رکبته، فمات منه.

فلما قفلوا سمعت نفرا من أصحاب محمد رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یقولون: بطل عمل عامر، قتل نفسه. فأتیت رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و أنا أبکی فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، لما رآنی شاحبا:

ما لک؟

قلت: فداک أبی و أمی، زعموا أن عامرا حبط عمله.

قال: (من قال)؟

قلت: فلان و فلان، و أسید بن الحضیر الأنصاری الخ .. (۱).۷

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۴۶ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۲ و راجع: الإصابه ج ۲ ترجمه عامر بن سنان و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۶۱ و ۶۶۲ و عبقات الأنوار ج ۳ ص ۲۷۸ و مسند أحمد ج ۴ ص ۴۸ و عن صحیح البخاری ج ۵ ص ۷۳ و ج ۷ ص ۱۰۸ و ج ۸ ص ۴۱ و عن صحیح مسلم ج ۵ ص ۱۸۶ و عن فتح الباری (المقدمه) ص ۳۰۳ و ج ۷ ص ۳۵۸ و المعجم الکبیر ج ۷ ص ۳۳ و جزء أحادیث الشعر ص ۱۰۲ و الطبقات الکبری ج ۴ ص ۳۰۴ و تاریخ مدینه دمشق ج ۶۰ ص ۲۴۰ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۲۰۸ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۳۴۷.

و نقول:

إننا نشک فی هذه الروایه لما یلی:

أولا: إن مجرد إصابه ذباب السیف لعین رکبه إنسان لا یقتضی موته، بل هی جراحه بسیطه قابله للشفاء ..

ثانیا: إن هذا النوع من الجراحات- لو کان یؤدی بالمجروح إلی الموت- لا یوجب الموت مباشره، فهو لیس مثل ضرب العنق، أو الطعن فی القلب، أو شق الرأس. بل هو لا یمیت إلا بعد وقت طویل، و تفاعل أمراض، و حصول مضاعفات، مع أن ظاهر الکلام هو: أن عامرا قد مات من ذلک فی وقت قصیر.

ثالثا: لماذا یبکی سلمه، ألم یکن یعلم: أن من لم یتعمد قتل نفسه لا یعد قاتلا لها، و لا موجب لحبط عمله.

رابعا: إن ما ذکروه فی وجه إصابه ذباب السیف لعین رکبه عامر مما یصعب تصوره، إلا فی حاله لا تکاد تحصل إلا ممن تعمد فعل ذلک، و لماذا یتعمد فعل أمر یحتاج إلی تکلف و جهد، ما دام أن بإمکانه تحقیق غرضه بضرب نفسه بمواضع من السیف هی أدنی من ذبابه ..

شائعات أسید بن حضیر:

قد تقدم: أن الناس قالوا عن عامر بن الأکوع، الذی قتله مرحب- حسب زعمهم-: قد قتله سلاحه.

و فی روایه: قتل نفسه. أی فلیس بشهید.

و أن سلمه بن الأکوع قال لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): زعموا أن

أخی عامرا حبط عمله، أو قال: یزعم أسید بن حضیر، و جماعه من أصحابک: أن عامرا حبط عمله، إذ قتل بسیفه.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): کذب من قال، و إن له لأجرین، و جمع بین إصبعین.

و فی روایه: و إنه لشهید.

و فی نص آخر: إنه لجاهد، مجاهد قل عربی مشی- و فی لفظ: نشأ بها- مثله (۱).

و نلاحظ هنا:

أولا: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد أجاب بعباره تتضمن اتهاما صریحا لأولئک القائلین، بأنهم قد کذبوا فیما قالوه. حیث لم یقل: إنهم أخطأوا، أو نحو ذلک.

فوصفهم النبی (صلی اللّه علیه و آله) بالکذب یدل: علی أنهم متعمدون للإخبار عن أمر یعلمون أنه خلاف الواقع، و هذا یؤکد أنهم لا یملکون من الورع ما یحجزهم عن ارتکاب الکبائر- و منها الکذب- حتی علی إنسان قد نال مقام الشهاده فی سبیل اللّه ..

مع أن کل أحد یعلم: أن من لم یتعمد قتل نفسه، لا موجب لحبط عمله.

و قد حاول الحلبی: التخفیف من وقع هذا التعبیر النبوی بادعاء: أن۷.

۱- راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۲ و راجع: الإصابه ج ۲ ترجمه عامر بن سنان، و إمتاع الأسماع ص ۳۱۷.

المراد بالكذب: الخطأ، أى أخطأ من قال (۱).

غير أننا نقول له:

أولا: إن هذا خلاف ظاهر الكلام، إذ كان بالإمكان أن يقول: أخطأ من قال.

ثانيا: لقد وصف سلمه بن الأكوع عامرا فى هذه الروايه: بأنه أخوه، مع أنهم يقولون: إن الصحيح أنه عمه، و هذا وجه آخر من وجوه ضعف هذه الروايه ..

و أجيب: بأنه من الجائز: أن يكون أخاه من الرضاعه، و عمه فى النسب، فجاز له أن يقول: أخى (۲).

و نقول:

إن من الندره بمكان، أن يعدل عن التعبير بالعم إلى التعبير بالأخ؛ لأجل الأخوه الرضاعيه بمجردها. بل لم نجد أحدا يفعل ذلك.

بل الإنصاف يقضى: بأن يعدّ هذا من الأدله على أن عامرا كان أخا لسلمه فعلا، و اللّه هو العالم.

ابن مسلمه قاتل مرحب .. كذبه مفضوحه:

قد تقدم أن هناك من يزعم: أن قاتل مرحب هو محمد بن مسلمه، و ليس على بن أبى طالب (عليه السلام)، فقد روى البيهقى عن عروه، و عن موسى بن عقبه، و عن الزهرى، و عن ابن إسحاق، و عن محمد بن عمر عن۶.

۱- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۲ و راجع: البحار ج ۲۱ ص ۲ و ۳.

۲- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۴۶.

شيوخه، قالوا: و اللفظ لابن إسحاق، قال: حدثنى عبد اللّه بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل، أخو بنى حارثه، عن جابر بن عبد اللّه- رضى اللّه عنه- قال:

خرج مرحب اليهودى من حصن خيبر، و قد جمع سلاحه يقول: من يبارز؟ و يرتجز:

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

أطعن أحيانا و حينا أضرب إذا الليوث أقبلت تجرب

إن حماى للحمى لا يقرب

فأجابه كعب بن مالك:

قد علمت خيبر أنى كعب مفرج الغمى جرى ء صلب

إن شبت الحرب تلتها الحرب معى حسام كالعقيق عضب

نطؤكم حتى يذل الصعب نعطى الجزاء أو يفى ء النهب

بكف ماض ليس فيه عتب

قال ابن هشام: و أنشدنى أبو زيد:

قد علمت خيبر أنى كعب و أننى متى تشب الحرب

ماض على الهول جرى ء صلب معى حسام كالعقيق عضب

بكف ماض ليس فيه عتب ندككم حتى يذل الصعب قال: و مرحب: ابن عميره.

قال جابر: فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (من لهذا)؟

قال محمد بن مسلمه: أنا له يا رسول اللّه، أنا و اللّه الموتور الثائر، قتل

أخى بالأمس.

فأمره بأن يقوم إليه، قال: (اللهم أعنه عليه).

(و فى بعض المصادر: و أعطاه سيفه، فخرج إليه، و دعاه إلى البراز، فارتجز كل منهما).

قال: فلما دنا أحدهما من صاحبه، دخلت بينهما شجره عمريه (غمرته) من شجر العشر، فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه، فكلما لاذ منه بها اقتطع صاحبه ما دونه منها، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه، و صارت بينهما كالرجل القائم، ما فيها فنن.

ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمه فضربه، فاتقاه بالدرقه، فوقع سيفه فيها، فعضت به فأمسكته، و ضربه محمد بن مسلمه فقطع فخذيه حتى قتله (۱).

قالوا: و نفّل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) محمد بن مسلمه يوم خيبر سلب مرحب: سيفه، و رمحه، و مغفره، و بيضته (۲).

قال الواقدى: (فكان عند آل محمد بن مسلمه سيفه، فيه كتاب لا٦.

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۷ و ۱۲۸ و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۷ و ۳۸ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۵۵ و ۶۵۶ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۵۰ و ۵۱ عن الإكتفاء و عن مسند أحمد ج ۳ ص ۳۸۵ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۵۰ و بغيه الباحث ص ۲۱۷ و تاريخ مدينه دمشق ج ۵۵ ص ۲۶۸ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۹۹ عن السيره النبويه لابن هشام ج ۳ ص ۷۹۷ و البدايه و النهايه ج ۴ ص ۲۱۵.

۲- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۸ عن مختصر المزنى و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۵۶.

يدرى ما هو، حتى قرأه يهودى من يهود تيماء، فإذا فيه:

هذا سيف مرحب من يذقه يعطب) (١) .

ابن مسلمه يقتل كنانه بأخيه:

و يقولون أيضا: إنه بعد تعذيب كنانه ابن أبى الحقيق دفعه (صلى اللّه عليه و آله) لمحمد بن مسلمه، فضرب عنقه بأخيه محمود.

و ذكروا فى توجيه بشاره النبى (صلى اللّه عليه و آله) لمحمود هذا بنزول فرائض البنات: أن محمود بن مسلمه كان متمولا، و كان ماله أكثر من أموال أخيه محمد. فلما سقطت عليه الرحى جعل يقول لأخيه: بنات أخيك لا يتبعن الأفياء، يسألن الناس.

فيقول له محمد: لو لم تترك مالا لكان لى مال. و لم تكن فرائض البنات قد نزلت.

فلما كان يوم موته، و هو اليوم الذى قتل فيه مرحب أرسل النبى (صلى اللّه عليه و آله) جعيل بن سراقه الغفارى، ليبشر محمود بأن اللّه قد أنزل فرائض البنات و أن محمد بن مسلمه قد قتل قاتله.

فسر بذلك، و مات فى اليوم الذى قتل فيه مرحب بعد ثلاث من سقوط الرحى عليه من حصن ناعم (٢).٨.

١- المغازى للواقدى ج ٢ ص ۶۵۶.

٢- إمتاع الأسماع ص ٣١۶ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ۶۵٨.

و نقول:

إن هذا الكلام كله غير صحيح، و ذلک لما يلی:

أولا: إن الفاصل بين ما جرى فی حصن ناعم حيث قتل محمود بن مسلمه و بين قتل مرحب فی حصن القموص كان أياما كثيره تعد بالعشرات ..

ثانيا: إنه لا ربط بين البشاره بنزول فرائض البنات و بين البشاره بقتل مرحب.

ثالثا: إن فرائض البنات قد نزلت قبل ذلک بسنوات، و يشهد لهذا: أن الآيات المرتبطه بذلک هی فی سور قد نزلت قبل ذلک بزمان طويل ..

رابعا: إن قاتل مرحب هو علی (عليه السلام)، لا محمد بن مسلمه ..

و شواهد ذلک كله يجدها المتتبع بالمراجعه.

خامسا: إن رواياتهم فی قاتل محمود بن مسلمه مختلفه و متناقضه.

فهم يدّعون: أن قاتله هو مرحب.

ثم يدّعی بعضهم أيضا: أن ابن مسلمه قد قتل مرحبا بأخيه.

ثم هم يدّعون: أن عليا (عليه السلام) حين فتح الحصن أخذ قاتل محمود، و دفعه لأخيه محمد بن مسلمه، فقتله به ..

ثم يدّعون أيضا هنا: أن النبی (صلی اللّه عليه و آله) قد دفع كنانه ابن أبی الحقيق إلی محمد بن مسلمه ليقتله بأخيه محمود (١).

فلماذا هذا الاختلاف؟! و ما هو السبب فی هذا التخبط؟!

و قد يقال فی دفع هذا التناقض الأخير: إن عليا (عليه السلام) دفعه٨.

١- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٤٣ و راجع: السير الكبير للشيبانی ج ١ ص ٢١٨.

للنبی (صلی اللّه علیه و آله)، و النبی دفعه لمحمد بن مسلمه، فصح نسبه ذلک إلیه (صلی اللّه علیه و آله) تاره، و إلی علی (علیه السلام) أخری ..

و نحن لو قبلنا هذا التوجیه، فإنه لا یدفع التناقض الآخر .. و لا یدفع التناقض بین کون القاتل لمحمود هو مرحب، أو کنانه ..

کما أن ملاحظه روایاتهم تعطی: أن هؤلاء الناس لیس لهم همّ و لا شغل إلا روایه الأحادیث فی الإشاده بمحمد بن مسلمه، و تسطیر المآثر و البطولات له، و کأن النبی (صلی اللّه علیه و آله) و علیا (علیه السلام) و سواهما متحیرون فی کیفیه إرضاء ابن مسلمه، و تطییب خاطره، و تلبیه طلباته ..

سادسا: إن دعواهم تعذیب کنانه بن أبی الحقیق قبل قتله، علی ید هذا تاره و ذاک أخری، دلیل آخر علی کذب هذه الروایه، إذ لا مبرر لتعذیبه.

و یکفی أن نذکّر الناس بوصیه علی (علیه السلام) بقاتله عبد الرحمن بن ملجم، حیث قال:

(ما فعل ضاربی؟! أطعموه من طعامی، و اسقوه من شرابی، فإن عشت فأنا أولی بحقی، و إن مت فاضربوه و لا تزیدوه) (۱).

و فی نص آخر: (احبسوه، و أطیبوا طعامه، و ألینوا فراشه، فإن أعش فعفو، أو قصاص الخ ..) (۲).۴.

۱- المناقب للخوارزمی ص ۲۸۰ و ۲۸۱.

۲- الثقات ج ۲ ص ۳۰۳ و الأخبار الطوال ص ۲۱۵ و الطبقات الکبری لابن سعد ج ۳ ق ۱ ص ۲۵ و ۲۶ و راجع: أنساب الأشراف (بتحقیق المحمودی) ج ۲ ص ۴۹۵ و ۵۰۲ و ۵۰۴.

حدّث العاقل بما لا يليق له:

اشاره

و حول دور محمد بن مسلمه فی قتل مرحب نضیف إلی ما تقدم ما قاله الحاکم النیسابوری: (علی أن الأخبار متواتره بأسناد کثیره: أن قاتل مرحب أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام) (١).

و قال الذهبی: الأخبار متواتره: أن قاتل مرحب علی (٢).

و قال الصالحی الشامی:

قلت: جزم جماعه من أصحاب المغازی: بأن محمد بن مسلمه هو الذی قتل مرحبا.

و لکن ثبت فی صحیح مسلم- کما تقدم- عن سلمه بن الأکوع: أن علیا- رضی اللّه عنه- هو الذی قتل مرحبا.

و ورد ذلک: فی حدیث بریده بن الحصیب، و أبی نافع مولی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

و علی تقدیر صحه ما ذکره جابر، و جزم به جماعه، فما فی صحیح مسلم مقدم علیه من وجهین:

أحدهما: أنه أصح إسنادا.

الثانی: أن جابرا لم یشهد خیبر، کما ذکره ابن إسحاق، و محمد بن عمر، و غیرهما، و قد شهدها سلمه، و بریده، و أبو رافع. و هم أعلم ممن لم یشهدها.

و ما قیل: من أن محمد بن مسلمه ضرب ساقی مرحب فقطعهما، و لم٧.

١- المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ٤٣٧.

٢- تلخیص مستدرک الحاکم (مطبوع مع المستدرک) ج ٣ ص ٤٣٧.

يجهز عليه، و مرّ به على (عليه السلام) فأجهز عليه، يأباه حديث سلمه، و أبى رافع، و اللّه أعلم.

و صحح أبو عمر: أن عليا (عليه السلام) هو الذى قتل مرحبا، و قال ابن الأثير: إنه الصحيح (۱).

و قال ابن الأثير: (و قيل: إن الذى قتل مرحبا، و أخذ الحصن على بن أبى طالب، و هو الأصح و الأشهر) (۲).

و قال أيضا: (الصحيح الذى عليه أهل السير و الحديث: أن عليا كرم اللّه وجهه قاتله) (۳).

و قال الحلبى: (و قيل: القاتل له على كرم اللّه وجهه، و به جزم مسلم (ره) فى صحيحه.

و قال بعضهم: و الأخبار متواتره به).

و قال أيضا: (و قد يجمع بين القولين: بأن محمد بن مسلمه أثبته، أى بعد أن شق على كرم اللّه وجهه هامته، لجواز أن يكون قد شق هامته، و لم يثبته، فأثبته محمد بن مسلمه. ثم إن عليا كرم اللّه وجهه وقف عليه) (۴).

ثم استدل الحلبى على ذلك بما فى بعض السير عن الواقدى، قال: (لما قطع محمد بن مسلمه ساقى مرحب، قال له مرحب: أجهز علىّ.

فقال: لا، ذق الموت كما ذاقه أخى.۸.

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۲۷ و ۱۲۸ و عن أسد الغابه ج ۴ ص ۳۳۱.
۲- الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۲۱۹.
۳- شرح مسلم للنووى ج ۱۲ ص ۱۸۶ عن ابن الأثير.
۴- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۸.

و مر به علی فضرب عنقه، و أخذ سلبه، فاختصما إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فی سلبه.

فقال محمد: یا رسول اللّه، ما قطعت رجلیه و ترکته إلا لیذوق الموت، و کنت قادرا أن أجهز علیه.

فقال علی کرم اللّه وجهه: صدق.

فأعطی سلبه لمحمد بن مسلمه) (۱).

و قالوا: لعل هذا کان بعد مبارزه عامر بن الأکوع لمرحب، فلا ینافی ما مر عن فتح الباری (۲).

و فی الإستیعاب: (و الصحیح الذی علیه أکثر أهل السیر و الحدیث أن علیا قاتله) (۳).

و نقول:

إن ما تقدم هو محض اکاذیب و لا یصح، و الذی قدمناه من النصوص الصحیحه، و المتواتره کاف فی إثبات ذلک، و نزید هنا ما یلی:

۱- علی علیه السّلام یفی بوعده:

رووا: أن علیا (علیه السلام) لما فتح الحصن، أخذ الرجل الذی قتل أخا محمد بن مسلمه، و سلمه إلی ابن مسلمه، فقتله بأخیه ..۸.

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۸. و أشار إلی ذلک فی الإمتاع ص ۳۱۵ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۶۵۶ و راجع: السیر الکبیر ج ۲ ص ۶۰۶.
۲- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۸.
۳- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۸.

و فی نص آخر: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) دفع کنانه لمحمد بن مسلمه لیقتله (۱).

و لا منافاه بین الروایتین، إذ إن علیا (علیه السلام) لا یورد و لا یصدر إلا عن أمر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فهو قد سلمه إلیه بعد أن أحرز الإذن منه (صلی اللّه علیه و آله) ..

فیصح أن یقال: إن النبی (صلی اللّه علیه و آله) دفعه إلیه، و یصح أیضا القول: بأن علیا (علیه السلام) فعل ذلک.

۲- الإشتراک فی قتل محمود:

إن دعوی اشتراک مرحب، و کنانه بن الربیع، و الرجل الذی سلمه علی (علیه السلام) لمحمد بن مسلمه- إن دعوی اشتراک الثلاثه- فی قتل محمود بن مسلمه (۲) غیر مقبوله:

أولا: لثبوت أن ابن مسلمه لم یقتل مرحبا بأخیه- کما زعموا- لکی یصح قولهم: إنه قتله بأخیه الذی کان قد شارک فی قتله، بل قاتل مرحب هو علی (علیه السلام) ..

ثانیا: لما روی: من أن علیا (علیه السلام) قد سلم قاتل محمود إلی أخیه محمد. و هو لم یسلم إلیه مرحبا قطعا .. و لم یسلم إلیه کنانه لأجل ذلک أیضا.

ثالثا: قیام احتمال أن یکون محمد بن مسلمه قد فرّ مع الفارین فی غزوه خیبر، کما سنری فی الفقره التالیه، فإنه إذا کان قد فر و انهزم، فلا یکون قد۹.

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۹.

۲- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۳۹.

قتل مرحبا بأخيه أيضا.

۳- ابن مسلمه یفرّ بالرایه أیضا:

لقـد ورد فی بعض النصوص: ما یثیر بقوه احتمال أن یکون محمـد بن مسـلمه أحـد الـذین أعطاهم النبی (صـلی اللّه علیه و آله) الرایه و هرب، فقد روی ابن الأثیر بإسناده عن بریده، قال: (لما کان یوم خیبر أخذ أبو بکر اللواء، فلما کان من الغد أخذه عمر. و قیل (أخذه): محمد بن مسلمه (أی و هرب)، فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله):

لأدفعن لوائی إلی رجل لم یرجع حتی یفتح اللّه علیه.

فصلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) صلاه الغداه، ثم دعا باللواء، فدعا علیا (علیه السلام) و هو یشتکی عینیه الخ ..) (۱).

فقد دلت هذه الروایه: علی أن ابن مسلمه کان هو أو عمر قد هرب فی خیبر.

و مما یؤید ذلک: الروایه التی تقول: إن جماعه طلبوا الرایه من النبی (صـلی اللّه علیه و آله) فی خیبر، فلم یعطهم إیاها، و أعطاها علیا (علیه السلام)، ففتح اللّه علیه (۲).۶.

۱- أسد الغابه ج ۴ ص ۲۱ و العمده لابن البطریق ص ۱۵۶ و عن المناقب لابن المغازلی ص ۸۸.

۲- تذکره الخواص ص ۲۵ عن أحمد فی الفضائل و راجع: مسند أحمد ج ۳ ص ۱۶.

۴- الإختصام فی سلب مرحب:

ثـم إن الحـديث عن اختصـام علی (علیه السـلام) و محمـد بن مسـلمه إلی رسـول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله) فی سـلب مرحب، مکذوب أیضا، بدلیل:

أنهم قـد رووا: أن علیـا (علیه السـلام) لم یقـدم علی سـلب عمرو بن عبـد ود و هو أنفس سـلب، و حین طـالبه عمر بن الخطـاب بذلک قال:

(کرهت أن أبز السبیّ ثیابه) (۱).

قال المعتزلی: فکأن حبیبا (یعنی أبا تمام الطائی) عناه بقوله:

إن الأسود أسود الغاب همتهایوم الکریهه فی المسلوب لا السلب (۲) کما أنه (علیه السلام) قال لعمرو بن عبد ود حین طلب منه أن لا یسلبه حلته: هی أهون علی من ذلک (۳).

فمن کان کـذلک: فهو لا یجاحش علی السـلب، و لا ینازع أحـدا فیه، فضـلا عن أن یرفع الأمر إلی رسول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله) لیفصل فیه.۶.

۱- شرح النهج للمعتزلی ج ۱۴ ص ۲۳۷.
۲- شرح النهج للمعتزلی ج ۱۴ ص ۲۳۷.
۳- کنز الفوائد للکراجکی ص ۱۳۷ و البحار ج ۲۰ ص ۲۱۶.

الفهارس

اشاره

۱- الفهرس الإجمالی ۲- الفهرس التفصیلی

۱- الفهرس الإجمال

۲- الفهرس التفصیلی

أدعوك و جنودك: ۴۸

الرايات بدأت فى خيبر: ١٥٣

الزموا الأرض جلوسا: ١٥٥

ص: ۳۵۱

لباس علی علیه السّلام فی الحر و البرد: ۲۸۳

الفهارس:

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَالَّذِینَ لَا یَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مرکز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.

وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام

تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة

تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات

توسیع عام لفکرة المطالعة

تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:

مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بکلمـة الشـکر والتقـدیر إلی مکاتب مراجع التقلیـد منظمات والمراکز، المنشورات، المؤسـسات، الکتّاب وکل من قدّم لنا المساعدة فی تحقیق أهدافنا وعرض المعلومات علینا.

عنوان المکتب المرکزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهید محمد حسن التوکلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البرید الالکترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المکتب المرکزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المکتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البیع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمین ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.